د. الأزهر الزناد

نظريات لسانية عَرفنية







إهداء

إلى سيرين وسلمى

وقد كان لي فيهما الإلهام والسّلوى



المحتويات

مقدّمة

قــد يصادف صدور هذا الكتاب مرور ثلاثة عقود تقريبا منذ ظهور كتاب "الاســتعارات الّتي نحيا بها" للايكوف وهو يعتبر تأسيسا للّسانيّات العرفنيّة. وقد تــزايدت خلالهــا الحركة العرفنيّة عامّة والعرفنيّة اللّسانيّة خاصّة ولكنّها ما تزال محتــشمة في الــبلاد العربيّة ما عدا بعض الدّراسات في قطرين من المغرب العربيّ (المغرب، تونس) ثمّ هي دراسات مخصوصة بالدّلالة عامّة وبالاستعارة في الأغلب لا تــشتغل بــسائر المظاهــر اللّــسانيّة العرفنيّة، ولذلك يكون من المفيد الضّروريّ استكمالها. وذلك كائن بوظيفتين أساسيّتين في البحث وعند الباحث: نقل المعرفة وإنتاجها.

ولعــلّ أبرز الدّوافع الكامنة وراء هذا العمل ما لاحظناه من اجتزاء النّظريّات بأخذ ما يناسب ويصلح واجتثاث دون فهم في الأغلب عند المبتدئين باعتقادهم أنّ العــرفنيّات شعار يُرفع ولعلّ ذلك راجع إلى غياب الأطر الفكريّة العامّة الّتي تمثّل مــنابت تلــك الأفكار بوجه يصبح نقلها أو اعتمادها شبيها بتعليبها وتحنيطها بل ينــشر مغــالط كثيرة كأن تقصر نظريّة على مبحث بعينه دون آخر والحال أنّها تتجاوزه بل لعلّ ذلك المظهر المغيّب أهمّ ممّا ذكر إمّا لسهولة فيه أو إغراء أو نجاعة. ولــذلك خصصنا كلّ نظريّة بتمهيد يسعى إلى تبيّن ما كان مفيدا – في حدود ما نــرى– من عناصر وعوامل وأطر قد لا يصل أغلبها في وثيقة واحدة وإنّما يكون مبــثوثا في أحاديث (ندوات ولقاءات) أو في مقالات ودروس وما إلى ذلك. من ذلــك أنّ العــناية منصبّة على لايكوف دون غيره ولِمَ؟ لأنّ المشتغلين بالاستعارة وجــدوا فــيه أملهم، ولكنّ لايكوف مهتمّ بالجسدنة وبالمقولة وهي أفكار لصيقة بالاستعارة المفهوميّة لصاقة الأخت بأختها، ورغم ذلك لا يكاد يكون لها أثر في ما قــرأنا أو سمعنا في بلادنا. بل يعمد بعضهم إلى اجتزاء المفاهيم اجتزاء دون فهمها فيسيء توظيفها اجتزاء المفاهيم اجتزاء من منابتها في الكتاب الواحد فيسيء فهمها أوّلا فيعبّــرعنها غلطــا ولا يفيد في توظيفها ثانيا، كما يعمد الآخرون إلى جعل

البحوث نوعا من الكوكتال تجتمع فيه عموميّات المبادئ من هنا وهناك، ويعمد البعض إلى المقارنة بين نظريّة وأخرى منتصرا لهذه على تلك وهو لا يعلم أنّ بينهما من التّناسب الشّيء الكثير فالمشغل واحد والأدوات واحدة ولكنّ العجنة قد تختلف.

وإزاء هذا وجب أن يكون في متناول الباحثين مورد فيه مراوحة بين العرض النّظريّ الواضح الأمين القائم على فهم متين من جهة والتّحليل المؤسّس على دقائق الأشياء موصلا إلى مبادئها. ومن المعلوم أنّ للباحث في المظهرين لمسة وبصمة وليس من المفروض أن تكون ظاهرة أو مخفيّة. ولذلك جعلنا الكتاب قسمين أوّلهما في العلوم العرفنيّة إطارا تاريخيّا مفهوميّا عامّا وثانيهما في النّظريّات اللّسانيّة العرفنيّة بتيّاريها الكبيرين التّوليديّ والمفهوميّ التّصوريّ، وفي التّيّار الواحد جداول عديدة تخيّرنا أبرزها، وما بقي من النّظريّات كثير. ويجد القارئ في نهاية العمل ثبتا في أبرز المصطلحات الواردة في الكتاب مرفوقا بعضها بتعريف وجيز. وقد التزمنا في إجرائها المتداولَ الشّائع وفي وضعها ما رأيناه مفيدا دقيقا، في حدود ما نعلم.

المؤلّف

تونس، جوان 2009

القسم الأوّل

العرفنة وعلومها
مدخل تاريخيّ مفهوميّ


مكتبة
لسان العرب
أ. علاء الدين شوقي
www.lisanarb.com

'علـــم العرفنة حقل جديد يجمع ما يُعرف عن الذّهن في اختصاصات أكاديميّة عديدة: علم النّفس واللّسانيّات والأنتروبولوجيا والحاسوبيّة. وهو ينشد أجوبة مفــصّلة عـــن أســئلة من قبيل: ما هو العقل؟ كيف نعطي لتجربتنا معنى؟ ما هوالـــنّظام المفهومـــيّ وكيف ينتظم؟ هل يستعمل جميع البشر النّظام المفهوميّ نفـــسه؟ وإن كان الأمر كذلك فما هو هذا النّظام؟ وإن لم يكن كذلك، ما هو بالتّحديد ذاك الشّيء المشترك بين بني البشر جميعهم في مابه يفكّرون؟ فالأسئلة ليست جديدة ولكنّ بعض الأجوبة جديد.

(لايكوف 1987، المقدّمة)

العلوم العرفنيّة[1] جملة من العلوم تدرس اشتغال الذّهن والذّكاء دراسة أساسها تظافر الاختصاصات تساهم فيها الفلسفة وعلم النّفس والذّكاء الاصطناعيّ وعلوم الأعـــصاب (علـــوم الدّماغ) واللّسانيّات والأنتروبولوجيا. وتدرس العلوم العرفنيّة الذّكاء عامّة والذّكاء البشريّ وأرضيّته البيولوجيّة الّتي تحمله وتعنى كذلك بمنْولته[2] وتبحث في تجلّياته النّفسيّة واللّغويّة والأنتروبولوجيّة (إمبار 1992)[3].

ولـــئن كان يصعب تعريف الكائن الذّكيّ فإنّ المشترك بين المصادر والمتداول في المجال هو اعتبار الكائن الذّكيّ ذلك الكائن الّذي يقدر على تقسيم العالم المعقّد الّـــذي يعـــيش فيه إلى مجموعات أو عناصر صغرى يمكن تحديدها ومعرفتها ثمّ هو الكـــائن الّـــذي يستعمل تلك المعرفة لأداء أعمال وفق ما تقتضيه حاجاته وظروفه على وجه يخطّط له ويتحكّم في مساره. ويمثّل المحيط مصدرا للمعلومات تُستقى منه بتوسّـــط الموارد الحسّيّة كالإبصار والسّمع واللّمس...، يشتغل عليه النّظام الذّكيّ ترتيبا وتبويبا وما إلى ذلك من وجوه التّنضيد والمقْوَلة والحفظ والتّسجيل والتّخزين، ويمثّل التّخطيط ما به يكون التّوليف بين تلك المعلومات في سبيل إنجاز أيّ عمل قد

---

1 Cognitive science (Sciences cognitives).

2 Modelling.

3 Imbert (1992).

يكون مفيدا للكائن الذّكيّ، ويقتضي هذا الأمر حصول ملكة بموجبها يكون تمثيل[1] المحيط تمثيلا مرنا قابلا للتّكيّف مع كلّ جديد. ومن أسس الذّكاء بركيزتيه حصول التّمثـيلات والقدرة على توليف المعلومات، أن يقوم على مهارة التّعلّم بما فيها من حفـظ وتسجيل وتمثّلٍ لتلك المعلومات بوجه يجعل المعرفة بالأشياء وغيرها معرفة قابلة لأن تتبدّل بنيتها حسب ما يستدعيه الحال من استراتيجيّات إدراكيّة وعمَليّة. ويستوجب التّعلّم من جملة ما يستوجب التّواصل مطلقا بين الأفراد في مستوى أوّل وبين نظم المعلومات من درجة ثانية ولعلّ اللّغة تمثّل أحسن الأدوات بما يكون منها من تمثّل المعلومات وبنائها في الدّماغ وهو يمثّل أحسن جهاز ذكيّ طبيعيّ لا مثيل لـه في الحياة أو الصّناعة إلى يومنا هذا. فقوام الذّكاء إدراك حسّيّ وعمل قصديّ وتنظـيم مفهومـيّ تـصوّريّ وتمثيل للأشياء والمعلومات وتفكير متعقّل وتواصل وجميعها ذات أرضيّة عصبيّة موطنها الدّماغ. تبحث العلوم العرفنيّة في الذّكاء[2] من حـيث طبيعته (ما هو الذّكاء؟) ومن حيث اشتغاله (كيف يشتغل الذّكاء؟) ومن حيث عمله (ماذا يفعل الذّكاء؟)، ويُختصر هذا الثّالوث في العرفنة[3].

وقد مثّل منتصف الخمسينيّات من القرن العشرين تاريخ النّشأة الفعليّة للعلوم العرفنيّة كان فيه اللّقاء في قضايا الذّهن بين عدد من الباحثين من مجالات مختلفة ثمّ اكتـسبت العلوم العرفنيّة مظهرا تنظيميّا مؤسّسيّا في منتصف السّبعينيّات من القرن الماضـي بتأسـيس جمعيّة العلوم العرفنيّة وإصدار مجلّة "العلوم العرفنيّة"، وكان أن انتـشرت أقـسام بحث وتدريس في كبريات الجامعات بشمال أمريكا وبأوروبا. وللعلـوم العـرفنيّة روافـد عديدة نفسيّة وسيبرنيتيّة وحاسوبيّة وعصبيّة ولسانيّة ومنطقـيّة فلـسفيّة. وقد مثّلت الحرب العالميّة الثّانية بما أحدثته من تبدّل في القيم مطلقـا ومن حاجات ولّدها خوض حرب على نطاق واسع يشمل الكرة الأرضيّة من تبادل للمعلومات وضمان وصولها ومن تعدّد اللّغات وضرورة التّرجمة وما إلى ذلك من التّقنيات المفيدة في خوض المعارك وإدارتها، قادحا لجملة من الأبحاث همّها تلبـية تلك الحاجات. فكان أن انصرفت العناية إلى التّواصل نظريّةً وأدوات تقنيّة وآليّات ذهنيّة نفسيّة تكسّرت بمقتضاها القيود النّظريّة والمنهجيّة المبدئيّة الّتي فرضتها

---

1 Representation.

2 Intelligence.

3 Cognition.

عقود من سيطرة السّلوكيّة. واجتمع جميع ذلك في ثالوث من الاختصاصات هي: السّيبرنيتيّة[1] (وقد تطوّرت لاحقا في الذّكاء الاصطناعيّ[2] وعلوم الإعلاميّة) وعلم النّفس وعلم الأعصاب. وكانت تشتغل في البداية الواحد منها معزولا عن الآخر ثمّ تقاربت شيئا فشيئا لتنتج ما أصبح يسمّى بعد ذلك بالعلوم العرفنيّة.

السّيبرنيتيّة

تقوم السّيبرنيتيّة على مبحث ذي أساس فيزيزلوجيّ في ما به يمكن للكائن الحيّ أن يحفظ نفسه في محيط خارجيّ بما فيه من تغيّرات ومخاطر وفي ما به يكون تفاعله معها. يعود هذا المبحث إلى أعمال الفرنسيّ كلود برنار[3] المتّصلة بالنّظام الفيزيولوجيّ أساسا إذ كان يتصوّر أنّ لكلّ كائن حيّ عددا من النّظم الفرعيّة مهمّتها تعديل ما يطرأ من تغيّرات داخليّة بسبب العوامل البيئيّة الخارجيّة بالعود بها إلى نسبتها العاديّة. ولئن كان هذا المبدأ إطارا لتعريف الذّكاء والكائن الذّكيّ في العلوم العرفنيّة في أيّامنا إذ يعتبر كائنا ذكيّا كلّ كائن يملك القدرة على التّفاعل مع محيطه، فإنّه كان كذلك إطارا لنواة مبدإ أساسيّ في السّيبرنيتيّة هو مبدأ التّرجيع[4].

فقد نشأ مشروع في بداية الحرب العالميّة الثّانية غايته بلورة نظام في الدّفاع المضادّ للطّائرات قوامه مبدأ التّرجيع. وفيه تعتمد المعلومات المستقاة من الرّادار لتعديل طلقات المدافع لضمان نجاحها في إصابة الهدف، يكون ذلك بأن ترسل دفعةٌ من الطّلقات ثمّ تضبط نسبة الإصابة أو الخطأ فيها باعتماد المعلومات الرّاجعة من الرّادار لتعديل زاوية الطّلق في ضوء ذلك التّرجيع. وكان من أبرز المشاركين في ذلك نوربارت فينار[5] الّذي كان أوّل من وضع تسمية السّيبرنيتيّة (1948). ثمّ تطوّرت الفكرة وتوسّعت لتتحوّل إلى مشروع واسع يضمّ التّحكّم في النّظم البيولوجيّة الحسّيّة والنّظم الآليّة الاصطناعيّة باعتماد مبدإ التّرجيع على أساس أنّ جميعها يقوم على التّوجيه المقترن بالهدف[6]. ثمّ اتّسع ليشمل عددا من المجالات من

---

1 Cybernetics.
2 Artificial Intelligence, (AI).
3 Claude Bernard (1813-1878).
4 Feedback .
5 Norbert Wiener (1894 -1964).
6 Goal-directed.

قبيل الفيزيزلوجيا العصبيّة والمنطق والرّياضيّات والهندسة الجغرافيّة وعلم النّفس والأنتروبولوجيا تبلور منها برنامج عمل كبير مداره آليّات التّرجيع في النّظم البيولوجيّة والاجتماعيّة وغايته التّوليف بين مباحث الدّماغ ومباحث النّظم الاصطناعيّة سعيا إلى تفسير الظّواهر الذّهنيّة باعتماد مداخل من اختصاصات متعدّدة. ولكنّ هذا البرنامج لم يُكتب له الاكتمال في ذلك الوقت، وخفتت العناية به في الخمسينيات من القرن العشرين ولكنّه عاد إلى الظّهور في السّبعينيّات وإن بشكل آخر وقضايا أخرى.

الحاسوبيّة والذّكاء الاصطناعيّ

تقوم الحوسبة على مجموعة من الأوامر تنطبق انطباقا ميكانيكيّا آليّا. ولئن كانت الفكرة قديمة فإنّ المحاولات الأولى في صنع الحاسوب تعود إلى ثلاثينيّات القرن العشرين ولكنّ الحرب العالميّة الثّانية مثّلت حافزا أساسيّا إلى تركيزها ووفّرت لها مجالا لتطبيقها. فقد أقام تيورينغ وجماعته في إنجلترا نظاما من الموصّلات الإلكترونيّة تشتغل لفكّ رموز الشّفرة الحربيّة الألمانيّة، كما أقام بعض الدّارسين في جامعة بنسيلفانيا منظومة حوسبيّة غايتها ضمان الدّقّة في المدفعيّة الثّقيلة باعتبار المعطيات في ساحة المعارك وحسابها بشكل يحقّق إصابة الهدف بدقّة، ولكنّ هذه المنظومة لم تكتمل وقد انتهت الحرب، ولكنّ ما قامت عليه الفكرة من انقسام النّظام إلى قسمين ذاكرة ووحدة معالجة مركزيّة ظلّ أمرا فاعلا في الحاسوبيّة إلى اليوم.

أمّا الذّكاء الاصطناعيّ فيجري تعريفه بكونه العلم الّذي يسعى إلى جعل الآلة تؤدّي ما يؤدّيه البشر من الأعمال بتمكينها من مهارة ذهنيّة ذكيّة لها قدرات الذّكاء الّتي للذّهن البشريّ. فغاية علم الذّكاء الاصطناعيّ صنع الآلات الذّكيّة الّتي يمكنها أن تتصرّف تصرّفا ذكيّا أي تتفاعل مع محيطها تستقي منه المعلومات وتردّ الفعل في ضوء مقتضيات ظرفيّة يكون بها ردّ الفعل ذاك ملائما مناسبا وناجعا. ويتّسع مجال الآلة الذّكيّة من حيث عملها وإفادتها في المطلق أو في خدمة الإنسان من الأمور اليوميّة الرّوتينيّة العاديّة إلى القيام بمهمّات دقيقة صعبة في بيئات لا يمكن أن تستقبل الإنسان بدءا بما فوق الأرض أو في أعماق المحيطات وانتهاء بما جاوز الكوكب الأرضيّ من سائر الكواكب لاستكشافها.

يقوم علم الذّكاء الاصطناعيّ على ركيزتين هما البرمجيّات الحوسبيّة والآلة، فالبرمجيّات تمثّل الذّهن البشريّ والآلة بأدواها تمثّل الجسم البشريّ بأعضائه. ولذلك تكون الآلة الذّكيّة مجهّزة بحاسوب تعمل فيه برمجيّات تشغّل أجهزة الآلة المختلفة. ولعلم الذّكاء الاصطناعيّ كذلك صلة بالفلسفة وعلم النّفس في عنايته بطبيعة المعرفة وبغاياها وبعلاقة الذّهن (العقل) بالجسد. وهذا يمثّل المظهر النّظريّ الصّرف في مباحث الذّكاء الاصطناعيّ. فيمكن في ضوء هذا تقسيم علم الذّكاء الاصطناعي إلى قسمين: قسم نظريّة الذّكاء الاصطناعيّ في بعديها الفلسفيّ الذّهنيّ والنّفسيّ أو العرفنيّ العامّ، وقسم عمليّ تطبيقيّ غايته غرس الذّكاء في حامل مادّيّ هو الآلة بتمكينها من أدوات الذّكاء فيكون لها سلوك الكائن الذّكيّ. وفي هذين المظهرين يكون سبر ما استقرّ في البحوث النّظريّة الصّرف نفسيّة كانت أو فلسفيّة أو عصبيّة بأن يجري صوغها في مناويل حوسبيّة تشتغل ها الآلة الذّكيّة حيث تتجلّى الثّغرات أو الفجوات وتستكمل. ولذلك يمثّل الذّكاء الاصطناعيّ واحدا من أبرز المظاهر الّتي يتجلّى فيها تعقّد الذّكاء مطلقا ذلك أنّ العمل البسيط يقتضي كمّا هائلا من المعلومات ومن العمليّات الذّهنيّة المعقّدة المتشابكة في طبائعها. ينضاف إلى ذلك المظاهر المعلومة الثّابتة في اشتغال الذّكاء الطّبيعيّ اشتغالا ضبابيّا أو فوضويّا في الكثير من المظاهر من قبيل التّعرّف على الوجوه أو الأشياء أو من قبيل الاهتداء إلى الكلّ بناء على الجزئيّات أو معلومات مقتضبة، وهي مظاهر يقدر الذّهن الطّبيعيّ على تجاوزها ولكنّ البرمجيّة الحاسوبيّة بحكم ما لها من دقّة وتقييد قد تقصر عن تحقيقها فيكون من الواجب إقامة ذكاء اصطناعيّ قادر على التّعامل مع هذا النّمط من الأوضاع أو بعبارة أيسر وجب تمكين الآلة الذّكيّة من مهارة التّصرّف بوجه ليس من المفروض أن تكون قد بُرمجت عليه مسبقا.

تتعدّد مجالات الذّكاء الاصطناعيّ فمنها معالجة اللّغة الطّبيعيّة[1] من قبيل التّعرّف على الأصوات الصّادرة من شخص بعينه أو من أشخاص كثر، لإنجاز عدد من الأعمال المبرمجة أو تحويل المنطوق إلى مكتوب وما إلى ذلك. والغاية منه تمكين الآلة من تحليل الصّوت اللّغويّ تحليلا يضاهي تحليله الطّبيعيّ دقّة ومهارة بالاهتداء إلى حدود القطع والكلمات والجمل وما يكتنفها من مظاهر

1. Natural Language Processing (NLP).

فـــوق-قطعيّة[1] من تنغيم وتنبير وغيرهما من سرعة الدّفق وأنماط النّطق الفرديّة وتجاوز الضّجيج من المحيط وما إلى ذلك. يندرج هذا في بلورة التّواصل اللّغويّ بين البشر والآلة الذّكيّة لما في ذلك من مرونة كبيرة لا يفي بها التّواصل الرّقميّ بين آلة وأخرى بتوسّط الكائن البشريّ مشغّلا أو مستعملا.

وفي مجـــال الإبصار، تكون العناية بالتّعرّف على الأشكال والرّسوم وذلك في مجال قراءة الوثائق المكتوبة (مراكز توزيع البريد باعتماد التّرقيم البريديّ) والتّعرّف علـــى البصمات، وبعض الآلات قادر على إحصاء الخلايا في عيّنة عضويّة من الدّم وغيره، وغير ذلك من المجالات القائمة على الإبصار. ويظلّ السّؤال مطروحا كيف يمكن الاهتداء إلى رقم بعينه وليكن '3' والمعلوم أن لا تشابه في كتابته بين شخصين وكـــذلك تنوّع أشكال المثلّث مثلا في المطلق ولكنّها جميعا تعتبر من المثلّثات عند البـــشر، فـــيكون الـــبحث في تلقـــين الآلة النّموذج العامّ الّذي تندرج فيه جميع التّحقّقات.

ولعـــلّ أهمّ المجالات في علم الذّكاء الاصطناعيّ الرّوبوتيّة[2]. وهي صناعة آلة ذكـــيّة ذات تحكّـــم ذاتيّ تتفاعل مع واقع أو محيط متغيّر بما فيه من عناصر وأشياء وتضاريس وآلات أخرى عند الاقتضاء. وليكون ذلك وجب أن تكون هذه الآلة مـــزوّدة بأدوات إدراكيّة تستقي بها المعلومات من محيطها وأدوات تفكير تحلّل بها تلك المعلومات وتعالجها وأدوات تنقّل أوحركة يتحقّق بها تفاعلها مع محيطها. ومن القـــضايا الأساسيّة في الرّوبوتيّة كيف يمكن ضمان التّحكّم الذّاتيّ والتّفاعل النّاجع في المحيط المتغيّر لآلة ذكيّة دون برمجة مسبقة، وذلك قياسا على الكائن الحيّ الذّكيّ المـــزوّد بمهارات ذهنيّة يتمكّن بها من تطويع سلوكه وفق ما يكون في محيطه. ولهذا صـــلة بمـــباحث أخرى في العلوم العرفنيّة، وعلم النّفس العرفنيّ أساسا، من حيث وظائـــف الإدراك بآليّاته واتّخاذ القرارات باستراتيجيّاته والفعل أو العمل ببلورته وتنفـــيذه، مـــن جهـــة، ومن حيث ما به يكون الاندماج والتّجانس ما بين تلك الوظائـــف الـــثّلاث، من جهة أخرى. وهو ما يطلق عليه 'دائرة الإدراك والقرار والعمل'[3]. ويظلّ التّمثيل المفهوم الرّئيسيّ في الذّكاء الاصطناعيّ وهو يتلخّص في ما

---

1 Suprasegmental.

2 Robotics (fr: Robotique).

3 Boucle < perception-décision-action> (Sabah 2002,265.)

بــه يمكن للأنظمة الاصطناعيّة الذّكيّة تماما مثل الأنظمة الذّكيّة الطّبيعيّة، أن تقيم تمثــيلات ذهنيّة عن العالم المحيط بها وتطوّعها في ضوء المتغيّرات فيه وتستعملها في تحليل الواقع وفي تغييره.

الأنتروبولوجيا العرفنيّة

تمــثّل الأنتــروبولوجيا العــرفنيّة[1] ما كان يعرف بالأنتروبولوجيا الثّقافيّة[2]، بمفهومها القائم على البحث في اشتغال الفكر البشريّ في سياقات ثقافيّة مختلفة بما في ذلــك مــن بيئات مادّيّة واجتماعيّة مخصوصة. وكانت الأنتروبولوجيا الثّقافيّة قسيما للأنتروبولوجيا المادّيّة في بحثها في المظهر البيولوجيّ وتطوّره. ومدار البحث فيها عن التّمثيلات الّتي يقيمها البشر في الثّقافات المختلفة عن محيطه وعن علاقته به حــيث تكــون الثّقافة نظاما عرفنيّا[3] جماعيّا له بسائر النّظم الثّقافيّة علاقات شبه وعلاقــات تميّــز واختلاف. والأنتروبولوجيا العرفنيّة بحث في العلاقة بين الثّقافة والــذّهن. هي بحث في ما به يدرك الإنسان الأشياء والأحداث والتّجارب الجارية في محيطه ويتمثّلها وفي ما به ينضّدها ويجعل منها نظاما ذا معنى. ومن أبرز الحقائق المــسطّرة فيها وجود اختلافات ثقافيّة في الإدراك والذّاكرة والاستدلال ومن أبرز المجالات المدروسة فيها مقْوَلة الأشياء وتسمية الألوان وإدراكها عبر الثّقافات. ومن تلك المبادئ المسطّرة كون الفكر أو الذّهن مسيّرا ثقافيّا وفي ذلك تجارب عديدة:

يختلف البشر في تصنيف الأشياء باختلاف الثّقافة وليس هذا الاختلاف نفسيّا أو عــصبيّا وإنّما هو اختلاف ثقافيّ يبين عن تموضع العرفنة تموضعا اجتماعيّا، من ذلــك أنّ مجمــوعة مــن الصّور عُرِضت على مجموعتين من الأشخاص (إفريقيّة وأوروبيّة) وهي صور تقبل التّصنيف حسب اللّون أو الشّكل أو الوظيفة، فتبيّن أنّ الأوروبّــيّين يميلون إلى تصنيفها أو تجميعها حسب اللّون في طور الطّفولة ولكنّهم يميلون إلى تصنيفها حسب الشّكل في سنّ أكبر ثمّ حسب الوظيفة في طور الكهولة. ولكنّ الكهول الإفريقيّين يميلون إلى تصنيفها حسب اللّون (برونر وجماعته[4] 1966).

---

1 Cognitive Anthropology.

2 Cultural Anthropology.

3 Cognitive system.

4 Bruner et alee (1966).

كمـــا يختلف البشر في تصنيف الألوان، فقد أثبت كاي وكامبتون[1] (1984) في واحـــدة من التّجارب على مجموعتين من المتكلّمين بالأمومة بالإنجليزيّة من جهة وبلغة التّراهومارا[2] وهي لغة أوتوأزتيكيّة في شمال المكسيك، من جهة أخرى، أنّ تسمية اللّون الـــواحد في اللّغة توجّه إدراك ذلك اللّون أو تصنيفه إدراكيّا. يتوفّر في لغة التّراهومارا اسم واحد يضمّ اللّونين الأخضر والأزرق، وهما مفترقان في الإنجليزيّة كما هو معلوم. وقامت التّجربة على رقائق ملوّنة على تدرّج من الأخضر النّاصع حتّى الأزرق الصّافي، وطُلب من المجموعتين فرز الرّقاقتين المختلفتين لونا في أقصى درجات الاختلاف. فكان أن فُـــصلت الـــرّقاقتان الخضراء والزّرقاء في المجموعة النّاطقة بالإنجليزيّة واجتمعتا في مجموعة التّراهومارا. فيكون الإنجليز قد أدركوا اللّونين على أنّهما مختلفان على خلاف التّـــراهوماريّين الّذين أدركوهما لونا واحدا، وهذه الحقيقة سبيل إلى إثبات الأثر الّذي يكون لتسمية الأشياء في إدراكها وفي تصنيفها إدراكيّا، وهي سبيل إلى إثبات ضرورة الانطلاق من التّباينات الثّقافيّة لدراسة الإدراك البشريّ.

كمـــا ثـــبت ارتباط الذّاكرة وقدرتها بالنّمط الثّقافيّ، من ذلك أنّ التّذكّر يرتبط بـــشكل الثّقافة، وهو في العموم أحسن عند أهل المشافهة منه عند أهل الكتابة، كما يتذكّـــر أبـــناء ثقافـــة المشافهة القصص الشّفويّة أكثر من تذكّرهم قائمة من الأسماء والعكس صحيح. ففي تجربة أجراها روس وميلسون[3] (1970) تقوم على المقارنة بين مجموعـــتين مـــن التّلاميذ أمريكيّة وغانيّة في طاقة التّذكّر وُجد أنّ مجموعة الغانيّين في العمـــوم تفـــوق الأخـــرى قدرة، كما أثبت كول وجماعته[4] (1971) أنّ الأمّيّين من الأفارقة لا يتذكّرون جيّدا الأسماء المعروضة في شكل قائمة خلافا لقدرتهم الجيّدة على تذكّـــر تفاصيل الحكايات المرويّة شفويّا، ويقيمون على ذلك أنّ الاختلاف الثّقافيّ في اشتغال الذّاكرة قد يقتصر على الحكايات الشّفويّة في الثّقافات ذات النّمط المشافهيّ.

ومـــن أنماط الاختلاف الثّقافيّ في الاستدلال ما لا حظه بعض الدّارسين من تعطّـــل القياس في بعض الثّقافات بناء على مقدّمات من الثّابت في ثقافات أخرى تأديـــتها إلى استنتاج رغم ما فيها من افتراض. فقد أورد لوريا[5] (1971) في دراسة

---

1 Kay and Kempton (1984).

2 Trahumara language.

3 Ross and Millson (1970).

4 Cole et alee (1971).

5 Luria (1971).

الاستدلال عند بعض البدو في آسيا (الوسطى والشّرقيّة) أنّهم لا يستنتجون شيئا من معلومات غير معروفة عندهم. ففي القياس التّالي: في أقاصي الشّمال المغمورة بالثّلج تكون الدّببة بيضاء، فما لون الدّببة في بقعة نوفايا تزيميلا[1] وهي في أقاصي الشّمال تغمرها الثّلوج باستمرار؟ كان الجواب باستحالة الاستنتاج إذ لا يمكنهم الحديث عن شيء يجهلونه ولا يعرفون من عرفه. ويذهب لوريا إلى أنّ ذلك غير مرتبط بمظهر ذهنيّ يمكن أن يعتبر قصورا أو نقصا وإنّما هو ثقافيّ صرف دليل ذلك أنّ من يذهب إلى المدرسة من أطفال أولئك البدو يستنتج النّتيجة المعروفة في الثّقافات الّتي يجري فيها نمط القياس 'الأرسطيّ'.

وممّا يتجلّى فيه الاختلاف بين الثّقافات درجة ارتباط التّفكيرأو الحكم بالسّياق. فقد أثبت شويدر وبورن[2] (1984) في دراسة مقارنيّة بين الثّقافتين الأمريكيّة والأوريّة البراهمانيّة[3] من جنوب الهند اختلافا في طريقة الحكم على الشّخص أو تصنيف الشّخصيّة إلى خيّر وشرّير مثلا. فالأمريكيّون يحملون سمات الشّرّ مجتمعة أو غيرها من السّمات، بشكل تجريديّ يختزلها جملةً ويطلقون على صاحبها صفة واحدة مفردة من قبيل فلان شرّير أو طيّب وما إلى ذلك. ولكنّ الأوريّين يعمدون إلى رواية قصص تذكر الأعمال المختلفة الّتي أتاها الشّخص المعنيّ شرّا كانت أو خيرا دون نعته أو وصفه. وانتهيا إلى أنّ الاختلاف بين الثّقافتين لا يكمن في اختلاف القدرة الذّهنيّة على إقامة الأحكام بشكل تجريديّ وإنّما الاختلاف في درجة ارتباط الحكم بالسّياق، فهو عند الأوريّين مرتبط بالسّياق حيث يكون الحكم على الشّخصيّة في الأوضاع الحقيقيّة فالحكم متموضع سياقيّا وهو عند الأمريكيّين غير مرتبط بالسّياق حيث يحمَل الحكم في شكل سمة أو سمات مجرّدة يفترض أنّها ثابتة في الشّخص لا تتغيّر، وهي دون شكّ تلخيص لما كان حقيقة في سياقات واقعيّة.

ومن أبرز المفاهيم العاملة في الدّراسات الأنتروبولوجيّة العرفنيّة منذ السّنوات 1980، نظريّة الخطاطة[4] والأنماط الثّقافيّة[5].(انظر فصل: التّصوير الذّهنيّ: الصّورة، الخطاطة وتحقّقاتها).

---

1 Novaya Zemyla.

2 Shweder and Bourne.

3 Oriya Brahmins.

4 Theory. Schema

5 Cultural model(s).

علم النّفس العرفنيّ

يمـثّل علـم الـنّفس العرفنيّ[1] قلب العلوم العرفنيّة ومحرّكها على اختلاف بين الدّارسـين تنظيرا وعملا. ويعتبر البعض أنّ علم النّفس العرفنيّ هو علم النّفس مطلقا يـضمّ جمـيع الفروع وبعضهم يعتبره فرعا من علم النّفس. ومجال الدّراسة في علم الـنّفس العـرفنيّ عمليّات العرفنة وأبنيتها من قبيل الإدراك والانتباه والذّاكرة واللّغة والقـصد والنّـشاط الفكـريّ واللّغـويّ وما إلى ذلك من مباحث تهمّ الانفعال والشّخـصيّة وغيرها ممّا له تفاعل مع سائر الملكات العرفنيّة. وقد اقترن ظهور علم الـنّفس العـرفنيّ بمـا يـسمّى "الثّورة العرفنيّة" في منتصف 1950 وهي ثورة على الـسّلوكيّة وعلى ما سطّره واطسون (1878-1958) من تخلّ مطلق في علم النّفس عن المنهج الذّهنيّ القائم على الاستبطان أساسا ومن دعوة إلى العناية بالسّلوك الظّاهر والاكـتفاء به موضوعا للوصف والملاحظة لرصد مظاهره المادّيّة المتواترة. وقد كان واطسون (1913) في جميع ذلك ساعيا إلى جعل علم النّفس قسما موضوعيّا تجريبيّا خالـصا مـن علوم الطّبيعة. وقد مثّلت السّلوكيّة مواصلة لما أرساه فايلهالم فوندت (1832-1920) وأتباعه من أسس لعلم النّفس التّجريبيّ في القرن التّاسع عشر قوامها دراسـة العمليّات الذّهنيّة باعتماد الاستبطان وبطرق مخبريّة كان لها الفضل في نشأة علـم الـنّفس مبحثا مستقلاّ عن الفلسفة منذ أفلاطون وأرسطو. ولكنّ السّلوكيّة دفعـت الأمر إلى أقصاه بأن ألغت البعد الذّهنيّ في أشكاله المختلفة من قبيل الوعي والتّمثـيلات الذّهنـيّة مـن مجال علم النّفس، وقد توفّر لها في أعمال بافلوف رافد أساسـيّ مداره المنعكسات الشّرطيّة. وكان للسّلوكيّة أثر كبير في مجالات كثيرة من أبـرزها المباحث اللّسانيّة. فكان أن تحوّلت العناية من البحث في تاريخ اللّغات إلى دراسة الاستعمال اللّغويّ دراسة إجرائيّة وأعمال بلومفيلد خير ممثّل لهذا التّوجّه. ولم يكن للسّلوكيّة في أوروبا أثر كبير، فقد شهدت هذه القارّة تبلورا لاتّجاهات عديدة زامـنت السّلوكيّة وكان لها أثر بارز في نشوء علم النّفس العرفنيّ، من ذلك أبحاث فريديـريك بارتلات[2] (1932) المتعلّقة بالإدراك[3] والتّصوير الذّهنيّ[4] والاستحضار[5]

---

1 Cognitive Psychology.

2 Frederic Bartlett (1886-1969).

3 Perception.

4 Imaging.

5 Recall.

وكـــان من أهمّ ما سطّره فيها أنّ جميع تلك الظّواهر تمثّل تعبيرا عن عمليّات تعامليّة حـــركيّة إزاء الوضع الّذي يوجد فيه الكائن وإزاء حاجاته الآنيّة وتتأسّس دائما على تجاربه الماضية وتتّصل بها.

وكـــان من أبرز المبادئ الّتي أرساها، البعد الذّاتيّ في تكوّن الذّاكرة وعمليّة التّذكّـــر. فقـــد أثبت أنّ الذّكريات لا تمثّل مجرّد أثر أو تسجيل أو حفظ لما عاشه الفـــرد من أحداث وإنّما ينضاف إليها ما يملؤه بها صاحبها من تفاصيل لم تكن في الحـــدث الأصـــل أو الأحداث المعيشة، فالفرد محكوم في تذكّره بخطاطات ذهنيّة حاصـــلة عـــنده توجّه استعادة الذّاكرة. وكان من جملة تجاربه أن رُويت قصّة من قـــصص بعـــض الشّعوب الأمريكيّة الأصيلة على عدد من الأشخاص الأوروبيّين وطُلـــب منهم استعادتها بأقصى ما يمكنهم من الدّقّة، فلاحظ بارتلات أنّهم يملؤون الفـــراغات في ذلك بعناصر من واقعهم الغربيّ الأوروبيّ، وكان تفسير ذلك عنده أنّهـــم موجّهون بخطاطات حاصلة عندهم في تنظيم الأحداث في القصّة. ولمفهوم الخطاطـــة[1] من حيث هي بنية تنتظم وفقها المعلومات في الذّاكرة منـــزلة كبيرة في العلوم العرفنيّة عامّة وفي علم النّفس العرفنيّ وفي اللّسانيّات العرفنيّة خاصّة.

وكـــان لجان بياجيه[2] في أعماله المنصبّة على الذّكاء عموما وعلى نموّ المفاهيم واللّغة عند الأطفال وعلى الانتظام الذّهنيّ للرّموز عندهم على وجه الخصوص، أثر كـــبير في مباحث التّربية واللّسانيّات العرفنيّة، كما كانت أعمال فيقوتسكي[3] في موسكو رافدا أساسيّا في العرفنيّات في وقت لاحق. ومن أبرز ما سطّر فيقوتسكي وكـــان لـــه أثر بيّن في المباحث النّفسيّة واللّغويّة أنّ مختلف العلميّات النّفسيّة نتاج اجتماعـــيّ وليست من طبيعة فكريّة صرف كما كان سائدا في عهده، وأنّ معاني الكلمـــات تمرّ بمراحل من التّطوّر المعقّد عند الطّفل بدايتها مرحلة الدّلالة الانفعاليّة فدلالـــة مادّيّة حسّيّة تتعيّن بها الأشياء في المحيط فتجريديّة في نهاية المطاف. فيكون التّطوّر الذّهنيّ تغيّرا عميقا في النّظم النّفسيّة بتوسّط الأنشطة اليوميّة الأساسيّة عند الفرد – طفلا بالأساس- يكون ذلك على مراحل تطوّريّة تكون الغلبة في الواحدة منها لوظيفة على أخرى. فالفرد يفكّر بالحفظ طفلا ويحفظ بالتّفكير كهلا. ولعلّ

---

1 Schema.

2 Jean Piaget (1896-1980)

3 Lev Vygotsky (1896-1934)

أبرز أثر لأعمال فيقوتسكي في توجيه المباحث النّفسيّة بعده اعتماد المقاربة النّظاميّة في دراسة الأنشطة النّفسيّة المعقّدة عوضا عن تقسيمها إلى وحدات بسطى نوويّة وأخرى عالية معقّدة.

وممّا استقرّ في مختلف الأبحاث النّفسيّة العرفنيّة في طبيعة العمليّات العرفنيّة ما يلي:

أ-العمليّات العرفنيّة فاعلة (إيجابيّة) وليست منفعلة (سلبيّة):

ينقض هذا المبدأ تصوّر السلوكيّة للكائن البشريّ سلبيّا فهو ينتظر المنبّهات الخارجيّة ليردّ الفعل أمّا علم النّفس العرفنيّ فيتصوّر أنّ الكائن يبحث بحثا إيجابيّا عن المثيرات. فالدّماغ ليس إسفنجة تمتصّ امتصاصا سلبيّا المنبّهات أو المعلومات الواردة من المحيط وإنّما هو موطن عمليّات عرفنيّة إيجابيّة تتضمّن البحث المتواصل والتّحليل والتّأليف. فالذّاكرة ليست عمليّة تسجيل سلبيّ بل هي عمليّة بحث وتحليل وتصنيف وغربلة وكذا الاكتساب أو التّعلّم عامّة.

ب - العمليّات العرفنيّة دقيقة ناجعة:

مظاهر ذلك عديدة منها ما يهمّ الذّاكرة ومنها ما يهمّ حلّ المسائل وعمليّات الفهم والتّمثيل، وجميعها ينجز بالقليل الشّيء الكثير. فالكمّ الهائل من الوحدات اللّغويّة (الأصوات والكلمات والأبنية الإعرابيّة والتّوليفات المتنوّعة، لو حفظ كلّه في الذّاكرة ما أمكن الدّماغ أن يسعه لأنّه محدود مادّيا، كما أنّ التنوّع في العبارات اللّغويّة وفي المتكلّمين وفي أنماط الخطإ والصّواب لا تمنع جميعها الطّفل في مرحلة الاكتساب من اختيار الصّحيح والاحتفاظ به.

ج- معالجة المعلومات الإثباتيّة أفضل من معالجة المعلومات المنفيّة:

يتجلّى ذلك في فهم الجمل فيكون فهم المثبت منها أيسر من فهم المنفيّ، قارن بين "زيد كريم" و"زيد ليس ببخيل" وكذلك فهم المسائل العامّة بل بات من الثّابت أنّ المهامّ[1] القائمة على معلومات تتضمّن شحنة عاطفيّة أو شعوريّة جيّدة تعالج بوجه أيسر ممّا تعالج به المهامّ القائمة على معلومات تتضمّن شحنة عاطفيّة سلبيّة أومُحزنة. ويمكن أن يمثّل هذا المبدأ مدخلا لدراسة الاكتساب اللّغويّ - مثلا- من حيث الطّبيعة الإثباتيّة والسّلبيّة في المعطيات اللّغويّة فيكون المتحقّق في المحيط اللغويّ مثبتا والممتنع ما

---

1 Task(s).

لا يستحقّق أو لا يسمع ومن حيث توجيهات المحيط الأسريّ أو الاجتماعيّ في إثبات عبارة أو نفيها بـ "قل كذا" و"لا تقل كذا" ومن حيث السّمات البنيويّة فيكون الإثبات بمعنى ما في الشيء والنفيّ بمعنى ما لا يُقبل أو ما ليس موجودا.

د- العمليّات العرفنيّة متوازية مترابطة مندمجة:

كلّ عمليّة عرفنيّة عليا تقوم على عمليّات عرفنيّة من درجات دنيا مندمجة على درجات من التّركّب والتّعقّد. كما أنّ الكثير من العمليّات العرفنيّة يقوم في آن على معالجة نازلة ومعالجة صاعدة وهو ما يضمن السّرعة والنّجاعة فيها. فالمعالجة الصّاعدة مركّبة مؤلّفة توجّهها المعطيات وركيزتها المعلومات الصّادرة عن المنبّهات أمّا المعالجة النّازلة فمفكّكة محلّلة توجّهها المفاهيم والتّمثيلات وما يُرتقب في ضوء ما تحفظه الذّاكرة.

اللّسانيّات العرفنيّة

تجري اللّسانيّات العرفنيّة[1] تسمية عامّة على تيّار أو حركة تجمع عددا من النّظريّات الّتي تشترك في الأسس والمنطلقات ولكنّها مختلفة متنوّعة متداخلة في بنائها ومشاغلها وتوجّهاتها ومجالات العناية فيها، وهي تنقسم في المطلق إلى اتّجاهين كبيرين – متصارعين- الأنحاء العرفنيّة والنّحو التّوليديّ في آخر تطوّر له (البرنامج الأدنويّ أو الأدنويّة). وللّسانيّات العرفنيّة صلات بالعلوم العرفنيّة من حيث برنامجها ومفاهيمها العاملة ونقضها لما ليس عرفنيّا في المطلق وفي اللّسانيّات الشّكليّة[2] بوجه خاصّ.

فقد نهضت اللّسانيّات العرفنيّة على نقض تيّارات سابقة نقضا منهجيّا بالأساس، فكان الخروج عن المنهج الإجرائيّ القائم على الوصف البنيويّ والتّوزيعيّ وعلى المنهج الشّكليّ بما في ذلك الأنحاء المركّبيّة والتّحويليّة والمقوليّة الرّياضيّة وعلى المنهج المنطقيّ القائم على شروط الصّدق أو الشّروط الضّروريّة والكافية.

فقوام برنامج الأنحاء العرفنيّة على تناول اللّغة من حيث طبيعتها ووظيفتها الأساسيّتان: فهي نشاط عرفنيّ في ذاتها وحامل لتمثيلات عرفنيّة ولذلك وجب تناولها من زاوية خصائصها الدّلاليّة العرفنيّة ومن زاوية تفاعلها وسائر الملكات

---

1 Cognitive Linguistics.

2 Formal Linguistics (Grammar(s)).

العرفنيّة من قبيل الإدراك والتّذكّر والتّصوير والعمل والتّجسدن وتمثيل البيئة والسّياق وما إلى ذلك. ويمكن أن يختزل برنامج اللّسانيّات العرفنيّة في دراسة الأبعاد العرفنيّة في التّواصل اللّغويّ.

واللّسانيّات العرفنيّة شقّان أوروبّيّ وأمريكيّ، تغلب على المؤلّفات الإنجليزيّة متابعة الشّقّ الأمريكيّ ويغلب على المؤلّفات 'الأوروبيّة' عامّة والفرنسيّة خاصّة – في حدود ما اطّلعنا عليه– الشّقّ الأوروبيّ دون إهمال الشّقّ الأمريكيّ حيث يجري التّذكير ببوادر اللّسانيّات العرفنيّة في أوروبا عامّة وفي أعمال قوستاف قيّوم[1] خاصّة وممّن سعى إلى بلورة تناول عرفنيّ يواصل الآليّة النّفسيّة[2] ويبلورها أو ينشئ تناولا آخر. ولكن يبدو أنّ الغلبة للّسانيّات الإنجليزيّة (الأمريكيّة والبريطانيّة) نوعا وكمّا.

ويمكن قسمة الأنحاء العرفنيّة الأمريكيّة إلى قسمين كبيرين يضمّ الأوّل منهما كلّ النّظريّات أو المناويل الموسومة بالعرفنيّة من جهة ويضمّ الثّاني الأدنويّة الشّومسكيّة، وهي تطوّر للنّحو التّوليديّ فيه عود إلى مبادئ ثابتة فيها منذ البدايات (سنوات 1950) فالأطوار اللاّحقة إلى حدود السّنوات 1980 وانتهاء عند ظهور البرنامج الأدنويّ (شومسكي 1993و1995) وذلك بالتّقليص من الأجهزة الشّكليّة وعمليّاتها والتّركيز على العمليّات العرفنيّة فرديّة كانت في مستوى النّحو المضمر أو كونيّة كانت في مستوى النّحو الكلّيّ ملكةً من ملكات النّوع البشريّ. فلا يعني هذا أنّ مجال اللّسانيّات قد خلص للأنحاء العرفنيّة بل لا يعني أنّ المجال كذلك خلص للأدنويّة في التّوليديّة نفسها، فالواقع على خلاف ذلك إذ ما تزال سائر النّظريّات أو سائر الأطوار من النّظريّة الواحدة فاعلا يشتغل في إطاره الكثير من اللّسانيّين ومن علماء الإعلاميّة ومن لفّ لفّهم.

ومن المظاهر البيّنة – في حدود ما أمكننا الاطّلاع عليه– غلبة المكوّن الدّلاليّ التّصوريّ على الدّرس اللّسانيّ العرفنيّ وضمور العناية بالمكوّنات اللّغويّة المعهودة (الصّوتميّة والصّرف والمعجم وما إليها) وكذلك قضايا الأدب والكتابة، وهي أمور قد بدأت بوادر العناية بها لعلّها تقود إلى تعديل مجال الدّراسة. فمن النّظريّات اللّسانيّة العرفنيّة ما ينصبّ على النّحو في مفهومه الشّامل فيقدّم وصفا متكاملا للمنظومة اللّغويّة من قبيل أعمال لانقاكر وجاكندوف وشومسكي، ومنها ما يمثّل

---

1 Gustave Guillaume.

2 Psychomécanique/Psychosystématique.

مـــناويل أو نظـــريّات تنصبّ العناية فيها على المظهر الدّلاليّ مطلقا أو مخصوصا بالاستعارة مثلا في أعمال لايكوف أو بالدّلالة المعجميّة في أعمال طالمي أو بمستوى الخطاب في أعمال فوكونياي (ذي الأصول الفرنسيّة وتلميذ لانقاكر). كما يمكن إدراج شـــتات مـــن الأعمال المتعلّقة باللّغة وبالإنسان من حيث كانت ركيزة من ركائـــز الـــبحث فيه كائنا مُعَرْفنا[1] حادثا في التّاريخ، وهي بحوث تجمع الكثير من المداخل من قبيل البيولوجيا والإحاثة وعلوم الأعصاب واللّسانيّات والأنتروبولوجيا وغير ذلك وإن لم يكن أصحابها من المختصّين بالمعنى الضّيّق في الواحد منها، وذلك من قبيل أعمال ستيفن بنكر[2].

وكـــان للنّظريّة التّوليديّة في النّصف الثّاني من القرن الماضي موقع ما انفكّت أهمّيّته تتزايد رغم ما كان للنّظريّة من نقلات على مراحلها المعلومة، ولكنّ ذلك لا يعني استقرار الأمور لها أو لأصحابها في المطلق، فقد ظهرت وجهات نظريّة عديدة منذ السّنوات 1960 وازدادت بعد ذلك عددا ونوعا. فقيام التّوليديّة على مركزيّة الإعـــراب[3] واســـتقلاله كان مدخلا لطعون نظريّة عديدة فيها ومخرجا للكثير ممّن اشـــتغلوا في إطارهـــا مـــنذ نـــشأتها من قبيل جون ر. روسّ[4] (وهو تلميذ سابق لشومسكي) وجورج لايكوف[5] وبول بوستال[6] وجيمس ماك كاولاي[7]. وقد كان الخـــروج في البداية سعيا إلى إقامة ما أطلق عليه "الدّلالة التّوليديّة[8]" – وهو أمر لم يتـــبلور في الـــبداية على يد شومسكي إذ اشتغل بالإعراب أوّلا (1957و1965) فالـــصّوتميّة (1968) ثانـــيا- باعـــتماد قواعد يكون بها توليد الأبنية الإعرابيّة من التّمثيلات الدّلاليّة دون توسّط البنية العميقة. وغير خفيّ ما في ذلك من فصل بين المكـــوّن الدّلاليّ والمكوّن الإعرابيّ في عمليّة الاشتقاق، وذاك ما رفضه شومسكي، فقام ما يطلق عليه "الحروب اللّسانيّة"[9] نهاية السّنوات 1960 وبداية 1970 (هاريس

1 Cognizer.
2 Steven Pinker.
3 Syntactocentricity.
4 John R. Ross.
5 George Lakoff.
6 Paul Postal.
7 James McCawley.
8 Generative semantics.
9 Linguistic war(s).

1993). ولكــنّ ذلك التّوجّه تفرّق في مقاربات متعدّدة مثّل بعضها نوى لمناويل نظــريّة تبلورت في السّنوات 1980 في نظريّات قائمة برأسها وخفا بعضها الآخر. ولكــنّ التّولــيديّة أفادت من تلك الحركة بأن جعلت للمكوّن الدّلاليّ موقعا فيها بقــواعد تنتظمه دون أن يخرج عن المكوّن الإعرابيّ الّذي ظلّ مركزيّا على الدّوام كمــا هــو معلــوم وبأن حدثت فيها النّقل المعلومة بتوسيع النّموذجيّة[1] فالعمل والــرّبط[2] فالأدنويّة[3]. ويبدو أنّ من يشتغل في التّوليديّة - على عهد شومسكي- مــصيره أن يخرج عنه خروجا تامّا كما حدث في السّنوات 1970 أو جزئيّا كما حــدث في أعمال جاكندوف وإن في زمن متأخّر (بداية السّنوات 1990) بنظريّته الموسومة بنظريّة الهندسة الثّلاثيّة المتوازية[4]. فقد بدأ لايكوف توليديّ الانتماء دلاليّ الاختصاص وأصبح علَما من الأعلام المؤسّسين للّسانيّات العرفنيّة بنظريّته الموسومة بنظريّة الاستعارة المفهوميّة[5] الّتي بلورها صحبة الفيلسوف مارك جونسون[6] (1980)، أمّــا لانقاكــر فيمثّل علما مؤسّسا لنظريّته 'النّحو العرفنيّ' (1987، 1991). ولئن تعــدّدت تواريخ المؤلّفات وتباعدت فإنّ الدّراسات تعود بنشأة اللّسانيّات العرفنيّة إلى 1987 سنة صدر كلّ من كتاب لايكوف (1987) ولانقاكر (1987)، ومقال طالمــي (1988). وقد صاحب هذا التّأسيسَ المعرفيّ العلميّ بعثُ جمعيّة اللّسانيّات العــرفنيّة العالميّة[7] (سنة 1989) ومجلّتها اللّسانيّات العرفنيّة (سنة 1990) وذلك بعد عقد تقريبا من بعث مجلّة العلوم العرفنيّة[8] (1977) وتأسيس جمعيّة العلوم العرفنيّة[9] بأمــريكا (1979). وإلى هؤلاء ينضاف الكثير من الأعلام الّذين يسهم بعضهم في توسيع دائرة الدّرس اللّسانيّ العرفنيّ ويسهم بعضهم في ترسيخه بالتّأليف التّبسيطيّ في شــكل دروس (تايلــور 1996، 2002). ومنذ ذلك الزّمن ما انّفكتّ جمعيّات لــسانيّة عرفنيّة محلّية أو وطنيّة تتأسّس في بلدان كثيرة أغلبها أوروبّيّ. ويظلّ تأخّر

---

1 Extended Standard Theory (EST).

2 Government and Binding theory.

3 Minimalism (Minimalist Program).

4 Tripartite Parallel Architecture.

5 Conceptual Metaphor Theory (CMT).

6 Mark Johnson.

7 International Cognitive Linguistics Association (ICLA).

8 Journal of Cognitive Science.

9 Cognitive Science Society.

البلاد العربيّة في هذا المجال صارخا صريحا، فعسى أن يكون هذا دعوة إلى ذلك إذا توفّر سبيل إلى إنشاء دراسات عرفنيّة عربيّة عامّة كانت أو مخصوصة بمجال منها بعينه من قبيل اللّسانيّات. ولعلّ توفّر بعض الدّراسات في هذا المجال - رغم احتشامها واقتضابها واكتفائها بقضايا الاستعارة - يمثّل لبنة أولى يمكن البناء عليها.

ولعلّ أحسن ما به يمكن ختم هذا العرض الأوّلي لأسس اللّسانيّات العرفنيّة عدد من النّقاط تختزل ما عليه ثار وما عليه قام هذا التّوجّه الّذي استوى موجة فتيّارا فمدرسة متكاملة الأسس في الدّرس اللّغويّ بلغ أثرها الدّرس العرفنيّ نفسه.

فمن خصائص الأنحاء الشّكليّة، انصباب التّحليل فيها على دقائق الإعراب والصّرف لما يتوفّر فيها من أسس شكليّة تقبل الوصف والرّصد والضّبط، ومنها استقلال اللّغة مكوّنا من مكوّنات الذّهن واكتفاؤها بذاتها ولعلّ أبرز من رسّخ ذلك هو مبدأ المنظوميّة[1] كما تبلور في أعمال فودور، ومنها كون الإعراب المكوّن الرّئيسيّ بل هو المكوّن الوحيد في اللّغة (مركزيّة الإعراب) وما يتبع ذلك من تحديد للنّحو الكونيّ على أساس إعرابيّ ليس غير. ومنها قيام التّمثيلات الدّلاليّة على أساس شكليّ منطقيّ لها في الحواسيب ما يضاهيها ولها أسس منطقيّة كافية (الشّروط الضّروريّة والكافية، السّمات الدّلاليّة[2]، البنية المواصفيّة[3] وما يتّصل بها من تمثيل الأوّليّات الدّلاليّة[4] المنطقيّة).

ونظفر بخصائص الأنحاء العرفنيّة - في الأغلب- في ما يعبّر عنه أصحاب النّظريّات في كتاباتهم لتأسيس مواقفهم وبيان الخروج عن السّابق من أنماط الوصف والتّحليل، ومنها دراسة اللّغة من زاوية وظائفيّة عامّة ومن زاوية وظائفيّة نفسيّة (عرفنيّة) في إطار اجتماعيّ والمعتمد في ذلك على كلّ الملكات أو الآليّات من قبيل الإدراك والانتباه والمفهمة[5] والمعنى والمقولة والخطاطات وزوايا النّظر[6] ومقام التّخاطب في إطار التّفاعل الاجتماعيّ والغايات التّواصليّة من حيث قيامها على المقاصد والتّخطيط والتّذكّر وما إليها. ومنها العناية الأساسيّة بالدّلالة ومفهمتها،

---

1. Modularity.
2. Semantic feature(s).
3. Qualia structure.
4. Semantic primitives.
5. Conceptualization.
6. Vantage(s), vantage point.

ومـــنها كـــون اللّغة ملكة من ملكات عرفنيّة تستوجب دراستُها وصلَها بها فلا هي مكتفـــية بذاتها ولا هي معزولة عنها، ولذلك وجب أن تُدرس في إطار عرفنيّ متكامل فيه جميع الأبعاد الجسديّة والبيئيّة والثّقافيّة الجماعيّة (لانقاكر، جاكندوف، ...). ويمثّل هذا صدى لتطوّر العلوم العرفنيّة بمختلف مناحيها إلى الجسدنة والبيئة، ولذلك تتصوّر جمـــيع العمليّات اللّغويّة على أنّها عمليّات عرفنيّة في جوهرها. ومن خصائص الأنحاء العرفنيّة اعتماد طريقة في التّمثيل استعاريّة أيقونيّة (انظر طريقة لانقاكر وطالمي من جهة وطـــريقة جاكندوف من أخرى وفيها بعض من الأيقونيّة والمنطقيّة الشّكليّة). ومنها الـــسّعي إلى إقامة الوصف النّحويّ على أرضيّة عرفنيّة نفسيّة عصبيّة فالثّوابت اللّغويّة ثـــوابت عـــرفنيّة ذهنيّة في أساسها وليست شكليّة ولذلك وجب اعتماد جميع الأطر النّظـــريّة الّتي تهتمّ بالإنسان عامّة من قبيل الأنتروبولوجيا (سابير ومن لفّ لفّه) وعلم النّفس (الجشطلت والنّظريّة الطّرازيّة وما إليها) وما إلى ذلك.

علاقة اللّسانيّات بالعلوم العرفنيّة

يمكـــن أن تتـــناول العلاقـــة من زاويتين: إفادة اللّسانيّات من العلوم العرفنيّة وإفادتهـــا إيّاهـــا وذلـــك من حيث الحقائق والنّتائج ووجوه التّناول. وتتجلّى إفادة اللّسانيّات العرفنيّة من العرفنة عامّة ومن علم النّفس العرفنيّ بوجه خاصّ تواتر المفاهيم المعتمدة في مختلف النّظريّات من قبيل الخطاطة والتّصوير الذّهنيّ[1] والجشطلت والمسح[2] والطّراز[3] ونظريّة الإبصار وما إليها عند لانقاكر ولايكوف وطالمي وجاكندوف على ســـبيل المثال. ومن الحاسوبيّة تستعار مفاهيم أخرى من قبيل الحوسبة واللّمّة وأنواع الذّاكرة الحاسوبيّة وما إليها عند جاكندوف وشومسكي ومن علوم الدّماغ تستعار مفاهيم الشّبكيّة والتّرابطات والتّوزّع والتّزامن في المعالجة.

ومن المبادئ الموجّهة للدّرس اللّسانيّ العرفنيّ الالتزام بأمرين: الالتزام بالتّعميم[4] والالتـــزام العـــرفنيّ[5]، وهما مبدآن سطّرهما لايكوف (1990) وتبلورا في كتابات عرفنيّة عديدة بوجوه عديدة:

1 Mental Imagery.

2 Scanning.

3 Prototype.

4 Generalization commitment.

5 Cognitive commitment.

يتمـــثّل الالتزام بالتّعميم في أن يستوعب الدّرس اللّسانيّ العرفنيّ جميع المظاهر في النّـــشاط اللّغـــويّ، وليس لهذا المبدإ صلة مباشرة بالتّعميم المعهود من سعي إلى إدراك الخـــصائص الكلّـــيّة، فممّا ترفضه اللّسانيّات العرفنيّة تناول اللّغة على أنّها مـــنظومات مـــستقلّ بعضها عن بعض (صوتميّ، صرفيّ، إعرابيّ، دلاليّ، معجميّ، تـــداوليّ ... إلخ) وبـــدلا من ذلك تسعى إلى دراستها جميعا في تفاعلها وتكاملها واشتغالها معا، ببيان انبثاقها من الأرضيّة العرفنيّة العامّة وتفاعلها معها.

ويتمثّل الالتزام العرفنيّ في السّعي إلى إقامة حقائق لغويّة توافق الحقائق العرفنيّة الثّابـــتة في ســـائر العلوم العرفنيّة. ويندرج هذا الالتزام اندراجا طبيعيّا في الالتزام الـــسّابق إذ لا يـــستقيم تعميم في شأن اللّغة ما لم يستقم من زاوية عرفنيّة عامّة، ولذلك وجب أن تراعى طبيعة العرفنة وخصائصها في إقامة النّظريّة اللّسانيّة فيلغى منها كلّ ما ليس ذا أرضيّة عرفنيّة.

ومـــن المبادئ الأخرى الّتي وجّهت الدّرس اللّسانيّ العرفنيّ عامّة وعليه قامت بعـــض النّظـــريّات فيها نجد الفرضيّة الرّمزيّة[1] والفرضيّة القائمة على الاستعمال[2]. وقـــوام الفرضـــيّة الرّمزيّة كون اللّغة تقارنا بين الصّوت والمعنى وقوام النّحو تنظيم ذلك التّقارن الرّمزيّ على درجات مختلفة من التّركيب والبناء، وهو جليّ ظاهر في نظـــريّة الـــنّحو العـــرفنيّ عند لانقاكر وفي أعمال طالمي (2000). وقوام فرضيّة الاستعمال أنّ النّحو الذّهنيّ عند الفرد إنّما هو تجريد لاستعمالات عديدة في الواقع فـــلا مجـــال للفـــصل بين المعرفة والاستعمال كما هو الحال في التّوليديّة (النّحو المضمر/النّحو المظهر أو القدرة والإنجاز)، فالمعرفة هي الاستعمال والعكس قائم إذ العارف باللّغة هو العارف بما به يكون استعمالها. ولهذه الفرضيّة حضور كبير في ما تعلّق بالاكتساب اللّغويّ (طوماسلّو2000) وبالتّغيّر اللّغويّ عامّة والإنحاء خاصّة في أعمـــال ويلـــيام كروفت (1996) وهاييني وجماعته (1991) مثلا، وإن لم تنتف في سائر النّظريّات اللّسانيّة العرفنيّة جميعها.

ومـــن الموضوعات المتواترة عند أعلام النّظريّات اللّسانيّة العرفنيّة ما به تسهم اللّـــسانيّات العرفنيّة في المباحث العرفنيّة العامّة. ولعلّ شومسكي يمثّل أبرز الأعلام في هـــذا الـــشّأن حيث يطرق بتواترٍ علاقة الملكة اللّغويّة بالذّهن أو الذّهن/الدّماغ

---

1 Symbolic thesis.

2 Usage-based thesis.

وتموضعها فيه ويذهب إلى أنّها عضو ذهنيّ كما يطرق علاقة اللّسانيّات بعلم النّفس. ولعلّ أبرز ما تفيد به اللّسانيّات العرفنيّة الدّرس العرفنيّ يتمثّل في توصّلها إلى العود بالنّشاط اللّغويّ إلى أرضيّته الذّهنيّة العصبيّة بأن جعلت منه مهارة من جملة مهارات عرفنيّة يمتلكها البشر، وهي مهارة محكومة بالمبادئ العرفنيّة العامّة لا بمبادئ لسانيّة خاصّة باللّغة دون سائر الملكات العرفنيّة. فاللّغة متناولةً في حركيّتها واشتغالها تمثّل مدخلا لفهم الكثير من مظاهر العرفنة البشريّة من حيث طبيعتها وتغيّرها خلال الزّمن ونشوؤها أو اكتسابها وهو ما تقصر دونه المداخل الشّكليّة المعهودة.

العرفنة: ماهيتها، اشتغالها ووظيفتها

ما انفكّت مجالات العلوم العرفنيّة تتوسّع وتتعقّد وتتداخل، ينضاف إلى ذلك سعي إلى التّجذّر في بنية الدّماغ وتوسّع في مجال البحث إلى المحيط والبيئة الّتي يعيش فيها الكائن المعرفِن. فالعلوم العرفنيّة علوم متظافرة تدرس العرفنة من حيث طبيعتها (ما هي العرفنة؟) ومن حيث اشتغالها (كيف تشتغل العرفنة؟) ومن حيث وظيفتها (ماذا تفعل العرفنة؟). وتبلور هذا الثّالوث من القضايا على طورين أوّلهما قوامه الحاسوب في ما يعرف باستعارة الحاسوب وهو الطّور الحوسبيّ وثانيهما قوامه الدّماغ وهو الطّور التّرابطيّ في ما يعرف باستعارة الشّبكات.

خلال الطّور الحوسبيّ (السّنوات 1970)، قام تصوّر العرفنة على أساس معالجة المعلومات فجرى تعريف العرفنة بكونها معالجة المعلومات في الدّماغ، وما تفعله العرفنة يتمثّل في تمكين الفرد من السّلوك الذّكيّ من قبيل حلّ المشاكل وفهم الأشياء، وتشتغل العرفنة اشتغال الحاسوب حيث تشفّر المعلومات في شكل تمثيليّ رمزيّ تعمل عليه قواعد تشبه الخوارزمات (اللّوغارتمات) في لغة البرمجيّات الحاسوبيّة. وغير خفيّ ما للذّكاء الاصطناعيّ من أثر في بلورة هذا التّصوّر إذ كان المعتقد في هذا الطّور أنّ العمليّات الذّهنيّة بعناصرها وآليّاتها تقبل التّمثيل بمعزل عن بنية الدّماغ في شكل يشبه الرّموز والخوارزمات الّتي يعمل عليها الحاسوب وهي عبارة عن برمجيّة تتضمّن صراحة جملة من الأوامر تحدّد خطوة فخطوة مسار المعالجة للوصول إلى الحلّ، وهو ما يطلق عليه "الاستعارة الحاسوبيّة" أو "استعارة الذّهن حاسوبا[1]".

---

1 Computer metaphor/Mind-as-compuetr metaphor.

ولكــنّ الأشياء تبدّلت خلال الطّور التّرابطيّ (السّنوات 1980) حيث تبيّنت صــعوبة اختــزال العرفنة البشريّة والإحاطة بها ماهية واشتغالا وفعلا على منوال الحاســوب، وكــان التّوجّه إلى الدّماغ أساسا في تصوّر العرفنة فلا يمكن الحديث عــنها ما لم تربط بنشاط الدّماغ، وما لم تكن الحقائق المتعلّقة بها مدعومة بحقائق علوم الأعصاب ومكتشفاته المتزايدة، بل يذهب بعض علماء العرفنة إلى أنّ معرفة الدّماغ هي الموصلة إلى ماهية العرفنة والموقفة على أسس اشتغالها. فحدث التّحوّل مــن الحاسوب أساسا ونموذجا إلى الدّماغ أرضيّة. وساعد على تحقّق تلك النّقلة تطوّرتقنيّ وتقدّم معرفيّ كبيران في علوم الدّماغ في السّنوات 1970 تبلور في إطاره عــند علماء الأعصاب العرفنيّين ما يعرف بالمعالجة المتوازية الموزّعة[1]. وقوامها أنّ العملــيّات العرفنيّة متوازية لا سلسليّة وأنّ العمليّات العصبيّة الّتي تصاحبها موزّعة ممــتدّة علــى القشرة الدّماغيّة ولا تنحصر في موقع واحد بعينه وتتشكّل في عقد مترابطة (ماك للاّند وروملهارت 1986)[2].

وإذ كــان الدّماغ أداة طبيعيّة كانت العرفنة وظيفته في ضمان الحياة للكائن المعرفن في بيئته، ولهذا الأمر اتّسعت دائرة العناية في العرفنة لتشمل موقع الجسد في العــالم فتحوّلت العناية من رصد الأنشطة الذّهنيّة الصّرف إلى ما به يكون ممارسة المهــارات والملكــات العرفنيّة في عالم الأشياء والواقع، وهو ما يطلق عليه المناسبة البيئيّة[3]. وهذا المبدأ ذو منابت نفسيّة عرفنيّة يعني أنّ النّتائج الّتي تحصل في الأعمال المخــبريّة يجب أن تقبل الانطباق ضرورة على مظاهر السّلوك في الأوساط الطّبيعيّة اليومــيّة العاديّة (كوهين 1989، وينوغراد 1993). وصاحب جميع ذلك تحوّل في مظاهر الدّراسة في علم النّفس فخرجت من المخابر تُسبر فيها المباحث المعهودة فيها إلى دراســة المهارات الجارية في الأوضاع الواقعيّة، ومن مجرّد صوغ برمجيّات ذكيّة إلى بــناء روابيت تقدر على العيش في بيئة حقيقيّة وعلى التّفاعل مع عناصر تلك البيــئة، في علم الذّكاء الاصطناعيّ. واتّسع لجميع ذلك مفهوم العرفنة لتشمل كلّ مظهــر تستجيب به الذّات المعرفنة لكلّ ما يطرأ في محيطها الاستجابة المناسبة وهي الملكة الّتي بها تتفاعل الذّات مع محيطها تفاعلا عاقلا ذكيّا.

---

1 Parallel Distributed Processing.

2 McClelland & Rumelhart.

3 Ecological validity (validité écologique).

ولــئن مثّلت النّقلة من الحاسوب نموذجا إلى الدّماغ في المباحث العرفنيّة فإنّ الدّماغ نفسه لا يكفي بذاته أساسا للعرفنة وحيدا بل إنّ اعتماد العرفنة في علاقتها بالمحــيط والجسد حالاّ في ذلك المحيط ووسائط العرفنة وتوزّعها جعلت من العناية تنحو إلى البحث في مظاهر التّفاعل بين الدّماغ والمحيط إطارا عامّا يمثّل نظاما إطارا للعــرفنة، وهــذا ما يطلق عليه العرفنة المتموضعة[1]. ويصاحب هذا التّوجّهَ نــزعة أخرى توازيه إلى توسيع مكوّنات العرفنة في الطّور التّرابطيّ (الدّماغ وما خرج عنه من عناصر المحيط) لتضمّ كذلك جميع النّظم الحركيّة[2].

خاتمة

لعــلّ أفضل ما يختم هذا التّمهيد تقرير بسيط مداره أنّ قيام العلوم العرفنيّة لم يكــن صــدفة أو طفرة. وهو أمر محتاج إلى كتاب برأسه ولكنّ بعض الإشارات العامّة تثبت بها التّضاريس العامّة يفيد بوجه من الوجوه على نقائصه، ويمكن العود في تــوجّه آخر إلى مباحث الفكر واللّغة والعقل والجسم والرّوح والمادّة منذ فجر الــتّاريخ الحــديث ولكنّنا لا ندّعي الإحاطة بجميع ذلك والمهمّ أن نشير إلى توفّر حقائــق علميّة تثبت ما سبق أو تكشف الجديد وإلى قيام نظريّات تحوّر القديم أو تبدأ جديدا وذلك على امتداد القرن التّاسع عشر والنصف الأوّل من العشرين.

ففي اللّغة وما حايثها نجد أعمال بروكا[3] (1861، 1865) في العاهات اللّغويّة النّطقيّة حيث ثبت ارتباط بعض الأنشطة اللّغويّة بمواقع مخصوصة في الدّماغ تتلف هــذه فتتعطّل تلك في ما أصبح يعرف بمنطقة بروكا ونجد كذلك أعمال فرنيكا[4] (1874) في فهم اللّغة مواصلة لنفس التّوجّه الّذي غرس بوادر اللّسانيّات العصبيّة. وفي مجــال الأعصاب نشأت بوادر قيس النّشاط الذّهنيّ قيسا زمانيّا يهمّ العمليّات الذّهنيّة وخاصّة في أعمال دوندرس[5] (1865) كما كان التّنشيط الكهربائيّ لبعض المواقع في دماغ القرد في أعمال شرّنقتون[6] (1901) وظهور بنية الخلايا في الدّماغ

---

1 Situated cognition (cognition située)

2 Dynamic systems.

3 P. Broca. (1824-1880)

4 C. Wernicke. (1848-1905), 1874. Der Aphasische Symptomencomplex.

5 F. C. Donders.

6 C. Sherrington.

عـــند بـــرودمان[1] (1909). أمّا في المباحث النّفسيّة فقد كانت الدّعوة إلى اعتماد مقاربـــة تجـــريبيّة ميكانيستيّة للعمليّات الفكريّة ومظاهر الوعي في أعمال برنتانو[2] (1874) كمـــا ظهـــرت بوادر نظريّة الجشطلت عند فون إيرنفلس[3] (1890) ثمّ تـــبلورت في أعمـــال كوهلر وكفّكا[4] في ما بين السّنوات 1920 و1940، وفيها تركّزت فكرة الإدراك الإجماليّ والعمليّات العرفنيّة النّازلة[5].

وكانـــت أبحاث بارتلات (1932) في التّمثيل الخطاطيّ واشتغال الذّاكرة وما رافقها من بداية خروج عن السّلوكيّة بظهور لبوادر السّلوكيّة الجديدة، وتأسيسها لمـــا ســـيعرف بعد ذلك بالتّرابطيّة، في أعمال هول[6] (1943) ثمّ كان أن دُحضت أسسها دحضا مطلقا بناء على كون الدّماغ نظاما حركيّا يتكوّن من نظم متفاعلة دائمـــة النّشاط، في أعمال لاشلاي[7] وخاصّة منها محاضرته في ندوة هيكسون سنة 1948 في باســـيدنا بكاليفورنـــيا ثمّ قيام مطارحات نظريّة بين شومسكي وسكينّر منتصرا للسّلوكيّة ما بين 1957 و1959 ويعتبر هذا التّاريخ في الكثير من الدّراسات نهايـــة للـــسّلوكيّة. أمّا في الإعلاميّة والحوسبة الآليّة فكانت نظريّة الكائنات الآليّة (وهـــي بوادر الرّوبوتيّة في الذّكاء الاصطناعيّ) ومحاكاة النّظام العصبيّ المركزيّ في أعمـــال ماككولّخ وبيتس[8] (1943) وظهور كتاب فينار في السّيبرنيتيّة (1947). واقترن بذلك قيام نظريّة الإخبار في صياغتها الرّياضيّة في أعمال شانّون[9] (1949) ثمّ اعـــتماد مبادئها في دراسة الذّاكرة وعمليّات التّحكّم العرفنيّ في أعمال عدد من الباحثين لعلّ أبرزها مقال ميلاّر[10] (1956).

ولقـــد أشـــرنا إلى أنّ ظروف الحربين العالميّتين الأولى والثّانية بما اكتنفها من حاجـــة تقنـــيّة حـــربيّة تطـــوّرت لها تقنيات الطّيران وكيمياء الأسلحة وتقنيات

---

1 K. Broadman.

2 F. Brentano. (1938-1917).

3 C. Von Ehrenfels.

4 Koffka, Köhler.

5 Holism, top-down processes.

6 C. L. Hull. 1943. Principles of Behavior.

7 Karl Lashley (1890-1958), Symposium Hixon, Passadena, California, 1948.

8 W. McCulloch & W. Pitts. 1943. A Logical Calculus of the Ideas Immanent in Nervous Activity.

9 Shannon .C. 1949. Mathematical Theory of Communication.

10 Miller, G.-A. 1956. The Magic Number Seven, plus or minus two, Psychological Review, 63, 2, 81-97.

التّواصـــل وغيرها ولجميعها تطبيقات سلميّة بعد ذلك وما انجرّ عنها من تشوّهات وكــوارث تطــوّرت لهـــا تقنيات الطّبّ والمداواة وعلوم الأعصاب وما إلى ذلك وجمـــيعها مثّلت حاضنة لما ستتألّف منه العلوم العرفنيّة في انتظار أن تنصهر في علم واحـــد. ولعلّ العبارة الإنجليزيّة في إفراد علم العرفنة سابقة للفرنسيّة المحافظة على تعدّد علومها[1].

ومهمـــا يكـــن مـــن أمر فإنّ العرفنة بحث في ما به يكون الذّكاء في النّظم البيولوجيّة الطّبيعيّة، وإذ كان حامله الأساسيّ حاملا عصبيّا فإنّ البرنامج المستقبليّ مـــتوجّه إلى الكـــشف عن تجذّر الذّكاء في الحامل العصبيّ، وبالكشف عن ذلك يكـــشف الإنـــسان عمّا به كان إنسانا كائنا ذكيّا فردا ونوعا منشئا للحضارات عمـــارة وفـــنّا وعلما. ولكنّ الطّريق طويلة إلى ذلك. أو لم يعرّف نُوَلّ[2] (1982) التعقّل أي الذّكاء بما معناه: إذا كان لشخص ما هدف ما ويعلم أنّ عملا ما يؤدّي إلى ذلك الهدف فإنّه يختار ذلك العمل؟

---

1 Cognitive Science, Fr: Sciences Cognitives.

2 Newell A. 1982. The Knowledge Level, Artificial Intelligence, 18, 87-127.

القسم الثّاني

في بعض النّظريّات اللّسانيّة العرفنيّة



الباب الأوّل

في اللّسانيّات التّوليديّة

مقدّمة

قد لا يفيد الخوض في تاريخ التّوليديّة نشأة وتطوّرا خلال العقود السّتّة الماضية، ولكنّ ذلك يظلّ عملا أساسيّا يغنينا عنه انتشار هذه النّظريّة المدرسة، ولذلك يكون اهتمامنا مقصورا على طور الأدنويّة وما حايثه من التّنويعات في النّهج التّوليديّ.

ولذلك جعلنا هذا الباب فصولا أوّلها في البرنامج الأدنويّ (شومسكي) بما يقوم عليه برنامج البحث ومفاهيم عامّة عاملة من قبيل النّحو الكونيّ والنّحو المخصوص؛ والمبادئ والبرامترات؛ والنّحو الذّهنيّ؛ واللّغة عضوا ذهنيّا ثمّ اشتغال النّحو الأدنويّ معجما وحوسبة ذهنيّة. وثانيها في الهندسة الثّلاثيّة المتوازية كما تبلورت في أعمال جاكندوف قائمة على عدد من المبادئ - وإن لم تكن من خصوصيّاتها- منها التّوليفيّة ولا مركزيّة الإعراب ولا اتّجاهيّة الحوسبة، وعلى عدد من أسس الهندسة النّحويّة من قبيل التّصافحات ثنائيّةً وثلاثيّةً واشتغال المعالجة النّحويّة في إطار المعالجة الذّهنيّة العصبيّة على أساس التّوازي والتّوزّع.

هذا في المظهر النّحويّ النّظريّ ينضاف إليها فصل ثالث في المعالجة اللّغويّة يتضمّن الاتّجاهات الكبرى أوّلا فنظريّة اللّمّات (كما تبلورت في أعمال لوفلت وغيرها من الأعمال) بما تقوم عليه من تصوّر لبنية المعجم الذّهنيّ وانتظام العناصر فيه وجملة الآليّات العاملة في المعالجة المعجميّة من استحضار و/أو بناء وجميع ذلك في إطار نحويّ ذهنيّ عامّ يجمع المكوّنات الدّلاليّ والإعرابيّ والصّرفصوتميّ. وإذ كان هذا الفصل لصيقا بالمشغل الأساسيّ في اللّسانيّات النّفسيّة واللّسانيّات العصبيّة رأينا من المفيد تخصيص فقرة لنظريّة اللّوغونات لما لها من أثر في المعالجة اللّغويّة عامّة والمعالجة المعجميّة بالخصوص وإن لم تندرج في النّهج التّوليديّ الّذي قام عليه هذا الباب.



الفصل الأوّل

البرنامج الأدنويّ

تمـــثّل الأدنويّة[1] طورا وريثا ومغيّرا لما سبقه من أطوار النّظريّة التّوليديّة، تعود بـــوادره إلى النّصف الثّاني من ثمانينيّات القرن الماضي واستوى بمعالمه برنامجا لبحث بظهور المقالات المجموعة تحت عنوان "البرنامج الأدنويّ[2]" (شومسكي 1995) وقد مثّلت منطلقا لما أصبح يعرف بعد ذلك بالأدنويّة[3].

برنامج البحث

حـــدّد شومسكي (1995، 17) برنامج البحث في اللّسانيّات في عدد من المـــسائل طـــرحت في أطـــوار التّوليديّة المتعاقبة منذ نشأها وعولجت بمقاربات متـــنوّعة ولكنّها حافظت على الحلول الجوهريّة وإن تبدّلت في بعض جزئيّاها: مـــاذا يعـــرف الشّخص عندما يتكلّم بلغة ما (مخصوصة)؟ كيف اكتسب هذا الـــشّخص تلك المعرفة؟ كيف يُجري هذا الشّخص تلك المعرفة في الاستعمال؟ كـــيف تطوّرت خصائص الذّهن/الدّماغ في علاقتها بالملكة اللّغويّة في مستوى النّوع البشريّ؟ كيف تتجلّى هذه الخصائص في نشاط الدّماغ وميكانـــزماته؟ وقـــد اجـــتمعت هذه المسائل في "المعرفة اللّغويّة: طبيعتها وأصولها واستعمالها" (شومسكي 1986).

---

1 Minimalism.

2 Minimalist Program.

3 خيّرنا الأدنويّة على "الاختصاريّ" لأنّ الاختصاريّ لا يؤدّي – في رأينا– المعنى الإنجليزيّ لأنّ الاختـــصار ضديد الطّول والتّفصيل، بمعنى أنّ للنّحو صياغتين واحدة مطوّلة وأخرى مختصرة وهذا غير موجود في تصوّر شومسكي إذ تبلور البرنامج الأدنويّ نتيجة لضغط حقائق عرفنيّة تبيّن بها أن لا وجود لقواعد كثيرة معقّدة متشابكة كما كان يُتصوّر، في الأطوار السّابقة من التّولـــيديّة، وإنّما هي من أبسط ما يكون. فقيام البرنامج الأدنويّ لا صلة له ببرنامج مطوّل كـــان أو ســـيكون يقتضي اختصارا. فالنّحو برنامج بيولوجيّ، لا يطول فيختصرَ وإنّما هو أدنويّ بمعنى قائم على أفضل ما يكون، وهي فكرة قامت عليها نظريّة الأفضليّة (Optimality Theory).

وأمّـــا ما يعرفه الشّخص عندما يتكلّم بلغة مخصوصة فمعناه أنّ له لغة ل تولّد أوصافا بنيويّة[1] (هي جملة الخصائص الصّوتيّة والإعرابيّة والدّلاليّة الّتي تكون لعبارة مـــا) مـــن حـــيث مثّلت اللّغة الّتي يملكها مولّدا محدودا لمجموعة غير محدودة من الأوصـــاف البنيويّة، وكلّ واحد من هذه الأوصاف يعيّن بدوره الأوصاف البنيويّة لعـــبارة بعيـــنها. وذاك ما يسمّيه شومسكي "اللّغة المضمرة"[2] فلهذا الشّخص لغة مضمرة[3] فرديّة[4] مفهوميّة ذاتيّة نسبيّة[5]:

هـــي مـــضمرة بمعـــنى باطـــنة مـــن حيث هي قدرة مخزونة تمثّل حالا في الـــذّهن/الدّماغ موجودة في ذاتها وجودا مستقلاّ عن سائر الأشياء في الكون. وهي فـــرديّة مـــن حـــيث تعلّقت بالشّخص العينيّ المفرد دون سائر الأفراد المنتمين إلى مجموعته اللّغويّة والّذين يمتلكون نظائر أو أشباه ما يملك ويمكن أن تشمل المجموعةَ اللّغويّة عن طريق السّحب، سحب الفرديّ على الجماعيّ. وليس من المفروض أن يكون الشّخص واعيا بحصول تلك المعرفة عنده بل ليس من اليسير أن يُجعل واعيا بذلك. وهي مفهوميّة ذاتيّة نسبيّة – في المعنى المنطقيّ الصّناعيّ- من حيث كانت مخصّـــصة مـــن زاوية المفهوم دون الماصدق- والعبارة لشومسكي (1995، 15)- ويعـــرّف كينـــــز[6] المفهوم الذّاتيّ النّسبيّ[7] بكونه كناية عن مجموعة الصّفات الّتي يمتلكها الفرد عن شيء أو موجود ما سواء كانت تلك الصّفات أساسيّة أو ثانويّة. وهذا المفهوم الذّاتيّ نسبيّ لأنّه يختلف باختلاف الأفراد والمكان والزّمان[8]. وفي ضوء هـــذا، يكون ماصدق اللّغة المضمرة مجموعةَ الأوصاف البنيويّة أي ما يمكن تسميته بنـــية اللّغة المضمرة. ومن حيث المبدأ يكون للغتين مضمرتين مختلفتين نفس البنية ولكنّ ذلك غير متوفّر إجرائيّا، فالنّحو الكونيّ يسمح بوجود لغات متعدّدة.

وتعـــود بـــوادر فكرة اللّغة المضمرة – في حدود ما أمكننا الاطّلاع عليه – إلى شومـــسكي (1986، 21 ومـــا بعـــدها) حـــيث يـــنطلق مـــن فكرة أوتّو

---

1 Structural description(s).
2 I- language.
3 Internal.
4 Individual.
5 Intensional.
6 Keynes: Formal Logic.
7 Intension.
8 نقلا عن: مهدي فضل الله (1990، هامش 47، ص 62-63).

ياسبرسن[1] (1924) القائلة بوجود "مفهوم للبنية" في ذهن المتكلّم على درجة من التّحدّد تقوده في صياغة عبارات خاصّة به أوعبارات جديدة ما سبق له أو لسائر النّاس أن سمعها. وعندها اقترح شومسكي تسمية تلك البنية الذّهنيّة 'لغة مضمرة'. فيكون النّحو بناء على ذلك نظريّة في اللّغة المضمرة. وإذا كان النّحو نظريّة وكانت اللّغة المضمرة موضوعه فمن الواجب أن يكون الموضوع موجودا حتّى يمكن الحكم للنّظريّة بالصّواب أو عليها بالخطأ.

وأمّا في المبحث المتعلّق بكيفيّة اكتساب الشّخص المتكلّم بلغة لتلك المعرفة، فالمفترض في نظريّة النّحو الكونيّ وجود حال بدئيّة[2] فيها قدرة على اكتساب اللّغة المضمرة أي عدد من الوسائل الّتي يجهّز بها الذّهن فطريّا أو وراثيّا وتشتغل منذ بداية التّعرّض للأقوال والعبارات لاستخلاص النّحو من الكلام المسموع في المحيط الاجتماعيّ. ونظريّة النّحو الكونيّ تقوم كذلك على بيان ما به يكون التّفاعل بين الحال البدئيّة وعوامل النّضج العصبيّ العرفنيّ عند الطّفل وعوامل المحيط والبيئة. ويفترض شومسكي وجود آليّة اكتساب لغويّ[3] عند الطّفل بها يتمكّن من بناء نحو ذهنيّ يستخلصه من الأقوال الخليط بأن يهتدي إلى البنية الكامنة فيها جميعا ويستبطنها لتستوي في ما يسمّيه اللّغة المضمرة.

ويمثّل الذّهن/الدّماغ نظاما معقّدا من المكوّنات المتفاعلة منها الملكة اللّغويّة، وهو نظام خاصّ بالجنس البشريّ لا مثيل له عند سائر الأجناس ومتوفّر عند جميع أفراده توفّرا واحدا. وعندما يحدث الاتّصال ما بين هذه الملكة والمعطيات (الكلام الجاري في محيط الطّفل الاجتماعيّ)، تنتقي الملكة لغة مخصوصة هي العربيّة – مثلا- أو غيرها وفق المجموعة البشريّة. وهذه اللّغة المخصوصة بدورها تحدّد جملة من الظّواهر الممكنة تتجاوز بكثير المعطيات الّتي تعرّض لها الطّفل، فهو لا يتعرّض لجميع الأقوال بما فيها من القواعد والأبنية والمعاني وإنّما يتعرّض لنماذج محدودة مهما كثرت ومنها يُكوّن اللّغة العربيّة. ويكون تمثيل هذه العمليّة كما يلي (شومسكي 1988، 35):

المعطيات ← الملكة اللّغويّة ← اللّغة ← عبارات ذات بنية[4].

---

1 Otto Jesperson.

2 Initial state.

3 Language Acquisition Device.

4 Data →language faculty →language→ structured expressions.

فــإذا نشأ الطّفل مجهّزا بالملكة اللّغويّة في مجموعة بشريّة تتكلّم العربيّة، أو لهجة مخــصوصة مــنها هي اللّهجة التّونسيّة مثلا، تنتقي الملكة المعطيات المفيدة من الأقوال الجارية في محيطه ويبني الطّفل اللّغة معتمدا تلك المعطيات بوجه تحدّده بنيتها الدّاخليّة، وباكــتمال ذلــك البناء تحلّ اللّغة العربيّة في الذّهن. وبحلولها في الذّهن تبلغ الملكة اللّغــويّة طور الاكتمال والنّضج به يكون الطّفل قادرا على التّكلّم بالعربيّة وفهمها دون إشكال. وبنضج الملكة واكتمال النّحو في الذّهن/الدّماغ يكون قد حصل عند الطّفــل مــا به يكون قادرا على معرفة ما لم يُعلّم إيّاه قطّ أو سمعه إنتاجا وفهما، وذلك من قبيل الاهتداء إلى أنّ كلمة ما تنتمي إلى لغته أو لا تنتمي أو صياغة جمع من مفرد على وجه مقبول أو تأويل قول على غيرمعناه الحرفيّ وما إلى ذلك.

وتتكــرّر عــند شومسكي فكرة الفرديّة (1988، 36 و1995، 15) ولكن بمفهومين مختلفين متكاملين، فاللّغة ظاهرة فرديّة من حيث كانت نظاما ذا تمثيل في ذهن/دماغ فرد معيّن. ولذلك يستحيل أن تجد شخصين لهما نفس اللّغة وإن كانا تــوأمين نشآ في محيط واحد ولكنّ هذا الاختلاف لا يمنع من التّواصل، والتّواصل ممكــن مــا اتّفق الطّرفان في اللّغة إلى درجة ما (1988، 36). أمّا الفرديّة في اللّغة المــضمرة فهــي بالمعنى الّذي سبقت الإشارة إليه قبل هذا. فالأطفال المنتمون إلى مجمــوعة لغويّة واحدة يبني الواحد منهم نحوا ذهنيّا يشبه النّحو الذّهنيّ الّذي يبنيه الآخــر رغــم تعرّضــهم لــتجارب مختلفة متباينة في مجموعتهم اللّغويّة من قبيل الاختلاف في الجهات أو الحيّ أو المستوى الطّبقيّ، وهذا أساس يَثبت به وجودُ آلية الاكتساب اللّغويّ بشكل فطريّ. فمجموعة الأطفال هذه تشترك في امتلاك قيود داخليّة تقود الواحد منهم في بناء النّحو الذّهنيّ وفق مبادئ واحدة مشتركة فيكون الاتّفاق بينهم في النّحو عند انتهاء مرحلة الاكتساب.

وأمّــا جريان تلك المعرفة في الاستعمال فيمثّل برنامج نظريّة أو نظريّات في الإنجــاز[1] بما تتضمّن من عمليّات إنتاج الأقوال ومن عمليّات تحليلها. يكون ذلك بالــبحث في ما يتوفّر في الذّهن/الدّماغ من آليّات القرن بين الصّوت والمعنى أو بين المــدرَك والرّمــز. وهي نظم متداخلة مع النّظم العرفنيّة بصورة عامّة وجزء منها. ولهــذا صلة بما يطلق عليه شومسكي اللّغة المظهرة[2] (1986، 19) من زاوية كونه

1 Performance.

2 Externalized language.

تحقّقا فيزيائيّا للّغة المضمرة في مستويين فرديّ يكون به كلام شخص بعينه أو جماعيّ يمثّل لغة ما ممّا يسمح به النّحو الكونيّ.

النّحو الكونيّ والنّحو المخصوص

النّحو الكونيّ[1] هدف بعيد يسعى كلّ لسانيّ إلى تحديده، وقد ركّزه شومسكي منذ أواخر الخمسينيّات وبداية السّتّينيّات من القرن الماضي، ويتلخّص الموقف الأساسيّ في النّحو التّوليديّ في أنّ اللّغة تُدرَس لا من حيث كونها ظاهرة مجرّدة أو مواضعة اجتماعيّة وإنّما من حيث ما يفهمها به النّاس ويستعملونها، أي أنّ المشغل الأساسيّ يتمثّل في ما به تحلّ الملكة اللّغويّة في الدّماغ، هو ما يجعله شومسكي في ثنائيّة اللّغة المضمرة واللّغة المظهرة ويمثّل التّوجّه الذّهنيّ عنده.

وممّا يعاب على النّحو التّوليديّ إهماله المظاهر الاجتماعيّة الثّقافيّة في اللّغة ولكنّ ذلك غير ثابت إذ يمكن أن يكون للدّارس موقف ذهنيّ دون أن يهمل ضرورة البعد الاجتماعيّ كما يتجلّى في أعمال شومسكي. ويبرّر جاكندوف (1997، 3) عدم العناية بالبعد الاجتماعيّ عند 'شيخه' شومسكي بسبب إجرائيّ في بناء النّظريّة، ذلك أنّ الأولويّة – نظرا إلى قصر العمر وقصر اليد– كانت لتحديد الخصائص المجرّدة الّتي تخدم التّعبير عن الحاجات في اللّغة، ولكنّ ذلك لا يعني نفيا لوجود خصائص في اللّغة موردها المحيط الاجتماعيّ الّذي تجري فيه.

والنّحو في التّوليديّة نحوان: مخصوص وكونيّ. النّحو المخصوص[2] نظريّة في لغة مخصوصة تصف ما به يكون الاقتران بين تمثيل ذهنيّ وعبارة لغويّة ويكون به تحديد الشّكل والمعنى. والنّحو الكونيّ نظريّة في المبادئ الثّابتة الّتي تحكم الملكة اللّغويّة البشريّة وفي برامترات التّغيّرالمقترنة بتلك المبادئ. والنّحو الكونيّ هو الملكة اللّغويّة (شومسكي 1988، 61) غايته تحديد المبادئ الّتي تقود اشتغال تلك الملكة. فهو رصد للحال البدئيّة في الملكة اللّغويّة قبل تعرّضها لأيّ من المعطيات والتّجربة. أمّا النّحو المخصوص فيرصد حالا للملكة اللّغويّة بعد أن تعرّضت للمعطيات اللّغويّة في التّجربة الاجتماعيّة.

---

1 Universal Grammar (UG).

2 Particular grammar.

ويتـــضمّن النّحو الكونيّ جملة من المبادئ تطّرد ولا تعرف الشّذوذ لأنّها تمثّل الملكـــة اللّغـــويّة في ذاتها (شومسكي 1988، 62)، وهي إطار لكلّ لغة مخصوصة وأســـاس لعملـــيّة الاكتساب. أمّا اللّغات المخصوصة فتختلف وتتباين. يعود ذلك الاخـــتلاف إلى عدد من البرامترات الّتي تتحقّق بها المبادئ في تفاعلها مع المعطيات في التّجـــربة الّتي يتعرّض لها الطّفل في طور الاكتساب، وهذه المعطيات تحدّد جملة مـــن الخيارات المتنوّعة لا تشملها مبادئ النّحو الكونيّ. ويشبّه شومسكي (1988، 62) الملكـــة اللّغـــويّة بآلة معقّدة تشتغل بأزرار تصفّف على شاكلة ما، لهذه الآلة حـــالان: حال سكون لا تصفيف للأزرار فيه هو حال الملكة اللّغويّة مطلقا حيث تتحدّد المبادئ الكونيّة، وحال اشتغال تُصفّف فيه الأزرار بوجه من الوجوه فيشتغل الـــنّظام في ضوء ماجُعل له وفي ضوء ما صفّفت عليه أزراره، هو حال البرامترات الّـــتي تـــشتغل بها الملَكة اللّغويّة في تحقّقاتها المختلفة. وتتولّى المعطيات اللّغويّة الّتي يتعـــرّض لهـــا الطّفـــل تحديدَ التّصفيف الّذي يكون لتلك الأزرار أي تحديدَ قيم البرامترات، فيكتسب الطّفل لغة مخصوصة بنحوها الّذي يمثّل نظامَ الاقتران فيها بين البنـــية والمعنى. وفي ضوء البرامترات يمكن للّغات المتباعدة تاريخيّا أن تتشابه إذا ما حـــدث أن اشتغلت فيها نفس البرامترات ويمكن للُّغات المتقاربة أن تتباعد إذا ما اشـــتغلت فيها برامترات مختلفة، أو للّهجات المتفرّعة عن أصل واحد أن تتباين أو تتشابه إذا ما اشتغلت فيها أو في بعضها برامترات واحدة أو مختلفة.

وفي هـــذا الإطـــار نـــشأت في التّوليديّة ثنائيّة المبادئ والبرامترات[1] أساسا للمقاربات اللّسانيّة. والغاية منها -عند شومسكي (1995، 25)- العود بالخصائص اللّغـــويّة إلى قسمين: الثّابت في اللّغات[2] والمخصوص في اللّغات[3]. يتضمّن الثّابت المبادئ بما فيها البرامترات بوجه يكون فيه كلّ برامتر مقترنا بمبدإ من مبادئ النّحو الكونيّ ويتضمّن المخصوص القيم المخصوصة للبرامترات.

المبادئ والبرامترات

إذا أمكـــن لأيّ إنـــسان أن يكتسب أيّ لغة شريطة أن يتعرّض لواحدة من اللّغات تعرّضا كافيا كمّا ومدّة، فهو مجهّز سلفا أي وراثيّا بأدوات الاكتساب وهي

1 Principles & Parameters (P&P).

2 Language-invariant.

3 Language-particular.

النّحو الكونيّ من حيث هو جهاز سابق عن كلّ تجربة لغويّة قوامه عدد من المبادئ، هي مبادئ النّحو الكونيّ. ويُفترض في التّوليديّة أنّ المبادئ الكونيّة هي ما يجعل عمليّة الاكتساب سهلة يسيرة عند الطّفل كما تتفاضل النّظريّات اللّسانيّة بكفاءتها في إقامة نظريّة تفسّر الاكتساب على أساس المبادئ الكونيّة.

وباختلاف التّجارب يكون الاختلاف في الاكتساب، فعلى الطّفل أن يكتسب كلّ ما هو خصوصيّ في لغة أهله. فالمبادئ الكونيّة تمكّنه من الاكتساب مطلقا والبرامترات تمكّنه من اكتساب لغته بخصوصيّاتها المتّصلة بالمعجم فيها وببعض القواعد الجارية فيها دون سائرها. وفي ضوء هذا يكون في الملكة اللّغويّة مستويان: كونيّ محكوم بالمبادئ تتّفق فيه جميع اللّغات وخصوصيّ محكوم بالبرامترات تختلف فيه اللّغات. ومن غايات النّظريّة اللّسانيّة الكشف عن تلك المبادئ والبرامترات. ويمكن -من زاوية إجرائيّة- اعتبار ما اطّرد من الظّواهر في اللّغات مبدأ كونيّا وما كان خصوصيّا برامترا تتحقّق به تلك المبادئ في تجربة لغويّة بعينها.

ومن نماذج المبادئ والبرامترات مبدأ الرّأسيّة وبرامتر موقع الرّأس[1]، وهو ذو صلة بترتيب الكلم في اللّغات. فالمبدأ الكونيّ أن يكون في كلّ مركّب رأس ومتمّم:

(مركّب (رأس، متمّم))

حيث يعني الفاصل عدم التّرتيب. وفي جميع اللّغات يكون لكلّ مركّب رأس يحدّد نوعه كاملا فلنا في العربيّة مثلا المركّب الاسميّ ذو الرّأس الاسميّ والمركّب الحرفيّ برأس حرفيّ وما إلى ذلك.

ففي قولنا "سيّارات السّباق" تمثّل "سيّارات" رأس المركّب تسمه بالاسميّة إذ كانت اسما وبالجمعيّة إذ كانت جمعا فالتّعدّد متعلّق بالسّيّارة وليس بالسّباق، ويسم كذلك موقع المركّب كاملا رفعا أو نصبا أو جرّا من حيث كانت العربيّة ممّا يتحقّق فيه الإعراب تحقّقا صرفيّا ظاهرا. وفي قولنا "في سيّارات السّباق" يكون الحرف رأسا والمركّب الإضافيّ متمّما، وكذا المركّب الاسميّ من الموصوف والصّفة "الفرس الأبيض الصّغير".

والمهمّ أنّ جميع اللّغات تقوم فيها المركّبات على رأس ومتمّم، وهذا حال العربيّة والإنجليزيّة وغيرها. ولكنّ بين هذه اللّغات اختلافا على درجات: فهي

---

1 Head-position parameter.

مـــتّفقة في المـــبدإ حيث لكلّ مركّب رأس ولكنّ موقعه قد يكون قبل المتمّم وقد يكون بعده أو متوسّطا. قارن في ما يلي 'الفرس الأبيض الصّغير' حيث الرّأس أوّل والمتمّم بعده وما يقابله في الفرنسيّة حيث يتوسّط الرّأس فيكون واحد من متمّمَيْه قبله والآخر بعده وما يقابله في الإنجليزيّة حيث يرد الرّأس آخرا بعد متمّميْه:

racing cars	les voitures de course	سيّارات السّباق
in the racing cars	*dans les voitures de course*	في سيّارات السّباق
the little white horse	le petit cheval blanc	المهر الأبيض الصّغير

فاللّغات الثّلاث متّفقة في مبدإ كونيّ قوامه (رأس، متمّم) وهذا مبدأ من النّحو الكـــونيّ جزء من الملكة الفطريّة يستوي فيه الأطفال العربيّ والفرنسيّ والإنجليزيّ، ولكـــنّ العربيّة تحقّق ذلك المبدأ بالحفاظ على الرّأس أوّلا[1] في جميع الأحوال (على الأقـــلّ في الـــنّماذج المعروضة)، أمّا الإنجليزيّة فتجعل الرّأس آخرا[2] وأمّا الفرنسيّة فتجعل الرّأس وسطا، وإن أمكن العود به إلى واحد منهما بتتبّع قسمة المركّب إلى رأس ومتمّم وفق مبدإ الثّنائيّة[3]. وهذه برامترات يتنوّع في ضوئها تحقّق المبدإ. فعلى الطّفـــل أن يهـــتدي إلى ذلـــك فيتعلّم قاعدة مخصوصة بلغة مخصوصة قوامها قيود مخصوصة. ويمكن توسيع هذا للنّظر في الكثير ممّا تتنوّع به المبادئ حسب برامترات من قبيل ترتيب عناصر الجملة في الإثبات والاستفهام والأمر وظواهر اشتقاق الكلم وتركيبها وما إلى ذلك. وخلاصة الأمر أنّ النّحو الكونيّ يتضمّن من حيث هو

ملكـــة لغـــويّة فطـــريّة نظاما ثابتا من المبادئ الكونيّة ومجموعة محدودة من البرامترات النّحويّة تفرض قيودا على التّنوّع البنيويّ في ما بين اللّغات.

النّحو الذّهنيّ

يـــسعى شومسكي إلى تحديد العوامل الكامنة وراء إمكانيّات التّعبير المتناهية (اللاّمحدودة) في اللّغة: فكلّ شخص ينتج ما لا نهاية له من الجمل ويفهمها وإن لم يـــسمعها مـــن قبلُ في حياته. فهو يستبطن طريقة في التّوليف بين عدد محدود من

---

1 Head-first.

2 Head-last.

3 Binarity, binary branching.

العناصر المحفوظة في الذّاكرة. تلك هي الملكة اللّغويّة[1]. والملكة قسمان محفوظان في الذّهن هما المعجم الذّهنيّ والنّحو الذّهنيّ، فالأوّل منهما عدد من الوحدات والثّاني عـــدد محدود من مبادئ التّوليف تمثّل النّظام الحوسبيّ. وممّا يُطرَح في هذا المستوى من المباحث: كيف تترابط المبادئ المعجميّة بالمبادئ غير المعجميّة العاملة في الأبنية الـــصّرفيّة والجُمَليّة؟ وماهي العلاقة بين النّحو الذّهنيّ والمعالجة؟ وماهي العلاقة بين النّحو الذّهنيّ والدّماغ؟

هـــناك ثلاثة مواقف في تناول العلاقة بين النّحو الذّهنيّ – من حيث هو شيء حاصل في الدّماغ على المدى البعيد– وعمليّات المعالجة في إدراك الخطاب وإنتاجه:

أوّلهـــا، وهـــو أضـــعفها، يقوم على أن لا وجود لعلاقة ضروريّة بين مبادئ التّوليف المشغّلة للنّحو الذّهنيّ ومبادئ المعالجة، وفي هذا التّصوّر يكون النّحو وصفا شـــكليّا لجملـــة الظّواهر المتواترة في الاستعمال اللّغويّ، وتكون المعالجة من طبيعة أخـــرى، ومـــن تبعات هذا الموقف أنّ اللّسانيّات شيء وعلم النّفس اللّغويّ شيء آخر.

وثانـــيها يقـــوم على أنّ قواعد النّحو الذّهنيّ مخزّنة في الذّاكرة ونظام المعالجة اللّغـــويّة يعـــتمدها خلال معالجة الجملة، فيكون النّحو الذّهنيّ، تبعا لهذا التّصوّر، مكوّنا إثباتيّا[2] بالمفهوم الحاسوبيّ.

وثالـــثها أنّ قواعد النّحو الذّهنيّ يتضمّنها نظام المعالجة، فهي جزء منه، وتمثّل هـــذه القواعد تعاليم[3] تقود بناء الجمل وفهمها، وهذا يوافق الذّاكرة التّراتبيّة[4] في علم الحاسوب.

ولعـــلّ المفاضلة بين المواقف الثّلاثة لا تغني شيئا، فالمهمّ أنّ نظريّة الإنجاز من واجـــبها أن تميّز بين البنية اللّغويّة المخزّنة في الذّاكرة طويلة المدى والأبنية الحادثة أثناء اشتغال الذّاكرة.

وأمّـــا في علاقـــة الـــنّحو بالدّماغ، فتثار قضايا من قبيل آخر تتّصل بما سبق وتختلف عنها. فالمعرفة باللّغة وباستعمالها حاصلة في الدّماغ بوجه ما. وتعتمد هذه المسلّمة على طبيعة الموقف الّذي يكون من علاقة النّحو الذّهنيّ بالمعالجة إذ الدّماغ

---

1 Language faculty.
2 Declarative.
3 Instruction(s).
4 Procedural memory.

هــو أداة تلك المعالجة، وإذا كان الدّماغ أداة المعالجة كان من الضّروريّ أن تفيد اللّــسانيّات مــن علوم الأعصاب. ويمكن لهذه الحجّة أن تنعكس بناء على اعتبار دراســة العاهات اللّغويّة (الأفازيا مثلا) مفيدة في الدّرس اللّغويّ إذ يتضمّن ذلك تسليما ضمنيّا - والرّأي لجاكندوف (1997، 9)- بحلول النّحو في البنية العصبيّة. ولكن هل يمكن التّوسّل بناء على ذلك بوسائل شكليّة لتفسير اللّغة باعتماد الخلايا العصبيّة؟

يــذهب الكــثير من الدّارسين (سورل1992، إدلَمن 1992 وغيرهما) إلى أنّ المقاربــات الــشّكليّة والحاســوبيّة لوظائف الدّماغ غير مفيدة، وإلى أنّ الأساس الصّحيح لأيّ نظريّة يجب أن يكون بنية الخلايا العصبيّة. ولكنّ البحوث العصبيّة ما تزال الآن بعيدة نسبيّا عن الإحاطة بالظّاهرة إذ لم تُثبت بعدُ حلول النّحو الذّهنيّ في البنية العصبيّة.

وباعــتماد الدّراسات في العاهات الدّماغيّة وتقنيات التّصوير الدّماغيّ تيسّر معرفة بعض المواقع في الدّماغ من حيث امتدادها ووظائفها، ولكن باستثناء بعض المــناطق الدّنــيا المحدودة لا يُعرَف بالتّحديد كيف تؤدّي سائر المناطق وظائفها. ويُعرف كيف تؤثّر بعض الموصّلات العصبيّة عند تعطّلها على اشتغال الدّماغ عامّة كمــا هو الحال في مرض باركنسون أو في النّوبة العصبيّة، ولكنّ ذلك لا يكشف عــن وظائــف الدّماغ الجزئيّة الدّقيقة ولا يُطلع على ما به يخزّن الدّماغ الكلمات المفــردة ويستحضرها. كما يُعرف الكثير عن الخلايا العصبيّة المفردة أو المركّبات مــنها مــن حيث اشتغالها ولكن لا يكاد يُعرف شيء عمّا به تُركّب تلك الخلايا العــصبيّة الكلمات بما في ذلك شكلها الصّوتيّ وإن كان من اليقين أنّها تفعل ذلك بوجه من الوجوه.

فــإذا كانت اللّغة ملكة ذهنيّة مخصوصة، يكون من المفروض أن تختلف عن ســائر الملكــات العرفنيّة. وهذا الافتراض نتيجته عزل اللّسانيّات عن علم النّفس العــرفنيّ، وهذا الافتراض - كما يذهب إلى ذلك جاكندوف مثلا (1997، 10)- لا ينفــي كــون اللّغــة ملكــة ذهنيّة ناشئة عن طريق التّخصّص: تخصّص بعض الميكانــــزمات العصبيّة الدّماغيّة السّابقة في الوجود بما تؤدّيه من وظائف. وهذا بالتّحديد أساس الهندسة التّطوّريّة[1].

---

1 Evolutionary engineering.

مـــن ذلـــك أنّ عددا من الظّواهر الذّهنيّة كانتظام حقل الإبصار والموسيقى والتّحكّم الحركيّ، يقوم الواحد منها على علاقة الجزء بالكلّ أي تركّب الكلّ من الأجزاء في شكل سلّميّ تراتبيّ. وكذا اللّغة. ولئن ذهبت بعض الفرضيّات إلى كون اللّغـــة مشتقّة من وظائف أخرى أو هي مبنيّة بناء استعاريّا من واحدة من الملكات العـــرفنيّة (كـــالفين 1990، كوربلّس 1991) فإنّ اللّغة ناشئة من اختصاص بعض الأجزاء من الدّماغ بوظائف متطوّرة من أصل واحد مشترك.

اللّغة عضوا ذهنيّا

يمـــثّل الـــذّهن -عند شومسكي (1979، 83)- تماما مثل الجسم، نظاما من الأعضاء يمكن تسميتها بالأعضاء الذّهنيّة[1] قياسا على الجسم. وهي أعضاء منتظمة وفـــق برنامج جينيّ يحدّد وظائفها وأبنيتها ونموّها، وذلك في ضوء ما يكون لها من تفاعـــل مـــع البيـــئة. والذّهن نظام معقّد من الملكات المتفاعلة يتكوّن من 'أعضاء ذهنـــيّة'، ويتواتر في كتابات شومسكي استعمال ثنائيّة ذهن/دماغ[2] إشارة منه- في اعـــتقادنا- إلى عضويّة الذّهن وذهنيّة الدّماغ، فالدّماغ عضو فيزيائيّ لا شكّ فيه ووظيفته نظام رمزيّ كامل هو الذّهن.

ومن حجج المنتصرين لتصوّر شومسكي الذّهنَ نظاما من الأعضاء واللّغةَ عـــضوا منها، كونُ القلب والدّماغ والكبد مثلا أعضاء متباينة في وظائفها وفي أبنيتها المخصوصة ولكنّها جميعا عائدة إلى خلايا لها نفس الوظائف الاستقلابيّة وجميعها ينمو حسب مخطّطات وقيود وراثيّة واحدة. فعلم الحياة يدرسها جميعا مـــن حيث خصوصيّاتها في مستوى العضو الواحد ومن حيث المشترك بينها في المستوى الخلويّ منها والاستقلابيّ والتّطوّريّ. ويصحّ الأمر نفسه على الأعضاء الذّهنـــيّة، فاللّغة والإبصار والتّحكّم الحركيّ متمايزة بوظائفها وفي العديد من الأحوال بمواقعها في الدّماغ، ولكلّ منها خصائصه الذّاتيّة، فاللّغة متفرّدة بالقطع الصّوتميّة وبالأسماء تفرّد الإبصار بالألوان، ولكنّ جميعها يحلّ في خلايا عصبيّة لها نفس البنية والتّخطيط، تطوّرت في اتّجاه التّخصّص الوظيفيّ من أساس خلويّ جـــينيّ مـــشترك لا تخصّص فيه. وهذا الأمر يمثّل سبيلا إلى وجوب البحث عن

---

1 Mental organ(s).

2 Mind/brain.

قيود الاكتساب والتّعلّم والسّلوك بصفة عامّة في المستوى الخلويّ (جاكندوف 1997، 8-11).

وفرضـــيّة النّحو الكونيّ أساس لإقامة نظريّة نفسيّة بيولوجيّة موحّدة، وإذ يكون ذلـــك يكون من المعقول تقليص المسافة الفاصلة بين الأساس غير اللّغويّ (الخالي من اللّغة) وما آل إليه التّطوّر باستحداث اللّغة في الدّماغ. وهي المسافة الّتي قطعها التّطوّر.

وقـــد تبيّن من خلال ظاهرة الاكتساب اللّغويّ بما يتضمّنه من مظاهر نحويّة ونفسيّة ونُمُوّيّة وما يوازيها من تفريعات عصبيّة أنّ التّطوّر في اتّجاه اللّغة لا يكون بتوسيع الدّماغ البدائيّ - خلافا لما يذهب إليه (قود 1980) وإنّما بحصول وظائف حادثة تؤدّيها أبنية ليس لها ذلك في الأصل.

الأدنويّة

سمّـــيت مرحلة 1993-1995 وما بعدها بالأدنويّة لقيامها على توجّه عمليّ ونظـــريّ في التّولـــيديّة قوامه الاقتصاد عامّة والاكتفاء بالأدنى الضّروريّ خاصّة. يكون ذلك في عمليّات التّمثيل بمستوياتها وفي عمليّات الاشتقاق بمراحلها وأطوالها. فكـــان الـــتّوجّه العامّ إلى اختصارها بشكل يضمن النّجاعة والإلمام في حدود دنيا وبأقلّ ما يكون من وسائل التّمثيل والعناصر. وهذا التّوجّه فيه طعم 'المجهود الأدنى' إذ يسعى إلى التّخلّي عن كل العناصر الزّائدة[1] في التّمثيلات وفي عمليّات الاشتقاق (شومـــسكي1995، 130). وهـــذا ما يعبّر عنه في بعض الدّراسات اللاّحقة على ظهـــور 'الـــبرنامج' بجعل الجهاز على أبسط ما يكون أي جعل الأنحاء على أقصى درجـــات البساطة الممكنة، فاللّغة نظام على غاية من الكمال ذو هندسة من أفضل ما يكون (شومسكي 1998، 1999، 2001، 2002).

ويجعل شومسكي نظم الملكة اللّغويّة قسمين: الأوّل منهما نظام عرفنيّ يحفظ المعلـــومات ويخـــزّنها والثّاني عدد من نظم الإنجاز، تعود هذه النّظم إلى المعلومات المحفوظة في النّظام العرفنيّ وتستعملها بوجوه متنوّعة، وهي مخصوصة في قسم منها باللّغة ولذلك فهي جزء من الملكة اللّغويّة.

وبين النّظام العرفنيّ ونظم الإنجاز تفاعل بواسطة عدد من المستويات التّمثيليّة اللّغويّة:

---

1 'least effort', 'superfluous elements'.

يـــتفاعل النّظام العرفيّ مع نظامين فيكون له معهما تصافحان[1]، أوّلهما النّظام النّطقــيّ-الإدراكـــيّ[2] وهـــو مـــا تتحوّل به التّمثيلات الصّوتميّة إلى أصوات أو العكس. وثانيهما النّظام المفهوميّ-القصديّ[3] يكون فيه تأويل الأبنية إلى مفاهيم أو العكس. ولذلك يتضمّن جهاز النّحو مستويين من التّصافح أوّلهما الشّكل الصّوتميّ في مستوى التّصافح النّطقيّ-الإدراكيّ والثّاني الشّكل المنطقيّ في مستوى التّصافح المفهوميّ-القصديّ. ويتضمّن النّظام العرفيّ في كلّ لغة نظاما حوسبيّا[4] ومعجما[5].

والتّصافح مستوى أوعلاقة بين مكوّنين يكون بموجبها تأويل عنصر أو عناصر مـــن المكوّن الواحد إلى عنصر أو عناصر من المكوّن الآخر. ويمثّل التّصافح واحدا مـــن أبـــرز الأدوات التّمثيلـــيّة الّتي تقوم عليها هندسة النّحو (اللّغة) في البرنامج الأدنويّ.

وتوفّر الأوصاف البنيويّة (النّحو) كلّ المعلومات المتعلّقة بخصائص كلّ واحدة من العبارات اللّغويّة من حيث الصّوت والمعنى. وتلك المعلومات هي ما تتولّى نظم الإنجـــاز تأويلـــه وذلك بتحقيقها صوتا أو إعرابا أو دلالة. وتتضمّن هندسة النّحو (اللّغـــة) عـــددا من النّظم الرّمزيّة هي عبارة عن مستويات تمثيليّة بما فيها مستوى الـــشّكل الـــصّوتيّ ومـــستوى الـــشّكل المنطقيّ، وهما يعيّنان الخصائص الصّوتيّة والخصائص الدّلاليّة تباعا، وذلك كما كانا محدّدين في اللّغة. ويوجد مستوى آخر هو مستوى البنية العميقة[6] يربط بين النّظام الحوسبيّ والمعجم.

ويجب أن تتوفّر ثلاثة شروط في مستوى الشّكل الصّوتيّ من زاوية الكفاءة[7]:

يجب أن يكون كونيّا من حيث يكون قابلا لأن يعرض التّمثيل الصّوتيّ لكلّ عبارة لغويّة ممكنة في اللّغات الطّبيعيّة ما وجد منها وما أمكن وجوده.

ويجـــب أن يكون تصافحا بمعنى أن يكون لعناصره تأويل في النّظم الحسّيّة-الحركيّة، أي يمكن تحويل تلك الخصائص إلى صوت منطوق بفعل نطقيّ عضليّ.

---

1 Interface(s).

2 Articulatory-perceptual system.

3 Concepual-intentional system.

4 Computational system.

5 Lexicon.

6 D-structure.

7 Adequacy.

ويجب أن يكون شاملا بمعنى أنّ ذلك التّأويل الحسّيّ-الحركيّ شامل لجميع اللّغات بوجه يكون فيه الإلمام بجميع الخصائص الصّوتيّة في النّظام اللّغويّ دون غيرها.

وتصحّ الشّروط نفسها في شأن الشّكل المنطقيّ إذ من الواجب أن يلمّ بكلّ ما يتعلّق بمعنى العبارة في جميع اللّغات، ومن الواجب أن يكون كونيّا من حيث يكون لكلّ فكرة تقبل أن تجري في عبارة لغويّة، فيه تمثيل لها، ومن الواجب أن يكون تصافحا من حيث يكون لمضمونه تأويل في جميع النّظم المكوّنة للذّهن/الدّماغ والّتي يكون لها دور في التّفكير والإحالة والتّخطيط وما إلى ذلك. ومن الواجب أن يكون شاملا من حيث يكون فيه التّأويل الدّلاليّ واحدا في جميع اللّغات تماما مثل الشّكل الصّوتيّ.

وفي ضوء هذا التّصوّر يكون في كلّ نحو ثلاثة مستويات من التّصافح: تصافحان خارجيّان في مستوى التّمثيل الصّوتيّ ومستوى التمثيل المنطقيّ، وتصافح داخليّ في مستوى البنية العميقة. وفي هذه المستويات يجري تحليل العناصر إلى أدقّ الدّرجات وهي السّمات[1] الصّوتيّة[2] والانتقائيّة[3] والمقوليّة[4] وما إليها، وفي كلّ تصافح يكون التّأويل تامّا[5]:

بنية-ع ----◄ المعجم
↓
الشّكل الصّوتيّ ◄------ البنية- س
↓
الشّكل المنطقيّ

المعجم الأدنويّ

تتكوّن اللّغة في التّصوّر الأدنويّ من مكوّنين: معجم ونظام حوسبيّ. يوفّر المعجم الوحدات الّتي تدخل النّظام الحوسبيّ، والنّظام الحوسبيّ يستعملها لتوليد العبارات. فالعبارة الواحدة إنّما هي عمليّة اشتقاق تتضمّن اختيارا لوحدات

1 Feature(s).
2 Phonological.
3 Selectional.
4 Categorial.
5 Full interpretation (FI).

معجمـــيّة وحوســـبةً تبني أزواجا في مستوى تمثيلات التّصافح (شومسكي 1995، 168-169)، مـــنها أزواج صـــوت/معنى مثلا في مستوى تصافح الشّكل المنطقيّ والشّكل الصّوتيّ.

ويحـــدّد المعجـــم العناصـــر الّتي ينتقيها النّظام الحوسبيّ ويدرجها في تكوين العبارات اللّغويّة. والعناصر المعجميّة عبارة عن تزاوجات بين الشّكل الصّوتميّ[1] (ش ص) والشّكل المنطقيّ[2] (ش م) مختصرها: تزاوجات ش ص- ش م[3].

ويقـــدّم المعجم من المعلومات ما يحتاج إليه النّظام الحوسبيّ بأفقر ما يكون أي دون إطناب وفي أفضل صياغة أو تشفير[4]. معنى ذلك أنّ كلّ وحدة معجميّة (أو مدخل معجميّ) تحمل أقلّ ما يكفي من الخصائص اللّغويّة الّتي بها تندرج في علاقـــة بسائر الكلمات في الجملة عند التّركيب. كأن يقترن بالوحدة 'شَرِب' عـــدد من الخصائص منها كونها من مقولة الفعل ويقود هذا إدراجها في البنية الإعـــرابيّة في موضـــع الأفعال مسندة إلى عنصر معجميّ آخر يكون من مقولة الأسماء، ومنها دلالتها على الحركة المعلومة مجرّدة من كلّ تفصيل كتناول شيء ســـائل بالفم، ومنها ما يتّصل بذلك تنتقي به عددا من العناصر يكون بعضها مشروبا ومن سماته الضّروريّة أن يكون سائلا ويكون بعضها شاربا أي حيّا ذا عـــضو أو أعـــضاء يكـــون بها تناول السّائل. ومن جملة ما يقترن كذلك بهذه الـــوحدة 'شرب' دلالتها على الامتصاص مطلقا فيكون محدِثها من غير الأحياء من التّراب أو القماش والمشروب من السّوائل دائما، كما يقترن بها دلالتها على الحفـــظ أو الفهـــم فـــيكون المحدِث عاقلا إنسانا والمشروب ممّا يحفظ أو يُفهم كالشّعر أو الدّروس وغيرها.

وعناصر المعجم قسمان: مقولات مليئة[5] أي ذات مضمون دلاليّ تضمّ الاسم والفعـــل (والصّفةَ في الإنجليزيّة) إذ الصّفات جزء من الاسم في العربيّة، ومقولات وظيفيّة[6] تضمّ الحروف.

---

1 Phonological form (PF).

2 Logical form (LF).

3 PF-LF pairings.

4 Optimal coding.

5 Substantive categories.

6 Functional categories.

وكلّ متكلّم بلغة ما يملك معرفة بكلّ المعلومات الدّقيقة المفصّلة عن الكلمات فـيها، وعلى كلّ نظريّة لسانيّة أن تعكس تلك المعرفة وتمثّل لها، وإذ يكون ذلك وجب أن تتضمّن نوعا من المعجم. وللمعجم عند شومسكي (1995، 235) تصوّر تقليديّ يتحدّد فيه بكونه قائمة من الشّواذّ[1] – والعبارة له– أي كلّ ما لا يمكن أن يـتولّد وفق مبادئ كونيّة عامّة. ولا يعني ذلك – كما هو منتشر عند الكثير– أنّ المعجـــم ثانويّ هامشيّ وإنّما هو ممّا لا يمكن ضبطه أو التّنبّؤ به في ضوء قواعد أو مبادئ مضبوطة في إطار النّحو الكونيّ.

وهـــذه المبادئ نوعان: مبادئ تهمّ النّحو الكونيّ ومبادئ تهمّ اللّغة المخصوصة تحكـــم المظاهر الصّوتيّة والصّرفيّة وعمليّات الخيار من إمكانيّات برامتريّة وكلّ ما يـــندرج في تـــنوّع اللّغات. فالمعجم يوفّر أفضل تشفير لهذه الخصوصيّات اللّغويّة الفرديّة[2]، فكلمة 'كتاب' في العربيّة–مثلا– تمثّل أفضل تشفير للمعلومات الّتي تكفي لبناء تمثيل في الشّكل المنطقيّ وتسمح للمكوّن الصّوتميّ ببناء تمثيل للشّكل الصّوتيّ، ومن تلك الخصائص الفرديّة أنّ جمعَها على 'كُتُب' وتصغيرها على 'كتيّب' وما إلى ذلـــك. وفي ضـــوء هذا يكون المعجم خزّانا[3] (أو رصيدا) من الخصائص الفرديّة المـتعلّقة بالـــوحدات المعجميّة المخصوصة، ومدار هذه الخصائص تحديد الشّكل الصّوتميّ وتحديد المقولة الإعرابيّة وتحديد الخصائص الدّلاليّة.

ومن أبرز القضايا في هذا الشّأن ما يتعلّق بالرّؤوس المعجميّة (الأفعال والأسماء والـــصّفات والحروف) من حيث الانتقاء الدّلاليّ[4] والخصائص المحوريّة[5] الّتي تحدّد بنية الموضوعات الّتي يجيزها[6] الرّأس، كما تحدّد الدّور المخصوص الّذي يحمله كلّ واحد منها.

ويرى شومسكي أنّ الرّبط بين الأدوار والموضوعات عمليّة يسهل التّكهّن بهـــا ولـــذلك لـــيس من الضّروريّ التّنصيص عليها جميعا في المداخل المعجميّة المخـــصوصة ضمانا للاقتصاد في النّظريّة وفي التّمثيل. فكلّ فعل لا يملك دورا

---

1 Exception(s).

2 Idiosyncratic.

3 Repository.

4 Semantic selection.

5 Thematic properties.

6 License.

يـــسنده إلى مفعول لا يكون له مفعول بكلّ بساطة، وكلّ فعل يملك عددا من الأدوار الدّلالـــيّة يرد وجوبا في بنية تستجيب لذلك. فالانتقاء الدّلاليّ في هذا التّـــصوّر محكوم بالأدوار المحوريّة لأنّ السّمات الدّلاليّة في موضوع ما، يجب أن توافق الدّور المحوريّ[1].

وتـــثار في شأن المعرفة المعجميّة قضيّة هامّة تتّصل بما به يكون اكتسابها، وفي ذلك فرضيّتان: فرضيّة بيستسكي[2] (1982) وفرضيّة قرمشاو[3] (1981):

يـــذهب بيستسكي إلى أنّ الأوّليّات المحوريّة (مُحدِث، متحمّل، هدف...) ذات أولـــويّة إبستيميّة إذا ما قورِنت بالأوّليات المقوليّة (اسم، فعل، صفة، حرف) فـــيكون الانـــتقاء المقـــوليّ -تبعا لذلك- ناتجا عن الانتقاء الدّلاليّ تماما كما ينتج التّفريع المقوليّ عن الخصائص الدّلاليّة. فمكتسب اللّغة ينطلق من الخصائص الدّلاليّة ليقيم تحليلا أوّليّا للبنية اللّغويّة:

خصائص دلاليّة > تفريع مقوليّ

انتقاء دلاليّ > انتقاء مقوليّ

أمّـــا فرضيّة قرمشاو فمدارها أنّ اكتساب المقولة الإعرابيّة الّتي تكون لوحدة معجميّة ما يقوم جزئيّا على التّحقّق البنيويّ القياسيّ[4]. والتّحقّق البنيويّ القياسيّ لما دلّ علـــى الأشـــياء هو الاسم ولما دلّ على الأحداث هو الفعل، إلخ. يحصل ذلك جزءا من المعرفة المعجميّة بحصول الخصائص الدّلاليّة.

ويـــرى شومـــسكي (1995، 32) أن قد يستقيم - نظريّا- كون الأوّليّات المحوريّة ذات أولويّة إبستيميّة، لكن لا أحد يقدر على إثبات ذلك إجرائيّا. فإذا ما افترضنا أنّ الطّفل يملك في المنطلق مفهوم المحدث أوّليّة محوريّة مثلا، هل يكون من الممكن أن نتصوّر أنّه يتوصّل بناء على ذلك إلى تحديد الفاعل في الجملة من حيث حدوده - مركّبا اسميّا- ومن حيث موقعه فيها؟ ثمّ إنّ الطّفل يتعامل مع جمل كاملة في طـــور الاكتساب وليس مع أفعال مخصوصة معزولة، فالجمل هذه تعرض أفعالا ذات انـــتقاء دلاليّ ومقوليّ في آن جارية في سياقات ومقامات حقيقيّة. فالمظهران الـــدّلاليّ المحـــوريّ والمقوليّ يتظافران في بناء المعرفة باللّغة، ووسائل حصول هذه

---

1 Thematic role(s).

2 Pesetsky, D.

3 Grimshaw, J.

4 Canonical structural realization.

المعـــرفة (المعجمـــيّة) لا يمكن أن تنعكس بصورة واحدة من خلال الشّكل الّذي يكون لها عند اكتمالها ونضجها.

النّظام الحوسبيّ

يثـــبت شومسكي (1995، 7) توفّر نظام حوسبيّ[1] واحد في اللّغات الطّبيعيّة وقدر محدود من التّنوّع المعجميّ والتّنوّع اللّغويّ صرفيّ بالأساس. ويتضمّن النّظام الحوســـبيّ أربعـــة مستويات تمثيليّة هي مستويات الاشتقاق في بناء العبارة اللّغويّة. ويـــبني النّظام الحوسبيّ للّغة البشريّة من الوحدات المعجميّة أبنية إعرابيّة من خلال عمليّتين أساسيّتين هما الانتقاء[2] والصّهر[3]:

الانـــتقاء عملـــيّة يجري بمقتضاها اختيار وحدة معجميّة وإدراجها في عمليّة الاشـــتقاق. والـــصّهرعمليّة تأخذ بنيتين إعرابيّتين وتدمجهما في واحدة. وتتواصل عملـــيّات المكوّن الحوسبيّ على الوحدة المعجميّة إلى أن تبلغ مستوى الاقتران بين الشّكل المنطقيّ والشّكل الصّوتميّ.

وجمـــيع العمليّات الحوسبيّة محكومة بشرط التّضمّن[4]، وهو شرط ضروريّ في جمـــيع اللّغـــات حيث كلّ بنية تنشئها الحوسبة تتضمّن عناصر موجودة مسبقا في الـــوحدات المعجميّة الّتي انتقيت ولا ينضاف إليها أيّ عنصر جديد خلال الحوسبة مـــا عدا إعادة توزيع الخصائص المعجميّة. وإن حدث أن حذفت وحدة معجميّة فمعناه كونها غير مرئيّة في مستوى التّصافح (شومسكي1995، 228).

ويفتـــرض شومسكي أنّ الحوسبة تجري جريانا واحدا في بناء العبارة اللّغويّة بمكوّنـــيها (البنـــية والدّلالـــة) ثمّ تفترق في مستوى التّأويل إلى قسمين مختلفين في التّكوين. فالعناصر الّتي يمكن تأويلها في التّصافح النّطقيّ-الإدراكيّ لا يمكن تأويلها في التّـــصافح المفهومـــيّ-القصديّ. والعكس صحيح. وتنشأ في مستوى التّصافح النّطقيّ-الإدراكيّ عمليّة التّهجية[5] يتحقّق بها الصّوت. وللمكوّن الصّوتميّ خصائص ترتبط بإنتاج الأوامر إلى النّظام الحسّيّ-الحركيّ للإنتاج والإدراك.

1 Computational system CHL

2 Selection.

3 Merge.

4 Inclusiveness condition.

5 Spell-out.

والخـــصائص المعجمـــيّة نوعان: خصائص لا تؤوّل إلاّ في مستوى التّصافح النّطقيّ-الإدراكيّ وهي الخصائص الصّوتميّة الشّكليّة، وخصائص لا تؤوّل إلاّ عند التّـــصافح المفهومـــيّ-القصديّ وهي الخصائص المفهوميّة الدّلاليّة. وانفصال هذه الخصائص قوامه ما يكون في تأويلها.

ويقوم تصوّر جهاز النّحو على هذه الشّاكلة عند شومسكي (1995، 167-172، جاكندوف 1997، 11-20) على عدد أدنى من الضّرورات المفهوميّة وعلى عدد من الافتراضـــات. فـــإذا كان من الضروريّ أن تكون اللّغة مسموعة منطوقة، وجب أن يتـــضمّن النّحو تصافحا بين النّظام الحوسبيّ والنّظام النّطقيّ-الإدراكيّ. وإذا كان من الضّروريّ أن تعبّر اللّغة عن الفكر بوجه من الوجوه، يستوجب هذا تصافحا بين النّظام الحوسبيّ والنّظام

المفهومـــيّ-القصديّ. وإذا قامت اللّغة على كَلم يندرج في جمل، اقتضى هذا تصافحا بين النّظام الحوسبيّ والمعجم.

ومـــن الافتراضات أن يشتغل النّظام الحوسبيّ على التّمثيلات فهو يأخذ تمثيلات شـــكلٍ مـــا ثمّ يحوّرها. وهو يجري اشتقاقات عوض أن يفرض قيودا متعدّدة متزامنة. ويـــستدعي هذا الافتراض تّصوّرين هما الاشتقاق والقيود. وهما مدخلان لا يتناقضان فبالاشتقاق تحدث الأبنية ذات البناء الجيّد[1] على مراحل متتالية كلّ واحدة منها خطوة تمـــثّل دخْلاً[2] يكون خرْجه[3] شيئا ينضاف إلى سابق بالزّيادة أو بالنّقل أو بغيرهما وهذا بدوره دخل للخطوة الموالية. وذاك مظهرالتّرتيب في اشتغال النّظام الحوسبيّ. أمّا القيود فمجموعة من الشّروط يجب أن تستجيب لها البنية ذات البناء الجيّد.

ومن نماذج القيود ما يجري في ارتباط مستوى البنية العميقة (البنية-ع) رأسا بـــالمعجم، وهـــي تمثيل 'صاف' أو صرف للبنية المحوريّة (الأدوار الدّلاليّة) تعرض العلاقات المحوريّة بواسطة قيود تفرضها نظريّة س' في ضوء مبدإ الإسقاط. ولا تقوم قـــيود التّمثيلات المتعلّقة بنظريّة الرّبط ونظريّة الحالة الإعرابيّة والنّظريّة المحوريّة، إلخ إلاّ في مستوى التّصافح وأساس تبريرها خصائص التّصافح أي وجوه تأويلها بنظم الإنجاز (شومسكي 1995، 170-171).

---

1 Well formedness.

2 Input.

3 Output.

ولئن كان شومسكي يميل إلى مرحليّة الاشتقاق بترتيبها فإنّه يعتبر ذلك التّرتيب تجريديّا، ولا يعني تتابعا زمانيّا في عمليّات المعالجة في الدّماغ بل هو مجرّد إظهار لطبيعة الملكة اللّغويّة. ويظلّ المكوّن الإعرابيّ -عند شومسكي- المكوّن التّوليديّ الأساسيّ في النّظام الحوسبيّ، وهو ما يطلق عليه جاكندوف (1997، 15) مركزيّة الإعراب[1]، أمّا المكوّنان الصّوتميّ والدّلاليّ فمكوّنان تأويليّان[2]. يعود هذا الافتراض القائم على مركزيّة الإعراب إلى تصوّر النّحو على أنّه خوارزميّة تولّد الجمل النّحويّة (المقبولة).

وقد نشأ هذا التّصوّر في عهد كان المعوّل فيه في الدّراسات العرفنيّة على سلسلة من المراحل المتعاقبة المرتّبة ولكن تبيّن بعد ذلك أنّها تشتغل متزامنةً. وهو تصوّر موافق لاشتغال الذّهن/الدّماغ كما يأتي بيانه.

1 Syntactocentrism.

2 Interpretive.

نظريّة الهندسة الثّلاثيّة المتوازية

يقتضي جهاز النّحو عند جاكندوف تمهيدا تُعرض فيه بعض الأسس الّتي قام عليها تصوّر هذا الجهاز خلفيّة نظريّة وانتماء مدرسيّا نظريّا وردودا على مواقف نظريّة، ولجاكندوف موقع مخصوص في النّظريّة التّوليديّة إذ تشبّع كثيرا وطويلا بها ولكنّه ظلّ متابعا لما يجدّ في علوم الأعصاب والإدراك وما إليها من حقائق ويسعى إلى إدراجها في البحث اللّسانيّ التّوليديّ، وهذا ما انتهى به إلى تركيز مبدإ التّوازي والتّزامن في تصوّر النّحو من حيث مكوّناته واشتغاله، وهي أسس تخالف منطلقات توليديّة كلاسيكيّة حافظ عليها جمهور التّوليديّين، ومنها مركزيّة الإعراب ومرحليّة الاشتقاق وقضايا الإطناب[1].

ويتجلّى من أعمال جاكندوف المتأخّرة (1997، 2002 مثلا) سعيه إلى شرح إشارات تضمّنها البرنامج الأدنويّ وتعميق النّظر فيها يتّخذها سبيلا إلى إقامة تصوّر نظريّ يستمدّ حصانته من الخوض فيها بإثبات الانتماء إلى المؤسّسة التّوليديّة ويثبت خصوصيّته وقوّته من موارد نظريّة أخرى ليستوي في نهاية المطاف قاطرة تجذب البحث التّوليديّ إلى أرضيّة نفسيّة عرفنيّة موسّعة. ولذلك نجد في كتاباته ما به يكون التّابعَ المخلص لشومسكي والخارجَ عنه في آن. فقوام نظريّته عدد من الأفكار الأساسيّة -منطلقها التّصافح- منها توازي المكوّنات في النّحو، ولامركزيّة الإعراب إذ بتوازي المكوّنات تنتفي المركزيّة، ولا اتّجاهيّة المعالجة وقوام جميع ذلك التّوليفيّة.

التّوليفيّة

من خصائص اللّغة البشريّة الّتي لا تتوفّر في سائر النّظم التّواصليّة أنّها تسمح في آن بتكوين عدد غير محدود من الأقوال وفهمها في عدد غير محدود من الموضوعات. يعود ذلك إلى خصيصة أساسيّة فيها قوامها الانطلاق من عدد محدود

1 Redundancy

من العناصر يجري التّوليف بينها بوجوه غير محدودة. ذاك ما يطلق عليه جاكندوف التّوليفـــيّة[1]، وهي عماد النّظريّة التّوليديّة. وإذ لا يسع الدّماغ البشريّ حفظ ذلك العــــدد اللاّنهائيّ وجب أن يكون فيه أدوات محدودة وطاقة على توليد اللاّمحدود، فـــالأدوات وحـــدات تمثّل مادّة التّوليف هي المعجم بعناصره والطّاقة هي قواعد التّوليف متمثّلة في النّحو تركيبا واشتقاقا وتوسيعا وتضمينا وإدراجا وتحويلا ونقلا وما إلى ذلك.

لا مركزيّة الإعراب

يـــسعى جاكندوف إلى التّخلّي عن مركزيّة الإعراب إذ يذهب إلى أنّ بعض المـــسلّمات التّولـــيديّة عامّـــة وفي البرنامج الأدنويّ خاصّة (شومسكي 1995) لا يناسب طبيعة الحوسبة أو المعالجة العرفنيّة وأساسها التّزامن والتّوزّع.

تقـــوم النّظـــريّة التّولـــيديّة في مختلف أطوارها على اعتبار الإعراب المكوّن التّوليديّ الأساسيّ أمّا المكوّنان الآخران (الصّوتميّ والدّلاليّ) فتأويليّان. وقوام هذه الـــرّؤية تصوّر النّحو على أنّه خوارزميّة تولّد الجمل النّحويّة وذلك في زمن كانت الغلبة فيه لاشتغال الخوارزمات في الحاسوبيّة وكان من الوارد تصوّر النّحو على أنّه عـــدد من الخوارزمات تشتغل بشكل تكراريّ متّبعة عددا من الخطوات المرتّبة في إنتاج الجمل.

ولكـــن تبـــيّن منذ الثّمانينيّات من القرن الماضي في الحاسوبيّة وما قارنها من العلـــوم العرفنيّة أنّ الخوارزمات يمكن أن تشتغل بشكل متزامن متواز، ويمكن أن تكون نموذجا مقبولا في تمثيل الاشتغال الذّهنيّ. فيكون من "المهمّ أن تلغى مركزيّة الإعراب من الاعتبارات المتعلّقة بالحوسبة النّاجعة، خاصّة إذا ما كان الطّموح إلى دمج اللّسانيّات في سائر العلوم العرفنيّة" (جاكندوف1997، 15).

ومـــن الحجـــج الّتي يوردها جاكندوف في نفي مركزيّة الإعراب، تأخّر قيام الإعراب في سلسلة التّطوّر اللّغويّ. فمن الفرضيّات القائمة في هذا المجال ما يذهب إلـــيه بيكـــرتن[2] (1990) من أنّ البشر الأوائل كانوا قادرين على اتّخاذ الأصوات رمـــوزا بالمواضعة، هي اللّغة الأولى[3] الّتي لا إعراب فيها. وكانت العلاقة الأساسيّة

---

1 Combinatoriality.

2 Bickerton.

3 Protolanguage.

في ذلك تربط ما بين صوت أو تشكّل صوتيّ ومعنى بتوسّط عناصر التّداول والمقام أي ربط مباشر بين البنية الصّوتميّة والبنية الدّلاليّة بأبسط ما يكون وفي أفقر المظاهر، وهذا أمر ملموس في الكثير من الحالات من قبيل لغات البيدجين ولغة الأطفال في مستوى الاكتساب خلال طور الكلمتين. فالإعراب تطوّر لاحق حادث في تاريخ اللّغة ويبدو أنّه مستحدث عند الإنسان العارف، وبتبلور الإعراب أمكن توليف الكلمات في جمل دالّة دلالة كافية بمعزل عن المقام والتّداول بما يحكمها من مظاهر إعرابيّة من قبيل ترتيب الكلمات وتصريفها ووسمها الإعرابيّ[1] وما إلى ذلك.

لا اتّجاهيّة الحوسبة

تناسب لامركزيّة الإعراب والتّوازي على أساس التّصافح والتّزامن في المعالجة نفي الاتّجاه في تكوّن الأبنية اللّغويّة. إذ يمكن البدء من أيّ بنية من الثّالوث (الصّوتميّة، الإعراب، الدّلالة) ثمّ العبور إلى البنية الأخرى بتوسّط التّصافحات. فيمكن مثلا الانطلاق من البنية الصّوتميّة وإقامة البنية الدّلاليّة والبنية الإعرابيّة بواسطة التّصافحات، إذ النّحو في أساسه غير اتّجاهيّ. ويرتبط هذا الأمر بطبيعة المعالجة اللّغويّة فمادّتها بنية لغويّة متكاملة بمكوّناتها المختلفة ولا أولويّة للواحد منها على الآخر من زاوية الإنتاج و/أو السّماع.

هندسة النّحو

النّحو في تصوّر جاكندوف خوارزميّة تشتغل على أساس التّوازي مكوّناتها ثالوث يضمّ الدّلالة والإعراب والصّوتميّة. وكلّ واحد من هذا الثّالوث نحو توليديّ في ذاته، أي له أوّليّاته[2] الخاصّة به ومبادئ التّوليف[3] بينها. ويمثّل كلّ واحد من هذا الثّالوث مستوى مستقلاّ بنفسه ولكنّه يرتبط بالمستويين الآخرين بمجموعة من قيود التّصافح (التّناسب). فالجملة ذات البناء الجيّد تتضمّن ثالوثا من الأبنية ذات التّكوّن الجيّد تترابط ترابطا جيّدا في ما بينها بتوسّط تلك القيود (جاكندوف 2002، 198). وينبثق الوصف البنيويّ للجملة من تناسب الأبنية في كلّ عناصر الثّالوث. فالنّحو

1 Case marking.

2 Primitives.

3 Combinatorial principles.

في مجملـــه مكـــوّنات ثلاثة تشتغل اشتغالا منظوميّا ويمكن تصوّره على أنّه ثالوث خوارزمـــيّ أساســـه التّوازي وقوامه التّصافح على أساس التّناسب بين المكوّنات المتصافحة.

التّصافحات

التّــصافح عـــند جاكندوف وريث لفكرة التّأويل التّامّ في مستوى الشّكل الـــصّوتيّ ومـــستوى الشّكل المنطقيّ في النّحو التّوليديّ. وقد استعمل شومسكي 'التّـــصافح' في مناســـبات عديدة تختلف فيها درجة التّحديد والتّدقيق (شومكسي 1995).

وأســـاس التّـــصافح مطلقا عند جاكندوف (1997، 2002) في ما يلي: لـــيكون التّصافح لابدّ من توفّر أركان ثلاثة: صفيح أوّل وصفيح ثان وقواعد تناسب بينهما. الصّفيح الأوّل هو النّظام أو جملة التّمثيلات الّتي يتضمّنها ذلك الـــنّظام الأوّل والّتي يشتغل عليها التّصافح، والصّفيح الثّاني هو النّظام أو جملة التّمثـــيلات الّـــتي يتضمّنها ذلك النّظام الثّاني والّتي يشتغل عليها التّصافح. أمّا قـــواعد التّناسب[1] فهي ما به يتحقّق التّصافح بين النّظامين على أساس التّناسب أي ما به تتحوّل عناصر الصّفيح الأوّل إلى نظائرها من عناصر الثّاني والعكس، واحدا بواحد.

التّصافحات النّطقيّة-الإدراكيّة

يتمـــثّل إحداث الأصوات (أو التّقطيع) في جملة من الأوامر الحركيّة تتشكّل في الدّماغ بناء على تمثيلات صوتميّة وتصدر إلى أعضاء النّطق والتّصويت فتحقّقها في شـــكل نـــشاط عضليّ حركيّ تكون به الأصوات المنطوقة المسموعة. وهذه الأوامـــر ليـــست لغويّة في طبيعتها وإنّما هي انعكاس لتلك التّمثيلات في شكل حركـــيّ-عـــضليّ. وفي هذا المستوى يكون تحوّل[2] التّمثيلات إلى أوامر عصبيّة، وهـــذا مظهـــر تـــصافحيّ أساسيّ. ومقابل هذا يكون الإدراك السّمعيّ تحويلا للأصـــوات إلى تمثـــيلات صوتيّة. وإذ تنغلق الدّائرة نتبيّن أنّ التّمثيلات الصّوتيّة

---

1. Correspondence rule(s).
2. Conversion.

مستقلّة في تصوّرها ووجودها وهي تمرّ عبر تصافحين لها مع النّظام الحركيّ النّطقيّ عند الإنتاج ومع النّظام الإدراكيّ السّمعيّ عند التّحليل، ونفس الأمر يكون عند التّصافح مع النّظام البصريّ كتابة وقراءة. ومفهوم التّحويل عند جاكندوف لا صلة له بالمفهوم التّوليدي الجاري من قبيل عمليّات الإقحام أو النّقل أو التّغيير، وهو ما يجري فيه مصطلح التّحويلات[1] في العربيّة، وإنّما هو عبارة عن مطابقة بين عناصر من تمثيل صوتيّ وعناصر من أوامر عصبيّة نطقيّة على أساس التّناسب واحدا بواحد، وبعبارة مبسّطة إذا كان في الذّهن تمثيل لصوت "ب" مثلا فهو يتضمّن جميع الخصائص الصّوتميّة الّتي هي هويّة هذا الصّوتم وموطن هذا التّمثيل البنية الصّوتميّة الذّهنيّة، فإذا ما همّ المتكلّم بنطق الحرف "ب" مفردا أو في سياقات مختلفة، صدرت أوامر عصبيّة من المراكز المختصّة بالتّحكم في عضلات معيّنة إلى تلك العضلات لتؤدّي حركة مخصوصة كلاّ بما يقتضيه دوره في إنجاز ذلك الصّوت من قبيل انقباض الشّفتين وانغلاق الغشاء وانضغاط النّفَس ثمّ نزيز الحبال الصّوتيّة وما إلى ذلك. فالتّناسب بين هذه الحركات كلاّ بأمره العصبيّ والسّمات كلاّ بأمره العصبيّ يمثّل تصافحا تتحوّل بمقتضاه الثّانية إلى الأولى بالتّناسب. ويمكن الإطالة في هذا بالحديث عن التّزامن أو التّناسق ما بين أعضاء النّطق في إنجاز الصّوت الواحد، ولكن يمكن العود إلى الكثير من الدّراسات في هذا الأمر وخاصّة تلك المتعلّقة بالصّوتميّة التّفريعيّة[2] في أعمال جون قولدسميث[3] على سبيل المثال.

ويقتضي التّصافح الصّوتيّ-الحركيّ ثلاثة مكوّنات:

صفيح صوتيّ هو مجموعة من التّمثيلات الصّوتيّة تكون جاهزة لتُؤوّل تأويلا حركيّا، وهذا صفيح أوّل هو مستوى الصّوتميّة/الأصوات.

وصفيح حركيّ هو مجموعة من التّمثيلات الحركيّة تُسقط عليها التّمثيلات الصّوتيّة، وهذا صفيح ثان هو مستوى التّمثيلات الحركيّة.

وقواعد التّناسب تتوسّط ما بين الصّفيحين الصّوتي والحركيّ لقيام التّرابط بين العناصر في كلّ منهما ليستوي التّصافح.

---

1 Transformation(s).

2 Autosegmental phonology, Nonlinear Phonology.

3 Goldsmith, John.

التّصافح الصّوتميّ-الإعرابيّ

يقـــوم النّظام الإعرابيّ على أوّليّات هي مقولات إعرابيّة (اسم، فعل، حرف، إلخ) ومقـــولات وظيفيّة (العدد، الجنس، التّخاطب، الحالة الإعرابيّة، الزّمن)، وهو محكـــوم بمـــبادئ توليفيّة هي مبادئ البنية المركّبيّة (س') وبمبادئ التّبعيّة وبالمطابقة وبالوسم الإعرابيّ وما إليها. أمّا النّظام الصّوتميّ فأوّليّاته السّمات التّمييزيّة والمقطع والكلمة والمركّب الصّوتميّ أوالمركّب التّنغيميّ والنّبرة والمخطّط التّنغيميّ. وتتضمّن مبادئ التّوليف الصّوتميّ قواعد البنية المقطعيّة وإسناد النّبرة والانسجام الحركيّ وما إلـــيها. ويقـــوم التّصافح بين النّظامين على المزاوجة بين الوصف البنيويّ الإعرابيّ والوصـــف البنـــيويّ الصّوتميّ في كلّ قول، فالتّنغيم – مثلا- مقيّد بالبنية الإعرابيّة وليس مشتقّا منها (جاكندوف1997، 27).

التّصافح المفهوميّ-الإعرابيّ

يجري جاكندوف البنية المفهوميّة مقابل ما يسمّيه شومسكي النّظام المفهوميّ القصديّ مأخوذا في دلالته على نظام التّمثيلات الذّهنيّة الّتي ليست جزءا من اللّغة في ذاتها وإنّما هو موطن التّفكير والتّخطيط والتّذكّر وتكوّن المقاصد وما إلى ذلك. وهـــو ما يسمّى في الكتابات العرفنيّة عامّة بالنّظام العرفنيّ. فالبنية المفهوميّة هي ما تعبّر عنه اللّغة، وإذ كان ذلك، لا تمثّل اللّغة الأداة الوحيدة الجارية في التّعبير عنها، والبنية المفهوميّة -عند جاكندوف (1997، 33)- مستوى تمثيليّ مركزيّ في النّظام العرفنيّ. أمّا أوّليّاته فهي عناصر أو وحدات ممثّلة في الذّهن من قبيل تمثيلات الأشياء المادّيّة والأحداث والخصائص أو الصّفات والأزمنة والكمّيّات والمقاصد وما إليها. وتقوم مبادئه على توليفات مفهوميّة صِرف لها ما يجانسها في التّوليفات الإعرابيّة لا محالة دون أن تكون إيّاها.

ويـــذهب جاكـــندوف إلى أنّ هذه المبادئ في طبيعتها علائقيّة ذهنيّة صرف أساسها توالف المفاهيم على أساس الإخبار أو الاختصاص أو التّخصيص والتّحوير والتّـــسوير والنّـــسبة وما إلى ذلك. كما تتوالف فيه المفاهيم وفق قواعد يحدث لها الاقتـــضاء والاستدلال وتركيب المفاهيم بشكل متّصل بالمعرفة الموسوعيّة والتّفاعل مـــع الكون والتّجربة. ومن خصائص هذا التّوالف الأساسيّة كونه لا خطّيّا وإنّما قوامه التّعالق.

يكـــون التّصافح المفهوميّ-الإعرابيّ على أساس قواعد التّناسب ونماذج ذلك أنّ البنـــية الـــسّلّميّة في الإعـــراب تناسبها البنية السّلّمية المفهوميّة: علاقة الرّأس بالمـــتمّم[1] مناســـبة لعلاقة المسند بمتعلّقاته[2] وعلاقة الرّأس بالمخصّص[3] مناسبة لعلاقة المقولة بالمحوّر[4] وعلاقة الرّأس بالمضاف[5] مناسبة لعلاقة المسوّر بالمتغيّر المحدود.[6]

ويطابق التّصافح المفهوميّ-الإعرابيّ ما يطلق عليه في النّظريّة التّوليديّة 'الشّكل المنطقـــيّ'. ولئن لم تكن البنية المفهوميّة في ذاتها جزءا من اللّغة فإنّ قواعد التّناسب في التّصافح جزء من اللّغة (النّحو).

التّصافح الثّلاثيّ

من القضايا المتّصلة بمنظومة المكوّنات المتصافحة المتوازية وجوهُ قيام التّناسب بـــين تلـــك المكـــوّنات بالمستويات المتعدّدة والمختلفة في الواحد منها. وإذا كان التّـــصافح الصّوتميّ-المفهوميّ من أقلّ التّصافحات إشكالا فإنّ التّصافح المفهوميّ-الإعـــرابيّ والتّصافح الصّوتميّ-الإعرابيّ مشكلان من عدد من الوجوه أهمّها كون البنـــية الإعرابيّة غيرموافقة للبنيتين الأخريين مجتمعتين ومفترقتين، وهذا يستوجب الـــبحث في أيّ المـــستويات الإعـــرابيّة يكون صفيحا صوتميّا وصفيحا مفهوميّا (جاكندوف1997، 91). ومن المفروض نظريّا أن يكون التّصافح بين كلّ من البنية الـــصّوتميّة والبنية المفهوميّة من جهة والبنية الإعرابيّة، من جهة أخرى، في مستوى واحـــد. وهذا ضامن لسبر التّصافحات الثّلاثيّة (صوتميّ-إعرابيّ، إعرابيّ-مفهوميّ، صوتميّ-مفهوميّ) في آن واحد.

فالوحدة المعجميّة محدّدة صوتميّا ومفهوميّا بالتّقارن الرّأسيّ بين شكلها الصّوتيّ ومعناها دون حاجة إلى وسيط توليفيّ إعرابيّ. ومن نماذج ذلك، الوحدات الّتي لا تخـــضع في استعمالها لقيود البنية الإعرابيّة من قبيل حروف الجواب (نعم، أجل) أو خوالف تفيد التّعجّب وما إليه من الانفعالات من قبيل (آه، آي...) أو ترنّمات من

---

1 Head-to-complement.

2 Predicate-to-argument.

3 Head-to-specifier.

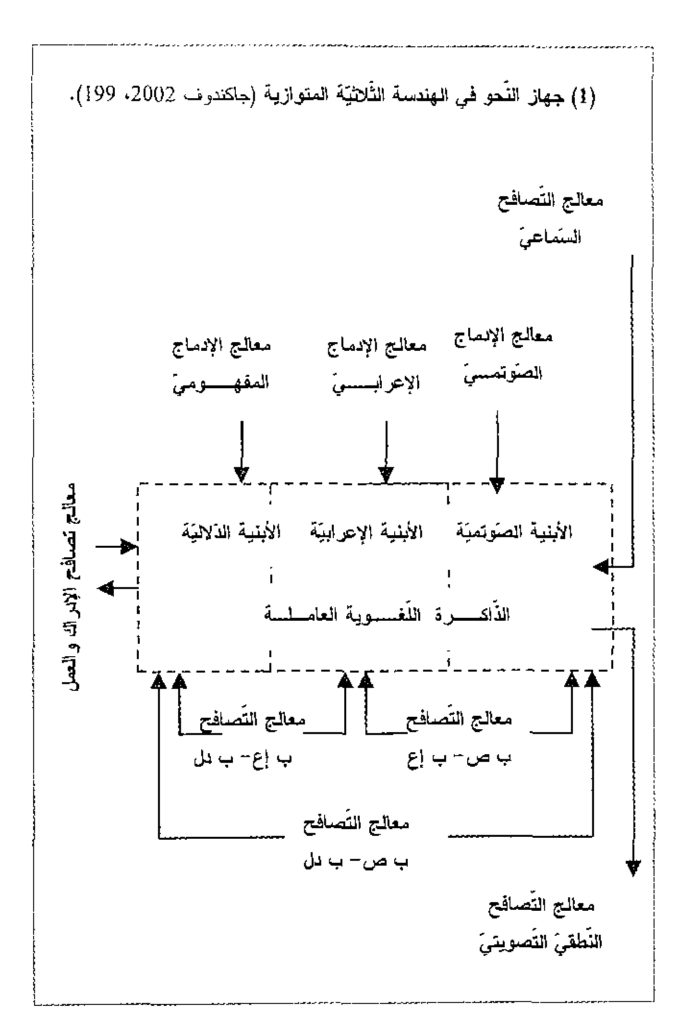
4 Category-to-modifier.

5 Head-to-adjunct.

6 Quantifier-to-bound variable.

قبيل (ترالالا، ددم ددم...)، إلخ. وهي قسم من الرّصيد المعجميّ لكلّ منها شكل صوتيّ ومعنى ولا قيد عليها من الإعراب.

ولـــو كـــان للإعراب فيها أثر أي أنّ تحديدها يقتضي تصافحا إعرابيّا تُنتقى بمقتـــضاه وتدرج في الأبنية التّوليفيّة الإعرابيّة، لامتنع الاقتران بين الصّوت والمعنى فـــيها. ورغم ذلك فالتّناسب بين الصّوت والمفهوم قائم فيها. كما يكون الاقتران الرّأســـيّ بـــين الصّوت والمعنى في طور الكلمات-الأحاديّة من أطوار الاكتساب اللّغـــويّ، حيث يستعمل الطّفل الكلمة المفردة للتّعبير أوما يسمّى بـــ'الكلمات-الجُمَل'، وهذا أمر يستوجب واحدة من فرضيّتين: أولاهما أن لا وجود للإعراب في البداية وإنّما هو شيء حادث لاحق على الاكتساب المعجميّ فهو يمثّل مرحلة من مراحل الاكتساب متقدّمة.


(1) جهاز النّحو في الهندسة الثّلاثيّة المتوازية (جاكندوف 2002، 199).

ولكـــنّ السّؤال يطرح من زاوية أخرى هنا: ما أثر ذلك على ما استقرّ قبله؟ هل الإعراب موجود عند الطّفل ولكنّه لا يستطيع استعماله؟ إن كان لا إعراب له وإنّمـــا هو شيء حادث، هل يكون ظهورالإعراب وتبلوره قادحَين لإعادة تنظيم جـــذريّ لما حصل في المراحل السّابقة من الاكتساب اللّغويّ، في ضوء ما تقتضيه قـــيود الإعراب؟ ولكنّ الأولى أن يُعتبر المتكلّم في مرحلة الكلمة المفردة غير متّبع للإعـــراب ولا مقـــيّدا به وأنّ ظهور الإعراب عنده ليس جديدا حادثا يعيد تنظيم الحاصل إعادة جذريّة وإنّما هي مجموعة أخرى من القيود والإمكانيّات تنضاف إلى ذلك الحاصل (جاكندوف1997، 95).

ومـــن الحجـــج الّتي يعرضها جاكندوف في تبرير كون التّصافح الصّوتميّ-الإعـــرابيّ-المفهومـــيّ جاريـــا في مستوى واحد، ظاهرة البؤرة[1] (التّبئير) والمحور[2] (المَحـــورة) في البنية الإخباريّة تجريان بأدوات صوتميّة من قبيل التّنبير والتّنغيم دون أثـــر ظاهر للإعراب، وإذا ما حدثتا بأدوات إعرابيّة (التّقديم أو التّأخير، إلخ) فهما تقتضيان دائما تنبيرا وتنغيما بالإضافة إلى المظاهر الإعرابيّة.

الهندسة الثّلاثيّة المتوازية في المعالجة الذّهنيّة

للهندسة الثّلاثيّة المتوازية أثر في تصوّر المعالجة الذّهنيّة عامّة وفي المعالجة اللّغويّة خاصّـــة، فقوام اشتغال الذّهن عند جاكندوف هو الاشتغال المنظوميّ (جاكندوف 1997، 41-46). يـــشفّر الـــذّهن/الدّماغ المعلومات في عدد محدود من الأشكال التّمثيلـــيّة المتبايـــنة يسمّيها جاكندوف "لغات الذّهن" حيث تجري كلمة لغة على وجه الاستعارة.

وكـــلّ واحدة من تلك اللّغات منظومة تمثيليّة[3] أي نظام شكليّ له مجموعة من الأوّليّات المخصوصة به ومجموعة من مبادئ التّوليف المخصوصة به. ويختصّ بكـــلّ واحـــدة مـــن تلك اللّغات منظومة في الذّهن. وبين المنظومات اتّصال وتواصـــل عـــن طـــريق التّصافحات. فالذّهن في عمومه قائم على نوعين من المـــنظومات المتباينة في طبيعتها ومادّتها ومبادئها: منظومات تمثيليّة ومنظومات

---

1 Focus, focalization.

2 Topic, topicalization.

3 Representational module(s).

تصافحيّة[1]. ومهمّة المنظومة الواحدة منها إقامة التّواصل بين مستويين في التّشفير أي بين منظومتين تمثيليّتين (أ) و(ب) وذلك بأن تترجم -وإن جزئيّا- المعلومات وقد صيغت بشكل مخصوص في (أ) إلى الشّكل الّذي تصاغ به في (ب)، يجري ذلك وفق قواعد التّناسب.

فالمظهر الصّوتيّ في اللّغة إذا ما أُخذ من زاوية حصوله عن طريق السّماع لا يمثّل المظهر الوحيد الحاصل من الإدراك السّمعيّ. فالسّمع إذ تعلّق بكلّ صوت يكون موردا لعدد متنوّع من المعلومات الّتي تنهض بتحليلها أو بتشفيرها منظومات مختلفة، منها منظومة التّعرّف على الشّخص المتكلّم باعتماد نبرات صوته وخصائصها غير اللّغويّة أي تلك الّتي لا دور لها في الفهم وهي تؤدّي وظيفة التّعرّف تماما كما تؤدّيها منظومة البصر من حيث النّتيجة وإن اختلفت الوسائل حيث يكون التّعرّف في البصر باعتماد سمات بصريّة.

ومنها منظومة الإدراك السّمعيّ ذي الغايات العامّة من قبيل موقعة مصدر الصّوت في المكان أو تحديد المسافة الفاصلة بينه وبين الذّات السّامعة أو تمييز الصّوت المقصود من جملة أصوات أخرى وما إلى ذلك، ومنها منظومة تحليل الأصوات اللّغويّة في شكل تمثيل صوتميّ خطوةً نحو تمثيله إعرابيّا ودلاليّا لتحليله أو تأويله. فكلّ واحدة من هذه العمليّات تصبّ في منظومة تمثيليّة خاصّة وإن كان المنطلق واحدا هو حصول صوت مدرك في السّمع.

وللمنظومة الصّوتميّة تصافحات أخرى عديدة مع نظام الإبصار أبرزها تلك الّتي يكون بها ترجمة العلامات الخطّيّة إلى منطوق مقروء والعكس، أو ترجمة المنطوق إلى إشارات والعكس في اللّغات الإشاريّة (لغات الصمّ والبكم). وفي (2) تمثيل عامّ للتّصافحات ما بين مختلف المنظومات الذّهنيّة الموسّعة إطارا عرفنيّا عامّا للتّصافحات اللّغويّة (جاكندوف 1997، 190).

ونتبيّن من التّمثيل في (2) ما يسعى جاكندوف إلى إثباته أساسا لاشتغال ما يطلق عليه المنظوميّة التّمثيليّة، إذ يتلقّى المستوى التّمثيليّ الواحد (ليكن صوتميّا أو إعرابيّا أو مفهوميّا) دخلا من عناصر متفرّقة مجتزأة مصادرها متنوّعة مختلفة، ويتولّى دمجها أو الصّهر بينها في شكل موحّد يُتّخذ درجة تقوم عليها عمليّات المعالجة في المراحل اللاّحقة عليها في المستويات التّمثيليّة التّالية (جاكندوف 1997، 103).

---

1 Interface module(s).

المعالجة المعجميّة في الهندسة الثّلاثيّة المتوازية

تخـزّن الكلمة في الذّاكرة طويلة المدى على هيأة ترابطات بين سمات صوتميّة وإعـرابيّة ودلالـيّة وليس جريان الوحدة المعجميّة في البنية المركّبيّة الإعرابيّة مجرّد إدراج[1] - كما هو الأمر عند شومسكي حيث يقوم تصوّره هذا على اعتبار البنية الإعـرابيّة جملـة من المواضع (المحلاّت) الّتي تملأ بمادّة هي الوحدة المعجميّة مثلا- وإنّما الوحدة المعجميّة نفسها من حيث كانت ثلاثيّة التّكوين وثلاثيّة التّصافح هي ترابط ثلاثيّ نوويّ من الصّوتميّة والإعراب والدّلالة، وجريانها في الجملة يقوم على الموافقة بين المستويات الثّلاثة في التّصافحات. فالكلمة الواحدة بدورها -في منظور جاكندوف- قائمة على التّصافح الثّلاثيّ (جاكندوف2002، 130)، فكلمة 'أسد' مـثلا فـيها بنية صوتميّة تشتغل بقواعد التّكوين المقطعيّ والعروضيّ بالتّوليف بين القطـع (الحـروف والحركات) وبنية إعرابيّة تشتغل بقواعد التّكوين الإعرابيّ من حيث تحمل سمات الاسميّة والإفراد وقابليّة العدّ وبنية دلاليّة تشتغل بقواعد التّكوين الدّلاليّ من حيث تحمل سمات مفهوميّة من قبيل كون المفهوم شيئا نوعا من الحيوان بكـلّ ما يمثّل الأسديّة. فالوحدات المعجميّة نتاج لقواعد التّصافح، والمعجم كاملا يعتـبر جـزءا من مكوّنات التّصافح. وقواعد التّناسب بين البنى الثّلاث (الصّوتميّة والإعـرابيّة والدّلالـيّة) تـشتغل في مـستوى الكلمة المفردة اشتغالها في مستوى التّراكيب الكبيرة:

وحدة معجميّة: < بنية صوتميّة، بنية إعرابيّة، بنية مفهوميّة>.

المعجم: ثواليث < بنية صوتميّة، بنية إعرابيّة، بنية مفهوميّة>.

يقلـق هذا التّصوّر الثّلاثيّ للوحدة المعجميّة خصوصا وجهاز النّحو عموما، جميع الأشكال الّتي تمثّل لجهاز النّحو في مختلف الأطوار التّوليديّة، وفيها يُفترَض أنّ الإدراج المعجمـيّ يقـوم على إدراج الوحدة المعجميّة في كلّيتها في أبنية مركّبيّة إعرابيّة، يعني ذلك أنّ الأبنية الصّوتميّة والمفهوميّة تجرجَر خلال الاشتقاق الإعرابيّ، وهـي في جميع ذلك مغيّبة غير فاعلة ولا تظهر إلاّ عندما يكون الاشتقاق قد بلغ مرحلة التّصافح بالشّكل الصّوتيّ أو الدّلاليّ (المنطقيّ) حيث يكون التّأويل الصّوتيّ والتّأويل الدّلاليّ. ولئن توفّر في البرنامج الأدنويّ مفهوم الدّمج الّذي يقوم على أنّ

---

1 Lexical insertion.

الـــوحدة المعجمـــيّة في كلّيتها تسقط الأبنية الإعرابيّة الأولى، فإنّ هذه العمليّة لا تخـــتلف كثيرا عن الإدراج إذ يظلّ مشكل الجرجرة قائما ذلك أنّ قواعد التّهجيّة توفّـــر المـــادّة الـــصّوتيّة الّتي تنطبق عليها القواعد اللاّحقة، فنعود من جديد إلى الجرجرة، فالبرنامج الأدنويّ نفسه يسمح بجرجرة المعلومات الصّوتميّة المعجميّة غير مرئيّة خلال الاشتقاق الإعرابيّ.

ولهذا الموقف تبعات مهمّة تمسّ استقلاليّة الإعراب إذ لا يستقيم الدّفاع عن هذه الاســـتقلاليّة حتّـــى إذا ما اعتمدت حجّة كون الإعراب لا يرى المعلومات الصّوتميّة والمفهوميّة المقترنة بالوحدة المعجميّة المدرجة خلال عمليّات الاشتقاق الإعرابيّ.

ولـــتجاوز المأزق الّذي تسبّب فيه كون الإدماج المعجميّ أوّلَ، يقترح بعض الباحـــثين أن تفـــرغ الوحدة المعجميّة من مضمونها الصّوتميّ – وبعضهم يضيف مـــضمونها المفهوميّ– فيقتصر الاشتقاق الإعرابيّ على المعلومات الإعرابيّة المعجميّة الظّاهرة لقواعد الإعراب في المنطلق وهي سمات من قبيل المقولة والشّخص والعدد وسمات الوسم الإعرابيّ والتّفريع المقوليّ الإعرابيّ، وكلّ ما يكون في هذا المخرج – عـــند جاكندوف– تأخير موقع الإدراج المعجميّ عن الاشتقاق الإعرابيّ. وإذا ما تأخّـــر موقع الإدراج تظلّ السّمات الصّوتميّة والدّلاليّة خارج الاشتقاق في ما بين البنـــية العمـــيقة والبنـــية–س، دون أن تخرج مطلقا عن الإعراب، فهذه السّمات حاضـــرة ولكـــن بـــشكل غير مرئيّ في البنية – س ولا تصبح ظاهرة إلاّ إذا مرّ الاشتقاق بالتّصافح المناسب (الصّوتميّ، الدّلاليّ).

ويتبـــيّن ممّـــا مـــضى أنّ فكرة الإدراج من أساسها غير مستقيمة إذ تعارض التّـــصوّر الطّبيعـــيّ للـــوحدة المعجمـــيّة ثالوثا < بنية صوتميّة، بنية إعرابيّة، بنية مفهومـــيّة>، وذلـــك مـــا به يمتنع تصوّر إدراجها في أيّ مستوى من مستويات الاشتقاق دون أن يكون لذلك تمثيل خليط مرتبك. فيكون تبعا لذلك من الواجب اعتـــبار المعلـــومات الثّلاث مفصولا بعضها عن بعض فصلا تامّا ومتناسقة وجوبا بتوسّط قواعد التّناسب الّتي تكوّن التّصافحات. فالاشتقاق، عند جاكندوف، يقوم على الأساس نفسه وهو التّوازي والتّزامن بين الأبنية الثّلاث وقد استقلّت الواحدة منها عن الأخرين. فدور الوحدة المعجميّة – في تصوّره– لا يتمثّل في إدراجها في الاشتقاق الإعرابيّ وإنّما في أنّها تجيز[1] التّناسب بين بعض الرّموز النّهائيّة أو القريبة

---

1 License.

مــــن النّهائيّة في كلّ من البنية الصّوتميّة والبنية الإعرابيّة والبنية المفهوميّة. والإجازة معـــناها الجمع والتّوحيد بين موادّ الأبنية الثّلاث لتكوين الكلمة في تمام مظاهرها الـــثّلاثة. فيكون تمثيل الوحدة المعجميّة "كتاب" على سبيل المثال ثالوثا من الأبنية المتناسبة المتوازية المتصافحة كما في ما يلي:

- البنية الصّوتميّة المعجميّة: جملة المعلومات الصّوتميّة: كلمة'(kitaab)
- البنية الإعرابيّة المعجميّة: المعلومات الإعرابيّة: اسم'(مفرد، معدود، مذكّر)
- البنية المفهوميّة المعجميّة: المعلومات المفهوميّة: شيء' (نوع:/كتاب/).

فالـــوحدة المعجميّة تؤخذ على أنّها قاعدةُ تَناسُب والمعجم كاملا يؤخذ على أنّـــه جـــزء من منظومة التّصافحات (بنية صوتميّة – بنية إعرابيّة، بنية إعرابيّة –بنية مفهوميّة)، ومن هذا المنظور لا يتمثّل دور الوحدة المعجميّة في كونها مادّة الإدراج في الاشـــتقاق الإعرابيّ بل في إجازة التّناسب بين الرّموز (القريبة من) النّهائيّة من البنـــية الإعـــرابيّة والبنية الصّوتميّة والبنية المفهوميّة. فلا حاجة إلى قواعد الإدراج المعجميّ ولا إلى ترتيب فيها (جاكندوف 1997، 89-90).

يقوم البرنامج الأدنويّ على وجود تصافح خاصّ بين المكوّن الحوسبيّ والمعجم، ولكـــنّ ذلك غير وارد في الهندسة الثّلاثيّة المتوازية وفيها يُعتبر التّصافح المعجميّ جزءا من التّصافحات الأساسيّة الثّلاثيّة لا مستقلاّ في ذاته. ففرضيّة الإجازة تتيح الحفاظ على استقلال كلّ نمط من المعلومات في كلّ مستوى من المستويات التّمثيليّة.

ويعمـــد جاكـــندوف إلى مجالات إدراكيّة ذهنيّة يقرّب باعتماد نماذج منها مفهـــوم المعجم وتكوّنه ومشابهته لسائر المكوّنات الذّهنيّة، من ذلك ارتباط صورة بصريّة بصورة تذوّقيّة. فالنّظر إلى طعام ما يصاحبه التّعرّف على مذاقه، وذلك يمثّل ترابطا بين تمثيلين بصريّ وتذوّقيّ. ويختزن الدّماغ الكثير من ذلك في تمثيلات لمثل هذه التّرابطات، وهي لا تختلف عن ترابطات الصّوت بالمفهوم في المظهر الشّكليّ، وكلاهما على درجة من الاعتباط واحدة.

فالمعجم بهذا التّصوّر مثل سائر المكوّنات الذّهنيّة مجموعة من التّرابطات مختَزنة بـــين قطـــع مخـــتلفة من تمثيلات متنوّعة، ودوره في المعالجة هو نفسه الّذي لسائر المكوّنات الذّهنيّة من حيث كان تصافحا بين تمثيلين أو تمثيلات يربط بينها، وهذا أســـاس مهـــمّ لوضـــع النّحو الذّهنيّ في إطار عرفنيّ عامّ يستوجب وضع النّظريّة اللّسانيّة في علوم العرفنة (راجع التّمثيل (2)).

الاهتداء المعجميّ

لنظـــريّة جاكندوف مظهر نفسيّ لغويّ يهمّ المعالجة اللّغويّة إدراكا وإنتاجا. ويمكن عرض الاتّجاهين تباعا في شكل محطّات أو مراحل تحدث عند الواحدة منها جملة من عمليّات المعالجة[1] المتنوّعة المتكاملة المتناسقة تؤدّيها جملة من المكوّنات تمثّل مجـــتمعة معالجـــا[2]. وتجري المعالجة في مستويين من الذّاكرة هما الذّاكرة العاملة[3] والذّاكرة طويلة المدى[4]، ويقوم الاهتداء المعجميّ في نظريّة الهندسة الثّلاثيّة المتوازية على أربعة مكوّنات (جاكندوف 2002، 207 وما بعدها):

- الإنشاط[5]: هو عمليّة تكون بها إثارة الوحدة المعجميّة في الذّاكرة طويلة المدى، وممّـــا بـــه يكـــون ذلك إشارة من الذّاكرة الصّوتميّة العاملة إلى البنية الصّوتميّة المحفوظة للوحدة المعجميّة، كما يكون بالتّداعي عن طريق الإنشاط الانتشاريّ ما بين الوحدات المعجميّة المترابطة.
- الـــرّبط[6]: هو استحضار الوحدة من الذّاكرة طويلة المدى عن طريق إحداث نظير منها أو نسخة منها.
- الإدماج[7]: هو عمليّة توليف بين الوحدة المعجميّة المستحضرة ووحدة أو وحدات أخـــرى في بنـــية أكبر وفق مقتضيات البنية الإعرابيّة، مثلا. كما يكون في هذه العمليّة المحافظة على عدد من الوحدات المترشّحة الّتي تتساوى حظوظها في التّعبير عن مفهوم ما في عبارة ما، ريثما تجري عمليّة ضبط التّناسق.

- ضبط التّناسق[8]: هي عمليّة تجميع لكلّ الإمكانيّات الّتي يمكن أن يكون بها الإدمـــاج ومقارنة بعضها ببعض، وإلغاء ما لا يصلح منها بإبطال جميع العمليّات الـــسّابقة. كمـــا يكون بها التّثبّت من حدوث الإدماج على أحسن وجه في جميع المستويات بوجه يكون به التّناسق فيها جميعا.

---

1 Processing.
2 Processor(s).
3 Working memory.
4 Long-term memory.
5 Activation.
6 Binding (copying).
7 Integration.
8 Resolution.

خاتمة

يقوم البرنامج الأدنويّ على وجود تصافح خاصّ بين المكوّن الحوسبيّ والمعجم، ولكنّ ذلك غير وارد في الهندسة الثّلاثيّة المتوازية وفيها يُعتبر التّصافح المعجميّ جزءا من التّصافحات الأساسيّة الثّلاثيّة لا مستقلاّ في ذاته. ففرضيّة الإجازة تتيح الحفاظ على استقلال كلّ نمط من المعلومات في كلّ مستوى من المستويات.



معالجة الكلام في الإطار التّوليديّ
نظريّة اللّمّات نموذجا

من الأنشطة الأساسيّة الغالبة في العرفنة، إنتاج الكلام وفهمه. وهو موضوع نفسيّ ولسانيّ نفسيّ ولسانيّ عصبيّ. ولئن مثّلت التّوليديّة عامّة ومنوال الأدنويّة والهندسة الثّلاثيّة خاصّة إطارا نظريّا عامّا فإنّ بعض المناويل النّفسيّة اللّسانيّة اتّخذت منها إطارا يكون البحث فيه في قضايا إنتاج الكلام وتحليله وهو ما يجتمع في ما يطلق عليه مفهوم المعالجة. وتمثّل نظريّة اللّمّات واحدة من نظريّات عديدة في إنتاج الكلام وتأويله. ومن المباحث المطروحة في هذا ما تعلّق بالتّمثيلات النّحويّة (الصّوتميّة، المعجميّة، الصّرفيّة، الإعرابيّة، الدّلاليّة) من حيث طبيعتها وتكوّنها وتخزينها واستحضارها ومن حيث استعمالها في المعالجة إنتاجا وتأويلا. والأبحاث في هذا المجال نوعان: نفسيّة و/أو لسانيّة نفسيّة وهي الغالبة ونوع آخر يتّخذ من النّظريّة اللّسانيّة إطارا وفيها يقيم جهازا متكاملا في إنتاج القول وتأويله. وقد كان اختيارنا لنموذجين يمثّلان منطلقا لتوسيع الأبحاث، هما نظريّة اللّمّات ونظريّة اللّوغونات. ولعلّنا نحيل خلال هذا الفصل على دراسات مفيدة في نقطة جزئيّة أو أكثر يستكمل منها القارئ سائر القضايا بتفاصيلها.

معالجة الكلام: الاتّجاهات الكبرى

تعدّدت المناويل في معالجة الكلام عامّة وفي الاهتداء المعجميّ على وجه الخصوص، وتداخلت كذلك بشكل يجعل التّمييز بينها صعبا. وذلك عائد إلى تعدّد الظّواهر المطروقة وتشعّبها، ويمكن -حسب ما يرى كينّيث فورستر[1] (1989) - تقسيمها إلى عدد من المجموعات:

1 Kenneth I. Forster.

أ- مجمـــوعة مـــن المـــناويل قـــوامها مـــبدأ أساســـيّ هو الإنشاط[1] (مجموعة الإنـــشاط). وفيها اتّجاهان كبيران يتمثّل الأوّل منهما في نظريّة اللّوغونات كمـــا تـــبلورت في أعمال مورطون، ويتمثّل الثّاني منهما في منوال الشّبكة المتوازية المتفاعلة[2] كما تبلور في أعمال ماكللاّند وروملهارت[3] (1981) وما شـــابهها من المناويل التّرابطيّة[4]. وتتّفق هذه المجموعة في إقامة المعالجة اللّغويّة على مبدإ الاهتداء المتوازي وعلى مفهوم الإنشاط الانتشاريّ[5].

ب- مجمـــوعة من المناويل يطلق عليها فورستر (1989، 76) "النّظريات الحوسبيّة في الاهـــتداء المعجمـــيّ"[6]، وقـــوامها أنّ الاهتداء المعجميّ يشبه استحضار المعلومات المخزّنة في الحاسوب وأنّ سرعة الاهتداء في كلّ منهما مرتبطة بما به يكون تخزين المعلومات من حيث تصنيفها وتنظيمها.

ج- مجموعة ثالثة مزيج من المجموعتين (أ) و(ب) في بعض المبادئ، وقوامها أنّ الاهـــتداء المعجمـــيّ أساسه إنشاط يشتغل في نظام يتأسّس على عمليّتين إنـــشاط وفحص. يكون بالإنشاط البحث عن جملة من الوحدات تترشّح للعبارة ثمّ تعرض تلك الوحدات على آليّة الفحص للتّأكّد من صلاحيّتها وفـــيها يكـــون اختيار أفضل المترشّحين. ومنطلق عمليّة الإنشاط المظهر الشّكليّ في الوحدة المعجميّة أمّا المظهر الدّلاليّ المقاميّ فذو دور ثانويّ فيه وإن كان دوره أهمّ في نهاية طور الاختيار. ولعلّ أفضل ممثّل لهذه المجموعة من النّظريّات نظريّة "الإنشاط والفحص[7]" كما تبلورت في أعمال طافت وهمبلـــي[8] (1986)، ونظـــريّة اللّمّـــات كما تبلورت في أعمال لوفلت[9] (1989).

---

1 Activation.

2 Parallel-interactive-network model.

3 McClelland & Rumelhart.

4 Connectionist models.

5 Spreading activation.

6 Computational theories of lexical access.

7 Activate and check.

8 Taft and Hambly.

9 Lemma Theory (Levelt) .

نظريّة اللّمّات

تتمـــثّل الفرضـــيّة الأساسيّة الّتي يقيم عليها لوفلت نظريّته في كون العمليّات الجاريـــة في تكـــوّن الكـــلام مـــوجّهة معجميّا أي أنّ عمليّات التّركيب النّحويّة والـــصّوتميّة تجـــري بتوسّط المداخل المعجميّة. فالرّسالة ما قبل-الكلاميّة[1] تقدح[2] الـــوحدات المعجميّة، وتقدح خصائصُ هذه الوحدات المعجميّة الصّرفيّة والإعرابيّة والـــصّوتميّة بـــدورها عملـــيّات التّشفير[3] الكامنة في توليد الأقوال. وتسمّى هذه الفرضـــيّة الفرضيّةَ المعجميّة[4] إذ يمثّل المعجم فيها الوسيط الرّئيسيّ بين بناء المفاهيم والتّـــركيب النّحويّ والصّوتميّ، وتنفي هذه الفرضيّة أن يتوفّر في رسالة المتكلّم ما يقدح شكلا إعرابيّا محدّدا دون آخر من قبيل البناء إلى المعلوم أو إلى المجهول أو غير ذلك من أبنية الإعراب. يكون ذلك دائما بتوسّط الوحدات المعجميّة الّتي تقدحها الرّسالة. وهذه الوحدات المعجميّة المنقدحة بما لها من الخصائص النّحويّة وبترتيبها في عملـــيّة الانقداح تجعل المركّب النّحويّ يولّد بنية إعرابيّة مخصوصة. وتقوم هذه النّظـــريّة على تصوّر للانتظام الدّاخليّ للمداخل المعجميّة وعلى نمط مخصوص في المعالجة من حيث الاهتداء والإنتاج.

يقـــوم إنتاج الكلام – عند لوفلت- على خطوتين كبريين: خطوة المخطّط الأكـــبر[5] تتلوها خطوة المخطّط الأصغر[6]. يقوم المخطّط الأكبر على بلورة القصد التّواصليّ[7] في شكل سلسلة من الأهداف الرّئيسيّة أو الكبرى والأهداف الثّانويّة أو الفـــرعيّة. كما يقوم على انتقاء المعلومات الّتي يتحقّق بالتّعبير عنها كلّ واحد من الأهداف الثّانويّة. ويقوم المخطّط الأصغر على تشكيل الرّسالة ببناء المعلومات الّتي تتضمّنها بوجه يقود السّامع إلى تبيّن القصد التّواصليّ.

يجـــري في المخطّـــط الأكبر انتقاء المعلومات بما يصاحب ذلك من عمليّات عرفنيّة قوامها التّخطيط وترتيب المعلومات واستحضارها باشتغال الذّاكرة وتحديد

---

1 Preverbal message.

2 Trigger .

3 Encoding procedures.

4 Lexical hypothesis.

5 Macroplanning.

6 Microplanning.

7 Communicative intention.

مـراتب أبعاضـها في سلسلة الكلام عند التّعبير واعتماد العناصر التّداوليّة المقاميّة المباشـرة وغير المباشرة. ويجري في المخطّط الأصغر تأشير المفاهيم وتوزيعها على سـلّم من درجات البروز والعناية تتحدّد بمقتضاه مواقع المفهوم محوريّا كان أو لا محـوريّا ويـتحدّد نوعه من حيث جدّته أو قدامته، جميع ذلك من زاوية إخباريّة. ويكون عندئذ تحديد البناء القضويّ في الرّسالة وما يصاحب ذلك من زاوية النّظر الّـتي تُـنقل منها العناصر ومن تعالق يكون بين تلك العناصر في ضوء ما يقتضيه مـضمون الرّسالة من خصوصيّات عرفيّة إدراكيّة عامّة أو فرديّة تخصّ المتكلّم، بما في ذلك تحديد الأزمنة وما يوازيها من مظاهر تضمن استقامة الاهتداء أو الفهم عند السّامع. ومنتهى المخطّط الأصغر اكتمال القول في شكل رسالة ما قبل-كلاميّة.

بنية المعجم: المداخل المعجميّة وانتظامها

المعجـم عـند لـوفلت (1989، 182) خزينة من المعارف الإثباتيّة[1] المتعلّقة بالكلمـات في اللّغـة. تقوم الوحدة المعجميّة على أربعة أنواع من السّمات على الأقـلّ: سمات معنويّة تجمع كلّ ما يكوّن المفهوم المقترن بها وهي أساسيّة في انتقاء الـوحدة المعجميّة، وسمات إعرابيّة تتضمّن مقولة الوحدة (اسم، فعل، حرف، إلخ) وكـلّ مـا لـه صلة بالإعراب، وسمات صرفيّة تجمع كلّ الخصائص المحدّدة للبنية الاشـتقاقيّة والتّصريفيّة والتّركّب الصّرفميّ، وسمات صوتميّة تضمّ كلّ المعلومات الّتي تهمّ القطَع[2] الصّوتيّة المكوّنة للوحدة ومقاطعها ومواقع النّبرة فيها وما إلى ذلك. كمـا يتوفّـر عـدد آخر من المعلومات تخزّن مع الوحدة المعجميّة بعضها تداوليّ وبعضها أسلوبيّ وانفعاليّ يكون به اندراجها في سياق دون آخر.

وجميع هذا المعلومات مترابط ترابطا نظاميّا بوجهين: داخليّ يكون في مستوى المـدخل المعجمـيّ وخارجيّ يكون في ما بين المداخل. وتمثّل هذه التّرابطات بنية المعجم الذّهنيّ الدّاخليّة (لوفلت 1989، 183).

ويميّـز لوفلت بين الوحدة المعجميّة[3] والمدخل المعجميّ[4]. فالمدخل المعجميّ يمكـن أن يتضمّن عددا من الوحدات المعجميّة المترابطة داخليّا بوجه من الوجوه

1 Repository of declarative knowledge.

2 Segment.

3 Lexical item.

4 Lexical entry.

كأن تكون تصاريفَ لفعل واحد مثلا، أو لاسم واحد أو مشتقّة من أصول حرفيّة واحــدة. فهــذه الــوحدات متمايزة داخليّا ولكنّها منتمية إلى 'عائلة واحدة' هي المــدخل المعجميّ، والفويرقات بينها تقود عمليّة الانتقاء في تكوين الكلام، كأن يُنتقــى من المدخل (ك ت ب) مثلا وحدة من خصائصها المضيّ والمعلوم والتّذكير والإفراد وما إلى ذلك فتكون 'كتبَ'.

والعلاقات بين المداخل المعجميّة نوعان: علاقات ذاتيّة[1] وعلاقات ترابطيّة[2]:

أ- العلاقات الذّاتيّة: أساسها السّمات المتعلّقة بالمدخل المعجميّ (المعنويّة والإعرابيّة والصّرفيّة والصّوتميّة) وتتعالق بها المداخل المعجميّة لاشتراكها فيها بعضها أو جمــيعها مــن قبــيل التّضمّن أو الاندراج كأن تندرج 'كلب' في 'حيوان'، و'أزرق' في 'لــون'، ومــن قبيل كلمة وأخرى أخت لها في الاندراج كأن تندرج 'قطّ 'و 'كلب' في 'حيوان'. أو ما يكون بين وحدة وأخرى مرادفة لها أو قــريبة مــنها في المعنى من قبيل 'عال' و'مرتفع'. وتتكوّن بهذه العلاقات الحقولُ الدّلاليّة. كما تترابط الوحدات ترابطا صرفيّا اشتقاقيّا عند اتّفاقها في الجذع أو الحروف الأصول من قبيل 'وطن، وطنيّة، مواطن، مواطَنة' وما إلى ذلــك. ومــن العلاقات الصّوتيّة ما تترابط به وحدات تشترك في الصّوت الــواحد في بدايتها أو في نهايتها، ومثل هذا التّرابط الصّوتيّ يتجلّى أحيانا في زلاّت اللّسان أو سبق القول وما شاكلهما أثناء الإنتاج. أمّا التّرابط الإعرابيّ فممّــا يــصعب إثباته مخبريّا أو إجرائيّا (لوفلت1989، 184)، وإن توفّر في الاستعمال ما به يثبت الاقتران بين بعض الأفعال وما يتعدّى به الواحد منها مــن الحروف الأدوات، وهذا لا يمثّل أساسا إحصائيّا كافيا يثبت به التّعالق الإعرابيّ بين الوحدات المعجميّة.

ب - العلاقــات التّــرابطيّة: هي ما تتوارد به الوحدات المعجميّة دون توفّر أساس دلاليّ ضرورة. يقوم ذلك على أساس التّصاحب المتواتر في الاستعمال. كأن يتــرابط 'حرب' و'موت' وما من علاقة دلاليّة مباشرة بينهما. فكلّما جرت الأولى في ســياق مــا واردتهــا الأخرى عن طريق الأولنة[3] دون أن يكون

---

1 Intrinsic.

2 Associative.

3 Priming.

موضوع الحديث مقتضيا إيّاها ضرورة. ويمكن أن يتّسع التّرابط ليشمل كلّ مـا يحـضر في الذّهن من الوحدات المعجميّة عن طريق التّداعي مطلقا وهو ترابط معقّد تتعدّد فيه الوسائط المفهوميّة على درجات ثمّ تخبو تلك الوسائط ليستوي التّرابط مباشرا.

استعمال الوحدة المعجميّة: استحضار أو بناء

يعـرض لوفلت إلى قضيّة أساسيّة في جميع المباحث المتّصلة بالمعجم من حيث كان جزءا من الجهاز المنتج للأقوال، ومدارها على ما به يكون استعمال الوحدات المعجميّة وتجهيزها جزءا من الرّسالة ماقبل-الكلاميّة. ولهذا المبحث وجه آخر يتعلّق بالمكـوّن المعجميّ جزءا من جهاز التّحليل والفهم في الكلام المسموع. وفي ذلك فرضيّتان: الاستحضار[1] والبناء[2].

الاستحـضار عود إلى رصيد موجود جاهز محفوظ بشكل ما لانتقاء وحدة صالحة للقول أمّا البناء فإجراء لآليّة يكون بها توليد الوحدة المعجميّة توليدا آنيّا أو آن-قولـيّا أي زمن إنتاج القول وهو بناء مستأنف كلّما كانت الحاجة إليه. ويمثّل المظهـران مـوقفين نظريّين تتردّد بينهما جميع النّظريّات المتعلّقة بإنتاج القول وتحلـيله. وأسـاس الاستحـضار اعتبار المعجم الذّهنيّ رصيدا سلبيّا من المعارف الإثباتـيّة المتعلّقة بالكلمات، أي أنّه جملة من الوحدات محفوظة في الذّهن، مكتملة عـدّا ونـوعا، خصائصها مُثبتة مسجّلة وهي جاهزة لتُنتَقى حسب الحاجة. وهذا حـال قسم كبير من الوحدات المعجميّة الّتي تمثّل 'رصيدا سلبيّا جاهزا للاستعمال علـى ذمّـة المكوّنات النّاشطة من نظم معالجة المعلومات والمساهمة في الاستعمال اللّغويّ' (ميلّر 1978، 62).

أمّا البناء فمنطلقه تساؤل في ما به يمكن لشخص عاديّ سويّ أن يعالج آلاف الوحدات المعجميّة في وقت سريع جدّا أثناء الإنتاج وأثناء الفهم. ينضاف إلى ذلك أنّ قـسما من الوحدات المعجميّة مثل قائمة الأعداد الطّبيعيّة غير منته عدّا، فإذا ما تصوّرناها محفوظة في شكل قائمة في الذّاكرة يستغرق حفظها زمنا مديدا ويستحيل أن يـسعها الدّماغ. فمن المفروض أنّ المتكلّم يجري قاعدة في تركيبها عند الحاجة

1 Retrieving.

2 Constructing.

دون أن يعـــود إليها واحدا واحدا في رصيد محفوظ في الذّاكرة (ميلّر 1978، 62). ويحدث للمتكلّم ما يسمّى بالفراغ المعجميّ[1] إذ تنقطع به السّبيل عند البحث عن كلمة لا تحضره فينشئ كلمة أخرى قريبة منها في المعنى أو عند الحاجة إلى كلمة في شـــكل تصريفيّ أو اشتقاقيّ لم يسبق له أن حفظه فيعمد إلى إجراء قاعدة تصريفيّة أو اشـــتقاقيّة إجراء فوريّا يصوغ به الكلمة على الشّكل المناسب، وهو في الحالتين معـــتمد علـــى معرفة عمليّة قوامها مهارة يملأ بها الفراغ بوحدة ينشئها آن القول (بوتـــرووورث1989، 108)[2]. كمـــا يتوفّـــر في اللّغات نماذج إلصاقيّة لا يمكن أن يستقيم فيها تصوّر الرّصيد المعجميّ في شكل إثباتيّ، من ذلك اللّغة التّركيّة. وهي نمـــوذج في تركيب الكلمات بإلصاق الصّرافم العديدة في سلسلة طويلة. فيستحيل نظـــريّا أن يخـــزّن المتكلّم بالتّركيّة جميع التّوليفات الّتي تحدث بهذا الشّكل، وإنّما الأَوْلى أن تكـــون له معرفة تراتبيّة[3] معجميّة بها يركّب الكلمات ويجريها آنيّا عند الإنجـــاز. ويكون المتكلّم في ضوء هذا مزوّدا بمكوّن حوسبيّ قويّ وظيفته التّركيب المعجميّ ينتج بها الكلمات إنتاجا فوريّا.

ومـــن القضايا المتّصلة بهذا، العبارات الجاهزة أو المسكوكة من حيث الحفظ أوالإنـــتاج. فللمـــتكلّم رصيد منها جزءا من معجمه الذّهنيّ، وفيها يقترن المفهوم المفرد بعبارة مركّبة، إذا ما قورنت بسائر الوحدات المعجميّة العاديّة، فعبارة 'كانت تـــشخر زادت بَف' من العاميّة التّونسيّة مثلا بنية مقطعيّة تنغيميّة موحّدة في المظهر الـــصّوتميّ، معناها ثخِن يمثّل كلاّ أو وحدة لا يمكن تفكيكها إلى معاني أبعاضها، وتجري في سياقات محدودة تفيد فيها (زاد الطّينَ بلّة)، فيكون استعمالها محدودا ولا تنطـــبق فيها قواعد التّصريف (تبدّل الضّمائر أو الأزمنة) انطباقها النّظاميّ المعهود، فيمتنع فيها ما يلي:

- كانوا يشخروا زادوا بفّ.
- يشخروا زادوا بف.
- ماهمش يشخروا باش يزيدوا بف.
- كان يشخر زاد بف.

---

1 Lexical gap.

2 Butterworth, 1989.

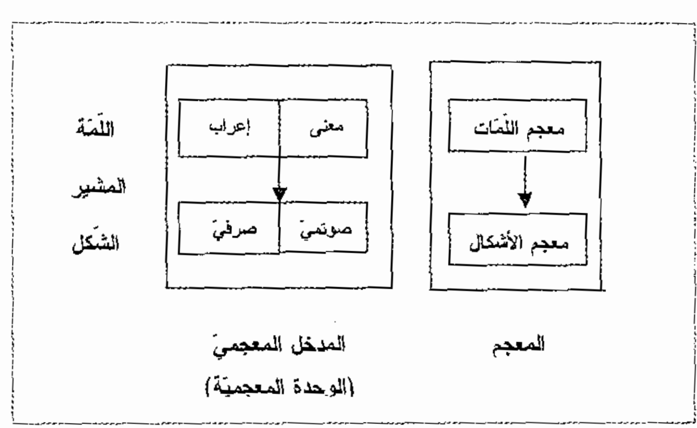
3 Procedural knowledge.

وتظـــلّ العبارات الجاهزة في مظهرها الذّهنيّ تخزينا واستحضارا غير واضحة المعالم، فهي مداخل معجميّة يتكوّن الواحد منها من وحدات معجميّة كثيرة تنقدح انقداح المداخل المعجميّة 'المفردة' في مستوى الرّسالة ما قبل- اللّغويّة.

تمثيل المدخل المعجميّ: اللّمّة والشّكل الصّرفصوتميّ

يعـــتمد لوفلت جهازا في تمثيل المدخل المعجميّ قوامه ثنائيّة الشّكل والمعنى، وأساســه أنّ المكوّنين منفصلان في التّمثيل وفي المعالجة. وهي نوعان معالجة دلاليّة إعـــرابيّة ومعالجـــة شكليّة صرفصوتميّة. وتشتغل المعالجتان مستقلّتين، في مستويين مختلفين في التّشفير فيكون التّشفير الصّرفصوتميّ أساسيًا في تحديد المظهر الصّوتميّ - دون تـــدخّل المكوّن الدّلاليّ الإعرابيّ. وينقسم المدخل المعجميّ في ضوء ذلك إلى قسمين: قسم يضمّ المعلومات الدّلاليّة والإعرابيّة قوامه اللّمّة[1] (وهي تسمية اقترحها كمـــبن وهويبرز[2] (1983))، وقسم يضمّ المعلومات الصّوتميّة والصّرفيّة هو الشّكل الصّرفصوتميّ[3].

ويوسّـــع لـــوفلت هذه القسمة لتشمل المعجم الذّهنيّ مطلقا فيجعله قمسين: معجـــم اللّمّات ومعجم الأشكال، وفيه تقارن كلّ لمّة الشّكل المناسب لها، وتقوم علـــى هذا فرضيّة قوامها أنّ استحضار اللّمّات سابق على استحضار الأشكال في تشفير الكلام. إجمال ذلك في التّمثيل التّالي حيث يمثّل السّهم المشير المعجميّ[4]:

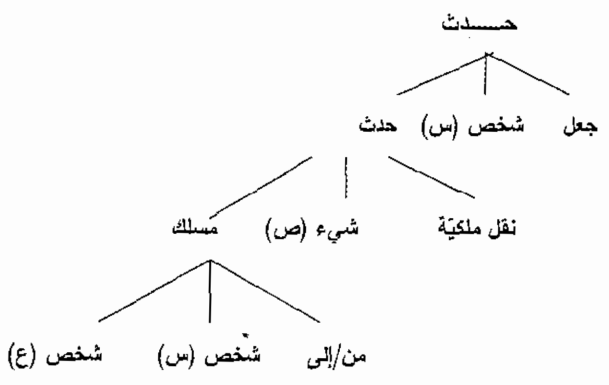


---

1 Lemma(s).
2 Kempen and Huijbers.
3 Morphophonological form.
4 Lexical pointer.

ومن أمارات انقسام الوحدة المعجميّة المفردة والمعجم الذّهني في عمومه إلى مستويين تمثيليّين (لمّات وأشكال) ظاهرة الكلمة الّتي على طرف اللّسان[1] حيث ينقدح المفهوم وما يتعلّق به من خصائص مقوليّة إعرابيّة ويتعطّل الاهتداء إلى الشّكل الصّرفصوتميّ. ونفس الظّاهرة تمثّل دليلا على أسبقيّة استحضار اللّمّة على الشّكل.

ويعرض لوفلت بنية اللّمّة بما تتضمّنه من معلومات دلاليّة وإعرابيّة في إطار توليديّ متداول معهود يعود في عمومه إلى ما قبل الأدنويّة. فالمعلومات الدّلاليّة تحدّد الشّروط المفهوميّة الّتي يجب أن تتوفّر في اللّمّة حتّى تنقدح، فلمّة 'أعطى' مثلا تتضمّن المعلومات الدّلاليّة التّالية: حدثٌ يكون بأن يجعل[2] شخص (س) حدثا تنتقل به ملكيّة شيء (ص) خلال مسلك[3] ينطلق من (س) وينتهي إلى شخص آخر (ع):



وتمثّل هذه الخصائص المفهوميّة البنية المفهوميّة الّتي يجب أن تطابقها الرّسالة من حيث أبنيتها الفرعيّة. فعناصر هذه البنية متغيّرات (س، ص، ع) تتعلّق بالواحد منها واحدة من الوظائف هي الأدوار الدّلاليّة. وتحدّد المعلومات الإعرابيّة وما يستتبعه ذلك من وظائف نحويّة وخصائص إعرابيّة، فلمّة 'أعطى' فعل نوويّ يمثّل مصدر الوسم الإعرابيّ ويحمل علامات التّصريف المناسبة:

أعطى تحديد مفهوميّ: جعل (س، (انتقال ملكيّة (ص، (من/إلى (س، ع))))).

---

1 Tip-of-the-tongue.

2 Cause.

3 Path.

الموضوعات المفهوميّة: (س، ص، ع)

المقولة الإعرابيّة: ف (فعل)

وظائف نحويّة: (فاعل، مف1، مف 2)

برامترات تصريفيّة: زمان، مظهر، جهة، شخص، عدد، نبرة، إلخ.

وباكتمال ركني اللّمّة ينقدح المشير المعجميّ ليكون التّقارن المناسب بينها وبين الشّكل الصّرفصوتميّ "أعطى".

الاهتداء المعجميّ

يمثّل مبحث الاهتداء المعجميّ[1] إلى الكلمات مبحثا أساسيّا في إنتاج الأقوال، وقوامه قضيّتان هما: كيف يتحدّد الاهتداء من زاوية مفهوميّة؟ وكيف يجري ذلك الاهتداء أي كيف يتمّ الاختيار بين الكلمات بمراعاة نسق الكلام السّريع؟

وتبلغ سرعة المتكلّم العاديّ 150 كلمة في الدّقيقة الواحدة فمعدّل دفق الكلام كلمة في كلّ 400 ملّيثانية، ويمكن أن يتضاعف ذلك الدّفق في حال السّرعة العالية فيكون كلمة كلّ 200 ملّيثانية. هذا من زاوية الدّفق، أمّا الاختيار فمداره أنّ المتكلّم الكهل يملك في رصيده المعجميّ 30 ألف كلمة تقريبا وعليه أن يختار الوحدة المعجميّة المناسبة من هذا الرّصيد. فله 30 ألف إمكانيّة اختيار ولكنّه لا يجد مشكلا أو تباطؤا في ذلك رغم سرعة الكلام. يمثّل جميع ذلك مهارة عرفنيّة مشتركة بين النّاس، ورغم ذلك تندر زلاّت اللّسان. فقد وجد قارنهام وجماعته[2] (1982) في إحصاء شمل نصوصا بلغ عدد الكلمات فيها 200 ألف، 191 زلّة لسان فقط، وهو ما يناسب زلّة واحدة لكلّ ألف من الكلمات تقريبا. ويفرض مثل هذا الواقع قيودا على كلّ نظريّة في الاهتداء ذلك أنّ عليها أن تراعي في ما تقيمه من الفرضيّات ثالوثا من المظاهر: اتّساع الرّصيد وسرعة الكلام وندرة الأخطاء.

وفي المعالجة الذّهنيّة أثناء إنتاج الأقوال فرضيّتان أساس الأولى المعالجة المتوازية[3] وأساس الثّانية المعالجة المتراكزة[4].

---

1 Lexical access.

2 Garnham & alee.1982.

3 Parallel processing.

4 Convergence.

ويتوفّر لفرضيّة التّوازي حجج عديدة أساسها سرعة المعالجة الفائقة أثناء إنتاج الأقوال. ويكون من الخطل أن نتصوّر أنّ الاهتداء إلى لمّة ما يقتضي استعراضا تتابعيّا لجميع اللّمّات، وهي تعدّ بالآلاف في المعجم الذّهنيّ، يستقصيها واحدة واحدة إلى أن يكون العثور على الوحدة المناسبة منها، لما يقتضيه ذلك من زمن في المعالجة طويل. ويستتبع ذلك آلاف عمليّات الفحص إلى أن يكون العثور على اللّمّة المناسبة وهذا تعارضه سرعة الكلام الفائقة الظّاهرة.

ومن الحجج الأخرى الّتي تسند المعالجة المتوازية ظاهرة المزج وهي من زلاّت اللّسان المتواترة وفيها يكون انقداح بالتّوازي بين وحدتين معجميّتين متقاربتين في المعنى أو في الشّكل فيكون المنجَز لفظا فيه بعض ممزوج من الوحدتين.

أمّا فرضيّة التّراكز فقوامها التّقارن الأحاديّ بين اللّفظ والمعنى أي أنّ اللّفظ الواحد مقترن بمعنى واحد اقترانا شرطيّا يثار الواحد بحضور الآخر، ونفي للتّرادف المطلق. وأساس هذا التّقارن انقداح مباشر للشّكل الصّرفصوتميّ انطلاقا من المفهوم، حيث يثير كلّ مفهوم شكلا صرفصوتميّا مخصوصا به في الذّاكرة، وفي هذا تفسير للسّرعة الفائقة في الكلام وقلّة زلاّت اللّسان مقارنة بذلك.

ومن النّماذج البارزة الدّاعمة لفرضيّة التّراكز في الاهتداء المعجميّ أسماء الأعلام حيث لا يحتمل انقداح اللّمّة خيارا بين شكلين أو أكثر وإنّما يكون بالاقتران الرّأسيّ بين الاسم ومسمّاه واحدا بواحد، وهذا ما يجعل العمليّة على غاية من السّرعة والثّبات.

جهاز المعالجة اللّغويّة

يتكوّن جهاز المعالجة اللّغويّة من جملة من النّظم تشتغل متوازية متفاعلة في تزامن للواحد منها دَخْل يستلم به مادّة يحوّلها أو يركّبها أو يحلّلها فتستوي خَرْجا له يكون دخلا لما يليه من النّظم. فإذا تمثّلنا الكلام إنتاجا اقتضى ذلك أن يكون له مادّة تتحوّل ومراحل يسلكها ذلك التّحوّل وعناصر تشتغل بإحداث ذلك التّحوّل على امتداد تلك المراحل. فالجهاز تمثيل لهندسة تبين بها العناصر

مـــن حيث مواقعها ووظائفها وتفاعلها وجميعها مفترض في الذّهن. وهو جهاز يفتَـــرض وجوده عند المتكلّم مطلقا في مظهريه مرسلا للخطاب ومتلقّيا له أو منـــتجا ومحلّلا أو بعبارة متداولة مركّبا ومفكّكا. وهو في الحالين مجهّز بآليّات واحدة يشاركه فيها بنو جنسه. والمعالجة اللّغويّة جزء من المعالجة العرفنيّة العامّة وإن تميّـــزت بعـــدد من الخصوصيّات تبعا لطبيعة الوحدات الرّمزيّة اللّغويّة الّتي تشتغل عليها.

يتكوّن الجهاز من أربعة من المكوّنات (لوفلت 1989، 8-28):

أ- **المتـــصوّر**: يمـــثّل المتـــصوّر[1] ما يطلق عليه 'النّظام العرفنيّ' حيث تنشأ جميع المتصوّرات (المفاهيم) وتحفظ ويجري التّوليف بينها. ويضمّ القصدَ إلى الكلام بمـــا يـــصاحب ذلك من انتقاء المعلومات الّتي يراد التّعبير عنها وترتيبها وفق ملابـــسات المقـــام ومقتـــضياتها التّواصليّة وجميع العمليّات العرفنيّة العليا في علاقـــتها بالذّاكـــرة والانتـــباه والتّخطيط وما إليها. وتنشأ في هذا المستوى الرّسالةُ ما قبل-الكلاميّة، أو بعبارة أخرى يتهيّأ المضمون الذّهنيّ ويكتمل قبل أن يأخـــذ تـــشكّلا لغويّا إذ يمكن تأديته أو تشكيله بأدوات أخرى من قبيل الإشارة أو الرّسم أو ما شابه من الموارد الرّمزيّة.

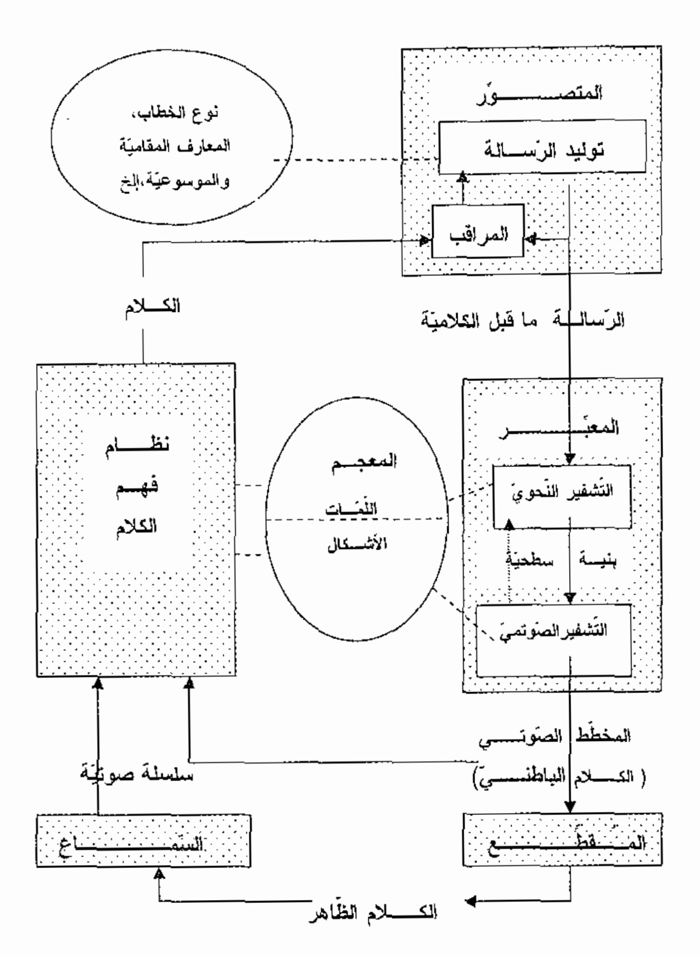
ب- **المعبّـــر**: يمثّل المعبّر[2] نظاما به تكون صياغة الرّسالة ما قبل-الكلاميّة صياغة لغـــويّة أي تـــشفيرها تـــشفيرا نحويّا بالاهتداء إلى اللّمّات (المظهر المعنويّ الإعـــرابيّ) من المعجم وإجرائها في أبنية مقوليّة إعرابيّة تتشكّل بها الرّسالة في بنية سطحيّة تكتمل باشتغال المشفّر الصّرفصوتميّ الّذي يتولّى تكوين المخطّط الـــصّوتيّ بالاهتداء إلى المعلومات الشّكليّة الّتي للوحدات المعجميّة، وهو ما يـــتحوّل بعد ذلك إلى حركات نطقيّة بفعل المقطّع. وفي هذا الطّور تستوي الرّسالة كلاما داخليّا يكون دخلا للمكوّن اللاّحق.

ج - **المقطّـــع**: يتولّى المقطّع[3] إنجاز المخطّط الصّوتيّ وتقسيمه إلى وحدات نطقيّة تحقّقهـــا أعـــضاء النّطق والتّصويت باتّباع الأوامر العصبيّة-العضليّة الّتي بها يتحوّل المخطّط إلى كلام ظاهر.

---

1. Conceptualizer.
2. Formulator.
3. Articulator.

(3) جهاز المعالجة اللّغويّة (لوفلت 1989، 9)



د - **نظام فهم الكلام أوالمحلّل:** يمثّل نظام فهم الكلام[1] (أو المحلّل) آليّة يكون بها تمكين النّظام التّصوّريّ من استرجاع[2] كلّ من الكلام الدّاخليّ والكلام المنجز الظّاهـــر وذلك لتحقيق المراقبة الذّاتيّة وبها يراقب المتكلّم نفسه من حيث ما قـــصد في مـــستوى المتصوِّر وما صاغ في مستوى المعبِّر وما بلّغ في مستوى الكـــلام الظّاهـــر المسموع. فالمتكلّم يسمع نفسه ويفهم كلامه كما يفعل سامعه وهذا يمكّنه من المراقبة الذّاتيّة بالإصلاح إن أخطأ وبالتّصحيح إن زلّ لسانه وما إلى ذلك.

---

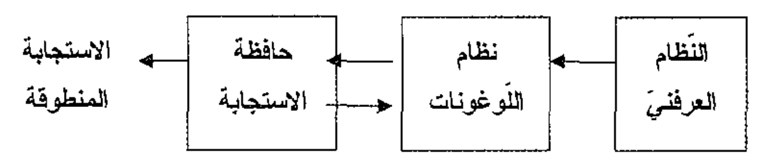
1 Speech-comprehension system.

2 Feedback.

ويذهب لوفلت إلى أنّ جميع هذه المنظومات متعامل يحوّل الواحد منها دخلا يصله من سابقه إلى خرج يسلّمه إلى لاحقه وفق وظيفته المخصوصة كما يبين في (3).

نظريّة اللّوغونات

تمثّل نظريّة اللّوغونات[1] نظريّة عامّة في الاهتداء المعجميّ في إنتاج الكلام وفي تحليله، تبلورت في أعمال مورطون[2] من خلال العناية بالتّعرّف على الكلم، جزءا من تحليل الكلام، ثمّ توسّعت في أبحاث عديدة أخرى لتشمل الإنتاج. ويتكوّن جهاز إنتاج الكلام (لوفلت 1989، 202 وما بعدها) في نظريّة اللّوغونات من أربع محطّات: النّظام العرفيّ ونظام اللّوغونات[3] وحافظة الاستجابة[4] فالاستجابة المنطوقة[5]:



والنّظام العرفيّ موطن لجميع الوظائف المفهوميّة والنّحويّة وللوظائف الذّهنيّة الرّمزيّة العليا. وهو مصدر للمعلومات الّتي تثير اللّوغونات. وتتمثّل كلّ وحدة معجميّة في الذّهن في شكل لوغون، واللّوغون آليّة تجمع المعلومات أو المؤشّرات الّتي يكون بها سبر صلاحيّة كلمة للتّعبيرعن مفهوم ما. فهو يسجّل كلّ معلومة يمكن أن تثبت بها صلاحيّة كلمة لذلك المفهوم. وتنشط اللّوغونات جميعها بصفة متوازية متزامنة في البحث عن المعلومات المخصوصة بكلّ واحد منها، فنظام اللّوغونات آليّة قوامها الاهتداء المتوازي. ولكلّ لوغون عتبة[6] إثارة إذا ما تجاوزتها المعلومات المجمّعة انقدح ذلك اللّوغون أي يجعل الشّكل الصّرفصوتميّ متوفّرا للاستعمال، فيرسل عندئذ اللّوغون شفرة صوتميّة إلى ما يسمّى بحافظة الاستجابة حيث تستقرّ تلك الشّفرة زمنا وجيزا لتُصدر حافظة الاستجابة الأوامر النّطقيّة

1 Logogen Theory.
2 Morton.
3 Logogen system.
4 Response buffer.
5 Spoken response.
6 Threshold.

الحركيّة لإحداث الاستجابة المنطوقة وينـزل عندها مستوى نشاط اللّوغون إلى درجة الصّفر، كما يمكن أن تُعيد حافظة الاستجابة الشّفرةَ الصّوتميّة إلى نظام اللّوغونات حيث ينشط اللّوغون المعنيّ من جديد لترتفع عتبة الإثارة فيه ويرسل الشّفرة الصّوتميّة نفسها من جديد إلى حافظة الاستجابة. ويمكن لهذا الأمر أن يستمرّ طويلا بشكل يضمن بقاء الشّفرة الصّوتميّة متوفّرة جاهزة للاستعمال وإن لم يكن من الممكن نطقها نطقا فوريّا، ويحدث هذا في درج الكلام العاديّ حيث تستحضر الكلمات استحضارا فوريّا متزامنا متوازيا وإن تأخّر زمن نطقها عن ذلك لما تقتضيه عمليّة النّطق من ترتيب للكلمات مناسب في خطّيّة الكلام. فجميع اللّوغونات الّتي يقتضيها إنجاز جملة تامّة – مثلا– تنشط متزامنة متوازية وتستوي جاهزة للنّطق استواء واحدا في حافظة الاستجابة، ولكن قد يقتضي التّقطيع ترتيبها بوجه ما لأسباب عديدة، فيظلّ جميعها نشطا جاهزا في حافظة الاستجابة ريثما يكون دوره في الإنجاز.

وترتبط عتبة الإثارة في كلّ لوغون بدرجة التّواتر الّتي تكون في إنشاطه وبالفاصل الزّمانيّ ما بين أوان إثارته وآخرِ ما أثير فيه ذلك اللّوغون في ما مضى. وأمارات ذلك الإجرائيّة ما يكون من وقفات أو تردّد في الكلام عامّة أو في بعض الكلمات المخصوصة تبعا لعدد من العوامل من أبرزها طبيعة الكلمة من حيث تواترها أو ندرتها وكذلك ملابسات المقام ومقتضياتها، وتفسّر نظريّة اللّوغونات الفوارق الزّمانيّة الكائنة في استحضار الكلمات وفق التّواتر في الاستعمال، فالمتواتر من اللّوغونات ذو عتبة يبلغها سريعا فيكون إنشاطه سريعا، أمّا النّادر أو ما كان ذا تواتر محدود فذو عتبة عالية ولذلك يقتضي إنشاطه زمنا أطول.

خاتمة

يقوم إنتاج الكلام–عند لوفلت– على مخطّطين: الأكبروالأصغر. يبلور المخطّط الأكبر القصد التّواصليّ من حيث الأهداف الرّئيسيّة والأهداف الثّانويّة وينتقي المعلومات الّتي يتحقّق بالتّعبير عنها كلّ واحد من الأهداف. وتتشكّل الرّسالة في المخطّط بناء المعلومات بوجه يبين به القصد التّواصليّ عند السّامع. ويضمّ جهاز المعالجة اللّغويّة نظما تشتغل متوازية متفاعلة متزامنة. والمعجم الذّهنيّ قسمان: معجم اللّمّات ومعجم الأشكال، وفيه تقارن كلّ لمّة الشّكل المناسب لها،

وإذ تــضمّ اللّمّة المظهر المعنويّ الإعرابيّ يكون استحضارها سابقا على استحضار الأشــكال في إنتاج الكلام. ولعلّ المباحث المتعلّقة بالمعالجة اللّغويّة مستفيدة منقادة بالنّظريّة اللّسانيّة منطلقا وهي مفيدة إيّاها من حيث مثّلت تركيزا لما تسطّره نظريّا أو تحويرا لنتائجها في ضوء ما يتحقّق من تجارب مخبريّة بوسائل الدّرس النّفسيّ وما إليه.

في النّظريّات اللّسانيّة "المفهوميّة"

مقدّمة

يجتمع في هذا الباب عدد من النّظريّات أو المناويل اللّسانيّة العرفنيّة تتّفق في عدد من الخصائص لعلّ أهمّها عدم التّسليم بالشّكلنة في الوصف والتّحليل ورفض اعتبار اللّغة مكوّنا مستقلاّ بذاته عن سائر المكوّنات الذّهنيّة، وفي عنايتها بالدّلالة في جميع مظاهرها جزءا من التّصوّرات العرفنيّة العامّة. وقد راجت بعض هذه النّظريّات رواجا كبيرا في العالم كان صداه في البلاد العربيّة لما فيها من عناية بمشاغل تجمع بين الكثير من المواضيع تمثّل الاستعارة مدارها الأساسيّ.

ويكون أوّل الفصول في النّحو العرفنيّ (لانقاكر) بما يقوم عليه من تصوّر للنّظريّة اللّسانيّة من حيث طبيعتها ووظيفتها ومن تصوّر للنّحو ملكة تصويريّة هي أداة في تمثّل العالم وتمثيله على أساس أبعاد مضبوطة ماثلة في جميع المجالات، لعلّ أهمّها المسح العرفنيّ، وما يقوم عليه النّحو والدّلالة من مظاهر في الانتظام وتركّب الكلم وفق الأقسام النّحويّة والأبنية الصّرفيّة التّركيبيّة.

ومدار الفصل الثّاني، نظريّة الاستعارة المفهوميّة (لايكوف) وقيامها في إطار ما به تجاوزت الرّؤية الواقعيّة التّجريبيّة الرّؤيةَ الموضوعيّة في الفكر والفلسفة والدّلالة، وعلى اعتبار الاستعارة عمليّة عرفنيّة مركزيّة في اشتغال الذّهن يكون بها تمثّل مجال ما على أساس مجال آخر بتوسّط آليّة الإسقاط الاستعاريّ متجلّيا في عدد من المظاهر محكوما بعدد من المبادئ الأساسيّة، فالإسقاط قوالب من التّناسبات الأنطولوجيّة كائنة ما بين المستويات العليا من المقولات، محكومة بالحفاظ على الأبعاد الطّوبولوجيّة (مبدأ الثّبات).

وأمّا ثالث الفصول فقد ضمّ مبحثا يمكن أن تندرج فيه نظريّات عديدة لتعلّقه بالتّصوير الذّهنيّ وهو مشغل نفسانيّ عرفنيّ أساسا اعتمدته جملة النّظريّات اللّسانيّة العرفنيّة التّصوّريّة وإن بنسب مختلفة. ولذلك جعلناه فقرات تنير الإطار العامّ المفهوميّ التّاريخيّ في تبلور مفهوم الخطاطة نشأة واشتغالا، ولعلّ أبرز مظهر في

جميـــيع ذلـــك اعتبار الخطاطات أطرا للفكر ولاشتغاله وأساسا في تكوّن المناويل العرفنيّة عند لايكوف.

وخُصّص الفصل الرّابع لمبحث طبعَ العرفنيّات ومثّل مظهرا من مظاهر عديدة كـــان بها التّجديد بعودة الجسد الغائب في ما يُعرف بنظريّة العرفنة المجسدنة أو الـــذّهن المجـــسدَن، بمـــا لذلك من مفاهيم ومظاهر باعتماد نماذج مختلفة بعضها استعاريّ وبعضها ممّا يجري في الحياة اليوميّة البسيطة ممّا عداها.

ويتـــناول الفصل الخامس ما يتعلّق بالخطاب (النّصّ) من القضايا العرفنيّة في نظريّة الأفضية الذّهنيّة (فوكونياي) من قبيل الرّوابط العرفنيّة والعلاقات الرّابطة بين العـــالم المتـــصوّر ونظيره في الواقع والعلاقات العاملة في المجاز المرسل وما به يكون الاهـــتداء إلى المدلول المعنيّ في حال استعمال دالّ آخر ليس له في الأصل، وما به تـــبنى الأفـــضية الذّهنـــيّة من آليّات وأدوات باعتماد نماذج من اللّغة العربيّة جملا ونصوصا.

ويكـــون آخر الفصول في نظريّة المزج من حيث مثّل المزج ملكة عرفنيّة وما يتّـــصل بذلك من مجالات المزج وقضايا تهمّ إنتاج المعنى مطلقا والجديد خاصّة بما ينشأ من ذلك من شبكات المزج المفهوميّ.

النّحو العرفنيّ

تعــود الــبوادر الأولى في بلــورة الــنّحو العرفنيّ عند لانقاكر إلى منتصف الــسّبعينيّات من القرن الماضي، ومن المعروف أنّ هذه الفترة شهدت حركة كبيرة تسعى إلى تجاوز المآزق الّتي تردّت فيها النّظريّة اللّسانيّة في الكثير من المستويات من حــيث المبادئ النّظريّة العاملة ومن حيث انحسار القدرة التّفسيريّة وقصورها عن الإحاطة بما يكون من الظّواهر في اللّغة الواحدة وبما يكون من تعدّد الأنماط بتعدّد اللّغات. فقد مثّل الرّبع الأخير من القرن الماضي فترة زاهرة في الأبحاث اللّسانيّة إذ اســتوت اللّــسانيّات مبحثا علميّا بيّن المعالم واضح الحدود ضمن شجرة العلوم، وانجــذب إلــيها عدد كبير متزايد من الباحثين في مختلف الاختصاصات بحثوا في الظّاهرة اللّغويّة باعتماد مقاربات عديدة وتقنيات متنوّعة. فنتج عن ذلك أن عرفت اللّــسانيّات في تلك الفترة – وهو متواصل إلى اليوم– شمولا وامتدادا لا سابق لهما من حيث الإلمام الفعليّ باللّغات البشريّة ومن حيث العمق في تحليل الأبنية اللّغوية.

ولكنّ العديد من اللّسانيّين كانوا غير راضين عمّا وصلت إليه اللّسانيّات عامّة والنّظريّة اللّسانيّة خاصّة من تفتّت وتضارب. فغياب الوفاق في النّظريّة اللّسانيّة بيّن مــن خلال تضارب النّظريّات المختلفة ومن خلال تكاثرها وتناسلها المسترسلين. فقــد غلــب على الكثير منها ضيق في التّناول فتقام على ظاهرة محدودة أو قسم محــدود من نظام محدود، وغلب عليها كذلك الافتقار إلى الطّبيعيّة فتنكفئ النّظريّة علــى ذاتها في نوع من الانغلاق تتّسع له المسافة بين الجهاز فيها وموضوعه، فغاب لــذلك الإطــار النّظريّ القادر على صهر المعرفة المتزايدة في مظهريها النّوعيّ من حــيث الإلمام باللّغات الطّبيعيّة، والتّحليليّ من حيث الإلمام بخصائص البنية اللّغويّة. وفي هذا الإطار ظهرت بوادر النّحو العرفنيّ[1] كما تبلور في أعمال لانقاكر[2]. وقد

---

1. Cognitive Grammar.
2. Langacker, Ronald W .

كـــان في بداياته يفكّر في تسمية نظريّته بنحو الفضاء[1] لكنّ بعض اللّسانيّين اقترح علـــيه تغيير التّسمية، بالاستعاضة عن الفضائيّ بالعرفنيّ خشية أن لا يُحمل منواله على الجدّ (لانقاكر 1987، iv).

النّظريّة اللّسانيّة: طبيعتها ووظيفتها

لعـــلّ أبـــرز ما يقترحه لانقاكر من أسس تعارض المعهود في النّظريّة اللّسانيّة يتمـــثّل بإيجاز في ما يلي: يعتمد لانقاكر مفهوم التّصوير[2] في تحليل المعنى في حين يعـــتمد جمهـــور اللّسانيّين في ذلك جهازا مشتقّا من المنطق الصّوريّ[3]. ولا يقبل لانقاكـــر الانفـــصال بـــين الإعراب والدّلالة خلافا لسائر النّظريّات الّتي تتصوّر الإعـــراب مكوّنا شكليّا قائما بذاته. ومن المفروض عند لانقاكر أن تكون النّظريّة اللّـــسانيّة وصفا متكاملا يجمع بين مختلف المظاهر في البنية اللّغويّة خلافا للمتداول مـــن نـــــزعات إلى أن تكـــون النّظريّة الواحدة مختصّة بمظهر واحد، وهو سبب أساســـيّ في تكاثـــر النّظـــريّات الجزئيّة. ويذهب لانقاكر إلى أنّ تحديد المفاهيم الأساســـيّة وتوضيحها يمثّل المبحث الجوهريّ في النّظريّة اللّسانيّة، وهو - في رأيه- أولى من الولع بالشّكلنة والحجاج الدّقيق لإقامة النّظريّات ودعمها.

من ذلك أنّ المشترك بين النّظريّات تسليم بكون اللّغة نظاما مكتفيا بذاته يقبل الشّكلنة إلى حدّ كبير من حيث كان مستقلاّ عن سائر المظاهر العرفنيّة، واتّفاق في اعتـــبار الإعراب مظهرا مستقلاّ بل مركزيّا في النّظام اللّغويّ منفصلا عن المعجم وعـــن الدّلالة، واعتماد المنطق الصّوريّ في وصف الدّلالة وصفا قائما على شروط الـــصّدق[4]. وجمـــيعها عند لانقاكر مبادئ قائمة على أساس خاطئ. فاللّغة ليست نظاما مكتفيا بذاته ولا تقبل الوصف بمعزل عن العمليّات العرفنيّة، ولا يمكن تفسير الـــسّلوك اللّغـــويّ دون اعتبار آليّات المعالجة العرفنيّة. فاللّغة جزء لا ينفصل عن العرفنة البشريّة، ومن المفروض على كلّ تفسير لسانيّ أن يكون ملائما لما هو معلوم ثابت في المعالجة العرفنيّة العامّة ملتزما به. فالملكة اللّغويّة مركوزة في المولّدة النّفسيّة العامّـــة وهـــي تمثّل تطوّرا واستقرارا لأبنية ذهنيّة عرفنيّة عامّة تستوي نظاما لغويّا

1 Space Grammar.

2 Imagery.

3 Formal logic.

4 Truth-conditions.

مخصوصا أثناء الاكتساب وأثناء توظيفها في التّواصل اليوميّ. وهي في جميع ذلك مرتبطة بعوامل التّجربة ومحكومة بظواهر نفسيّة ليست لغويّة في طبيعتها، فلا يمكن الفصل بين الملكة اللّغويّة وسائر المظاهر في المعالجة العرفنيّة. ولجميع ذلك يرى لانقاكر أنّ السّعي إلى التّأليف بين نتائج البحث اللّسانيّ ونتائج علم النّفس أولى من السّعي إلى الفصل بينهما. ويرى أنّه فصل ناتج عمّا غلب على الدّرس اللّسانيّ من اصطناع وافتعال سلَبا الموضوعَ والنّظريّةَ طبيعيّتهما.

ويمثّل مفهوم الطّبيعيّة[1] غاية تطلبها النّظريّة اللّسانيّة وأساسا يقوم عليه تقييمها، فالوصف الطّبيعيّ ما قام على معالجة للمعطيات في ذاتها وانطلاقا منها بأن يكون تناولها من حيث ثراؤها وتنوّعها ومن حيث لطافتها ودقّتها ومن حيث بساطتها وتركّبها دون خرق لانتظامها الطّبيعيّ ولا فصل لمظهر منها عن آخر باصطناع حدود لا وجود لها في واقع الأشياء. والنّظريّة الملائمة ما كانت موافقة لطبيعة الموضوع، ولذلك كانت النّظريّات الشّكليّة قاصرة عن إدراك طبيعة الظّاهرة اللّغويّة لاتّخاذها الشّكلنةَ وسيلة وغاية جعلت من نتائجها مصطنعة مبتورة. ويكون في تصوّر اللّغة جزءا من العرفنة سبيل إلى بناء نظريّة لسانيّة عرفنيّة طبيعيّة. وإن كان لانقاكر يسلّم بأنّ الطّريق إلى ذلك طويل.

والبنى النّحويّة لا تكوّن نظاما شكليّا مستقلاّ بنفسه وإنّما هي بنى رمزيّة تخدم المضامين المفهوميّة من حيث تُشكّلها وترمز إليها. ولا يستقيم الانتظام الثّنائيّ القائم في الدّرس اللّسانيّ فلا يوجد تفاصل مطلق بين الطّرفين في الثّنائيّات الّتي حكمت الدّرس اللّغويّ منذ القديم والخلل في قيام هذه الثّنائيّات إنّما يكمن في اعتماد موقعين طرفيّين متقابلين من الاسترسال يُتّخذان آليّة في التّحليل والتّفسير، ويهمل ما بينهما من التّدرجات. فالمعجم والصّرف والإعراب يمثّل جميعها استرسالا من الوحدات الرّمزيّة وما الفصل بينها إلاّ فصل اعتباطيّ، فتحليل الوحدات النّحويّة دون اعتبار الدّلالة هو بمثابة وضع قاموس دون إثبات معاني الكلمات. والتّحليل الدّلاليّ الشّكليّ القائم على شروط الصّدق غير مفيد ولا مناسب لوصف المعنى في العبارات اللّغويّة، ذلك أنّ الأبنية اللّغويّة في تصوّرها مرتبطة بنظم معرفيّة وهذه النّظم مفتوحة من حيث مجالها ولا متناهية في حدودها كما هو معلوم. كما أنّ القيمة الدّلاليّة في عبارة ما لا تعكس المضمون الكائن في موقف جرى تصوّره فقط بل تعكس الوجه الّذي

1 Naturalness.

به كان تنضيد ذلك الموقف وبناؤه، ويطلق لانقاكر على القدرة الّتي بها يكون تنضيد المواقف أو الوضعيّات وبناؤها على وجوه مختلفة تسمية "التّصوير".

النّحو التّصويريّ

يمثّل المعجم والنّحو استرسالا من الوحدات الرّمزيّة، والنّحو تماما مثل المعجم يوفّر ما به يكون تنضيد المضامين المفهوميّة وترميزها. والنّحو على هذا تصويريّ[1] بالأساس. فالمتكلّم، عندما يستعمل وحدة أو بنية نحويّة مخصوصة إنّما ينتقي صورة[2] مخصوصة بها ينضّد الموقف الحاصل في ذهنه لغايات تواصليّة. وباختلاف اللّغات من حيث نظمها النّحويّة تختلف أنماط التّصوير الّذي يجريه المتكلّمون بها في اقتدائهم بالمواضعة اللّغويّة. ولا يعني هذا الاختلاف أنّ البنية المعجميّة والبنية النّحويّة تفرضان قيودا على العمليّات الذّهنيّة، فالبنية اللّغويّة لا تقيّد عمل الذّهن، وإن كان لها أثر فيه فهو على غاية من السّطحيّة.

فالموارد الرّمزيّة في لغة ما توفّر عددا كبيرا من الصّور البديلة في وصف مشهد ما، ويمكن في المطلق التّحوّل من الواحد إلى الآخر دون ضير وبسهولة كبيرة، وهذا الأمر ممكن في جميع الأحوال بما في ذلك الجملة الواحدة. فتعدّد الجمل أو أشكال التّعبير هذا عائد إلى تعدّد زوايا التّصوير المنصبّة على الواقعة الواحدة دون أن تكون الجملة الواحدة مشتقّة من أخرى، إذ الواقعة واحدة والمتعلّق بها من الأبنية التّصويريّة البدائل متعدّد. وعلى هذا لا وجود للبنية العميقة ولا لتحويلات بل لا داعي إليها من حيث الجانب العمليّ الافتراضيّ. مثال ذلك في (1):

(1) أ. أهدى زيد كتابا إلى عمرو.
ب. أهدى زيد عمرا كتابا.

يعتبر لانقاكر الجملتين (1-أ) و(1-ب) مختلفتين معنى من حيث تتحقّق في الواحدة منهما صورة تختلف عن تلك المتحقّقة في قرينتها. فهما صورتان مختلفتان لواقعة واحدة هي الإهداء. فمضمون الواقعة هو نفسه فيهما (زيد، عمرو، كتاب)، والاختلاف بينهما كائن في ما يكون في الواحدة منهما من بروز نسبيّ لواحد من مظاهر الموقف المركّب الّذي تمثّله الواقعة.

---

1 Imagic.

2 Image.

ففـــي (1-أ) يعيّن الحرف 'إلى' المسلك الّذي اتّبعه الكتاب، فيكون المسلك أبرز المظاهر المكوّنة للواقعة في الجملة. أمّا في (1-ب) حيث لا وجود لحرف الجرّ وحيث يتوفّـــر تـــرتيب آخر هو ترتيب ضروريّ لعناصر المتمّمات (عمرو+ كتاب)، تكون الملكـــيّة أبـــرز المظاهـــر حيث يرمز إليها غياب الوسائط الحرفيّة بين الطّرفين (المالك والمملـــوك) المتعالقين تعالقا رأسيّا. فالجملة (1-أ) قائمة على بيان المسلك[1] في واقعة الإهـــداء، وأمّا الجملة (1-ب) فقائمة على بيان المآل أي حصول الهديّة عند متقبّلها. فالجملتان تتّفقان من حيث عناصر الواقعة ولكنّهما تختلفان في نقلها: مضمون (1-ب) كائن بعد مضمون (1-أ) على أساس التّرتيب الطّبيعيّ بين المسلك والمآل.

ويمكـــن التّمثـــيل لمضمون كلّ من الجملتين في ما يلي حيث (ز: زيد، ع: عمرو، ك: كتاب، السّهم ذو الخطّين: عمليّة الجعل، السّهم ذو الخطّ الواحد: حركة الانـــتقال، الحلقات: مجال الملكيّة)، فيكون في (2-أ) تمثيل لمضمون الجملة (1-أ) حـــيث يشير السّهم الغليظ إلى حركة الانتقال محطّ العناية والبروز بحضور حرف الجـــرّ 'إلى' المعبّـــر عن الاتّجاه. ويكون في (2-ب) تمثيل لمضمون الجملة (1-ب) حـــيث تـــشير الحلقة الدّائرة بالخطّ الغليظ إلى حلول الملكيّة عند عمرو وذاك محطّ العناية والبروز بغياب حرف الجرّ:

(2)

-أ-

-ب-

---

1. Path.

الدّلالة في النّحو العرفنيّ

يطلـــق لانقاكر'دلالة' على كلّ مادّة تصوّريّة تمثّل مفهوما ممكنا، فالدّلالة عـــنده هي التّصوّر[1] في معناه الواسع. وموضوع علم الدّلالة البحث في الأبنية التّصوّريّة وتحليلها وغايته تقديم الأوصاف الظّاهرة لانتظامها. وإذ كانت الأبنية التّـــصوّريّة كامـــنة في المعالجـــة العرفنيّة[2] ومادّة لها كانت الغاية القصوى لعلم الدّلالـــة تحديـــد مختلف الأنماط[3] الّتي تكوّن الوقائع العرفنيّة[4] من حيث كانت الـــواحدة منها تجربة ذهنيّة[5]. وهذه غاية بعيدة المنال صعبة، ولكنّ ذلك لا يمنع مـــن الـــسّعي إلى البحث فيها ولا من اعتماد الأساس التّصوّريّ في تمثّل المعنى ودراسته.

ومـــن نماذج الدّراسة في الدّلالة ظاهرة الاشتراك الدّلاليّ[6] وهي من أخصب المجـــالات الّـــتي يُـــبين فيها المدخل التّصوّريّ عن كفاءته. فمن الثّابت أنّ درجة الاشـــتراك الدّلاليّ تناسب درجة التّواتر فما تواتر من الوحدات اللّغويّة تواترا عاليا كـــان محلّ اشتراك، ومن الثّابت كذلك أنّ دلالات الوحدة المشتركة تكوّن شبكة تتـــرابط عناصـــرها بتوسّـــط أنواع متعدّدة من العلاقات، وهذا التّعدّد في التّناول التّـــصوّري عائـــد إلى معنى خطاطيّ[7] – على غاية من التّجريد والإطلاق- يمثّل المنطلق في تبلور مختلف الخطاطات وفي تحقّقها.

فكلمـــة 'ring' في الإنجليـــزيّة ذات قيمة خطاطيّة هي/وحدة دائريّة/، وهذه القـــيمة الخطاطيّة تتحقّق في معان خصوصيّة منها/علامة دائريّة/تتحقّق في ما يكون لـــــ'خـــاتم السّلطان' أو غيره، ومنها/شيء دائريّ/يتحقّق في 'خاتم الإصبع'، كما يـــتحقّق في مـــا لـــيس من الضّروريّ أن يكون دائريّا من قبيل 'حلبة' الصّراع أو الملاكمة. وهذه التّحقّقات ناتجة عن طريق الاتّساع[8].

---

1 Conceptualization.
2 Cognitive processing.
3 Pattern(s).
4 Cognitive event(s).
5 Mental experience.
6 Polysemy
7 Schematic.
8 Extension.

فالمعنى الخطاطيّ [وحدة دائريّة] تتعدّد تحقّقاته في عدد من المعاني منها 'علامة' و'شيء' ثمّ بتوسّط الاتّساع يمكن أن تتوسّع التّحققات بعضها أو جميعها إلى معان أخرى من قبيل 'حلبة' المتّصلة في آن بالتّحقّقين/علامة دائريّة/و/شيء دائريّ/.

وتمـــثّل شـــبكة الـــدّلالات المعجميّة بعناصرها وعلاقاتها كلاّ متكاملا، ولكنّ المكوّنات فيه متفاوتة من حيث البروز والإفادة العرفنيّة. ففي كلّ شبكة يترشّح معنى ليـــشغل موقـــع المقولة الطّراز[1]، ومن هذا الطّراز تتفرّع المعاني الأخرى المنتمية إلى الـــشّبكة تفرّعا شعاعيّا[2] كما يذهب إلى ذلك لايكوف[3] (1987) فيكون في ضوء ذلـــك معـــنى/قطعة من المعدن الكريم دائريّة الشّكل تجعل في الإصبع/طرازا في شبكة 'ring'. لكـــنّ ذلك لا يمثّل عند لانقاكر حلاّ مقبولا من حيث لا يمكن العود بمعرفة المـــتكلّمين بـــالمعنى المقترن بوحدة معجميّة ما، إلى بنية مفردة واحدة هي الطّراز أو أقـــصى الخطاطات تجريدا – إن كانت– بل تكمن تلك المعرفة في تلك الشّبكة من حيث هي كلّ متكامل. وفي خلاف هذا يستحيل التّكهّن على وجه التّدقيق انطلاقا مـــن بنـــية مفردة بالمسلك الّذي اشتغل من مسالك الاتّساع في البنية الشّعاعيّة وبلغ مـــرتبة الاستقرار في المواضعة اللّغويّة. فالمعنى – عند لانقاكر– لا يمكن تمثيله على أنّه حزمة من السّمات الدّلاليّة[4] ولا يمكن الإحاطة به باعتماد الأوّليّات الدّلاليّة[5]. فالأبنية الدّلالـــيّة تتعـــيّن في علاقتها بمجالات عرفنيّة[6] حيث يؤخذ المجال على أنّه كلّ تجربة إدراكيّة وكلّ مفهوم أو مركّب مفهوميّ[7] وكلّ نظام معرفيّ قائم، وما إلى ذلك.

ومـــنطلق الوصـــف الدّلاليّ هو أنّ كلّ تعبير لغويّ يمثّل وحدة مركّبة يمكن أن تكـــون ذات مظهر موسوعيّ، ويعود هذا المنطلق إلى ما تقتضيه المفاهيم أو التّصوّرات مـــن المفاهـــيم الأخرى في تجلّيها وتحقّقها اقتضاء ما قبليّا. فالمفاهيم المركّبة تنتظمها ســـلّميّة[8] بل سلّميّات من التّركّب المفهوميّ، مأخوذة في مستوى من المستويات، إنّما تتأسّس على عمليّات تجري على الأبنية الكائنة في المستوى الوارد دونه مباشرة، وهذه

---

1 Prototype.
2 Radial.
3 Lakoff.
4 Semantic feature(s).
5 Semantic primitive(s).
6 Cognitive domain(s).
7 Conceptual complex.
8 Conceptual hierarchy.

العمليّات عرفنيّة بما في ذلك عمليّات العطف بين الأبنية. ولا يبتّ لانقاكر في شأن ما يتوفّر في المستويات الدّنيا من السّلّميّة المفهوميّة ولكنّه يفترض وجود عدد من المجالات الأساسيّة[1] وهي عبارة عن تمثيلات للأفضية البسطى أو الحقول المفهوميّة المفردة الّتي لا تقبل القسمة أو التّقسيم عرفنيّا، ومن نماذج ذلك التّجربة الزّمنيّة من حيث الإحساس به أو إدراكه، ومنها الفضاء من حيث القدرة على التّعامل معه ومع تشكّلاته، ومنها ما يتّصل بالحواسّ كاللّون والانفعال[2] وغير ذلك ممّا يمكن تصوّره من المجالات.

وفي ضـوء ذلـك تكون العبارات اللّغويّة صنفين: صنفا ذا علاقة بالمجالات الأساسيّة وصنفا ذا علاقة بالمجالات العليا في التّنظيم المفهوميّ:

فمـن الأوّل مـا يرد في أدنى درجات السّلّميّة من التّنظيم المفهوميّ من قبيل 'قَبْل' في الزّمان و'أحمر' في اللّون وغير ذلك كثير.

ومـن الثّاني ما تستلزم عناصره مجالات أخرى (من المجالات الأساسيّة أو من غـير الأساسيّة) لوقوعه في الدّرجات العليا من سلّميّة التّنظيم المفهوميّ، من قبيل 'سـكّين' في اسـتدعائها للفـضاء من حيث الخصائص الشّكليّة ولمفهوم 'القطع' ولمجالات تساعد في تحديد عدد من الخصائص من قبيل الحجم والوزن ومادّة الصّنع كمـا يستدعي مجالات أخرى من المتصوّرات الثّقافيّة والمعارف الاجتماعيّة كالسّلاح ومـا يرمـز إليه أو الأضاحي أو مباريات رمي السّكّين، وإن كانت هذه المجالات متفاوتة في ما بينها من حيث الأهمّيّة والموقع قربا وبعدا من المركز أو الأساس.

فالتّصوّر والتّناول الموسوعيّان للدّلالة -عند لانقاكر- أمران ضروريّان، وهو في جميع ذلك مساير لهايمان[3] (1980) في اعتبار جميع ما يحصل عندنا من مظاهر تسهم في تكـوين ماهية الشّيء إنّما يفيد وجها من الإفادة في تحديد السّلوك اللّغويّ للعبارة الّتي تدلّ على ذلك الشّيء. والمعارف اللّغويّة وغير اللّغويّة كائنة على مدارج[4] والفصل بين ما يفيد منها وما لا يفيد في تشكّل العبارة يظلّ فصلا اعتباطيّا.

ومـن المبادئ الأساسيّة في النّحو العرفنيّ أنّ للبشر القدرةَ على تناول الوضع الـواحد (وصفا ونقلا وتمثّلا) بطرق عديدة مختلفة، تمثّل الواحدة منها زاوية يتناول

---

1 Basic domain(s).

2 Emotion.

3 Haiman.

4 Gradation(s).

منها ذلك الوضع. يطلق على تلك القدرة تسمية نمط التّناول[1] أو زاوية التّناول. وتتحدّد دلالة العبارة اللّغويّة بالمضمون التّصوّري المدلول عليه بها وبزاوية التّناول الّتي يصوَّر من خلالها ذلك المضمون.

فالمضمون التّصوّريّ الواحد من قبيل/إناء (كأس) يحتوي سائلا (ماء)/يمكن التّعبير عنه من زوايا تناول مختلفة تتعدّد لها العبارات وتمثّل الواحدة منها تصوّرا مخصوصا للمضمون نفسه دون أن تكون مشتقّة من بنية أخرى أو متحوّلة منها:

(3) أ. الكأس الّذي فيه ماء.

ب. الماء الّذي في الكأس.

ج. الكأس نصف مليء.

د. الكأس نصف فارغ.

فمحطّ العناية في العبارة (3. أ) هو الإناء وفي (3. ب) هو الماء وفي (3. ج) هو سعة الإناء مأخوذة من زاوية الامتلاء وهي عرفنيّا حركة صاعدة تصاحب ارتفاع مستوى السّائل في الإناء وعكسها نزولا في (3. د). ويمثّل لانقاكر لمختلف زوايا التّناول المنصبّة على المضمون التّصوّريّ المشترك في العبارات الواردة في (3) كما يأتي في (4) حيث يشير الخطّ الغليظ إلى محطّ العناية في المضمون التّصوّريّ ويشير السّهم الطّويل إلى اتّجاه حركة الملء وحركة الإفراغ والسّهم القصير إلى مستوى الملء ومستوى الإفراغ:

(4)

د	ج	ب	أ	المضمون التّصوّريّ

ويقوم مضمون العبارة على مجموعة من المجالات العرفنيّة. والمجالات نوعان أساسيّة وغير أساسيّة:

الأساسيّ منها ما مثّل أبعادا أساسيّة في التّجربة البشريّة لا تقبل الانقسام والتّحلّل إلى ما هو دونها من قبيل الفضاء (المكان) والزّمان واللّون والحرارة وما إلى ذلك.

---

1 Construe, construal(s).

وغير الأساسيّ منها هو كلّ مفهوم أو جملة من المعارف مرتبطة بأيّ مجال من المجالات بصرف النّظر عن طبيعتها وعن بساطتها أودرجات تركّبها.

فمفهوم 'كأس' مثلا يتأسّس على عدد من المجالات أساسها الفضاء من حيث كـــان في تـــصوّره شـــيئا حالاّ في جزء من الفضاء وهو نفسه فضاء بحكم حلول الـــسّوائل فيه، ومنها مجال الشّكل مجالا غير أساسيّ إذ يستدعيه مجال الفضاء الّذي فيه تتجلّى أشكال الأشياء، فهو ذو شكل مخروطيّ مغلق من طرف هو قعره، ومنها مجـــال الاتّجاه في الفضاء فالكأس ذو اتّجاه على درجة دنيا من التّمدّد على المحور العموديّ يكون الطّرف المغلق إلى الأسفل، ومنها مجال الوظيفة من حيث كان إناء يستعمل لاحتواء السّوائل بما يقتضيه ذلك من اتّجاه وجسم سائل واحتواء وما إلى ذلك من ثبوت خلال الزّمن، ومن حيث كان يستعمل للشّرب بما يقتضي ذلك من شـــكل مخـــصوص له به يكون الإمساك به باليد والشّرب منه بالفم وما إلى ذلك، ومن المجالات مجال مادّة الصّنع ومجال الحجم بما يقتضيه من إمكان الإمساك به ومن المجالات ما اتّصل بالكأس مطلقا من حيث قيمته وزينته ومادّته فيكون علامة على يـــسار أو فقر أو على ذوق اجتماعيّ جماليّ من حيث اللّون والنّقش وانتماؤه إلى مجموعة كؤوس متجانسة تصفّف على المائدة أو تحفظ للزّينة.

أبعاد التّصوير

تمـــثّل أبعـــاد التّصوير[1] – في النّحو العرفنيّ– واحدا من الرّكائز الأساسيّة في تقديم الأوصاف المتعلّقة بالعبارات اللّغويّة. ذلك أنّ الاعتماد على ما يقترن بالأبنية الحمليّة من مجالات تستصحبها غير كاف بمفرده، إذ ينقصها البعد التّصويريّ الّذي تقوم عليه، وأبعاد التّصوير كثيرة ذات أنماط متوفّرة في جميع الأبنية الحمليّة.

بعد ارتكاز المعروض على الأساس

يمـــثّل أســـاس[2] الحمل ما ينطبق عليه ذلك الحمل في المجالات المتّصلة به، أمّا المعروض[3] فيه فهو البنية الفرعيّة – من البنى المكوّنة للأساس– الّتي جرى إبرازها أو إظهارهـــا بدرجـــة ما. فالمعروض محطّ العناية[4] ومركزها في إطار الأساس. وهو

1 Dimension(s) of imagery.
2 Base.
3 Profile.
4 Focus (of attention).

كـــذلك ما تحيل عليه العبارة من الأبنية الفرعيّة المكوّنة للأساس. ويذهب لانقاكر إلى أنّ بعـــد ارتكـــاز المعروض على الأساس يكون خاصّة في الأسماء وما عبّر عن العلاقات من الوحدات اللّغويّة.

ومن نماذج ذلك 'وتَر' من المثلّث القائم و'رأس' من عود الثّقاب و'خال' من شبكة الأسرة. وجميع هذه النّماذج لا يفهم المعروض (أي المدلول عليه بما في ذاتها) إلاّ بأن يرتكز على المجال الّذي يحويه. فكلمة الوتر لا يمكن تصوّرها في دلالتها على الخـــطّ المستقيم المعلوم دون أن نتصوّر شكل المثلّث وهو أساسها، وكذلك 'رأس' العود لا يمكن تصوّر نهاية العود الحامل لمادّة الاشتعال دون أن نتصوّر العود كاملا وكـــذلك الخال (أخو الأمّ) لا يمكن أن نتصوّره ما لم يرتكز على أساس أو إطار الرّوابط الأسريّة، فهو يستحضر شبكة كاملة استحضارا طبيعيّا ولا يفيد معناه أي ذاك الـــشّخص بعيـــنه ما لم ينشدّ إلى إطار يشمله وسائر العناصر المكوّنة لشبكة الأســـرة. ويمثّل المعروض العنصر الأبرز الظّاهر الكائن في مركز العناية والوعي أمّا الأساس فيمثّل إطارا ثانويّا هو خلفيّة تصوّريّة للمعروض نفسه. يشير لانقاكر دائما إلى محطّ العناية بالخطّ الغليظ وما عداها بالحجم العاديّ للخطوط في التّمثيل (5):

(5)

المثلّث القائم

عود الثّقاب

وتـــــر

رأس عود الثّقاب

الأنـــا

شبكة الأسرة

خـــال

ومن نماذج العبارات العلائقيّة[1] ما يرتكز فيه المعروض على أساس من التّرابطات[2] الكائنة بين مجموعة من الوحدات أو المفاهيم. وفي ما يلي نموذج يبين به قيام المعروض في الفعل 'ذهب' -على سبيل المثال- على أساس ترابطات بين العناصر المشاركة في العمليّة من حيث موقعها في المكان وفي الزّمان ودورها فيها:

(6) أ. يجب أن يذهب زيد الآن.

ب. عندما وصلت كان زيد قد ذهب.

ج. زيد بعيد جدّا.

يمثّل حدث الذّهاب حركة ينتقل بموجبها شخص من موضع أو موقع في محيط ما إلى موضع أو موقع خارج ذلك المحيط. ويكون الذّهاب دائما متصوّرا إزاء ذات أو نقطة في محيط تمثّل معلما تنطلق من حوله الحركة ابتعادا على درجات منتهاها الخروج من ذلك المحيط. فذهب فلان معناه انتقل في المكان شيئا فشيئا إلى أن جاوز حدّا أو فضاء لا يُعتبَر جزءا من الفضاء الّذي يتّخذ منطلقا لذلك الذّهاب قد يكون نسبيّا فيتّسع ويضيق.

فالذّهاب في (6-أ) عمليّة ذات وضعيّات متسلسلة متتالية مسترسلة تمثّل الواحدة منها موقعا للمنتقل على محورين هما مجال الزّمان ومجال المكان أساسين لها. فالمعروض فيها هو انتقال الذّات والأساس إطار زمانيّ ومكانيّ، يتبدّل موقع المنتقل في المكان بالتّدرّج في الزّمان والعكس صحيح. ونفس المعروض قائما على نفس الأساس متوفّر في (6-ب) حيث المنتقل 'زيد' حالّ في مكان خارج نقطة وجود الذّات المدركة.

ولا فرق بين (6-أ) و(6-ب) في تصوّر الذّهاب عرضا وأساسا وتصوّرا وإنّما يكمن في تصويرعمليّة الذّهاب حيث هي في عداد الممكن في (6-أ) وهي متحقّقة مكتملة في (6-ب).

أمّا في (6-ج) فمعروض 'بعيد' وضع نهائيّ لحركة الذّهاب حيث يكون المنتقل 'زيد' خارج المحيط الّذي يوجد فيه المتكلّم أو الذّات المدركة وهو أساس مكانيّ لذلك المعروض. وبعبارة أوضح لا يمكن أن نتصوّر البعد دون أن نقيمه على المكان مكانِ الوجود، وهذا البعد مَوقع في المكان هو آخرِ ما تبلغه حركة

1 Relational.

2 Interconnections.

الذّهاب من حيث كانت انتقالا في المكان. وبناء على هذا يمثّل لانقاكر لعمليّة

الذّهاب على أنّها جارية في مجال مكانيّ يجمع فيه منتقل ومعلم ثمّ يأخذ المنتقل

ـهى المجال فيفارقه فيخرج منه إلى

ـوضات في الجمل الواردة في (6)

في (6-أ) و(6-ب) ولكنّها وضع

- في (6-ج). والفارق بين (6-أ)

ـكون خافتا في (6-أ) وهو ظاهر

قد ذهب

ـ الكبيرة مجال وجود المعلم والمنتقل

ـوجبها المنتقل من ذلك المجال، وإذ

مسترسلة للمنتقل في المكان وعلى

مترابطة بخطّ مسترسل يوازي خطّ

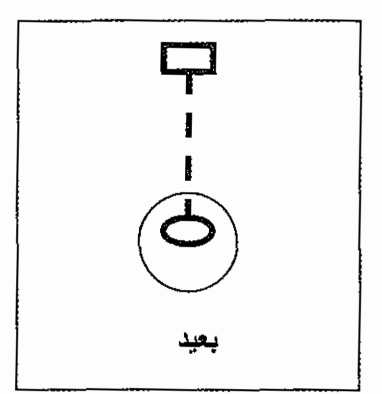
ـليه الجملة الواحدة ممّا ورد في (6)

املا لجميع المقاطع، أمّا 'قد ذهب'

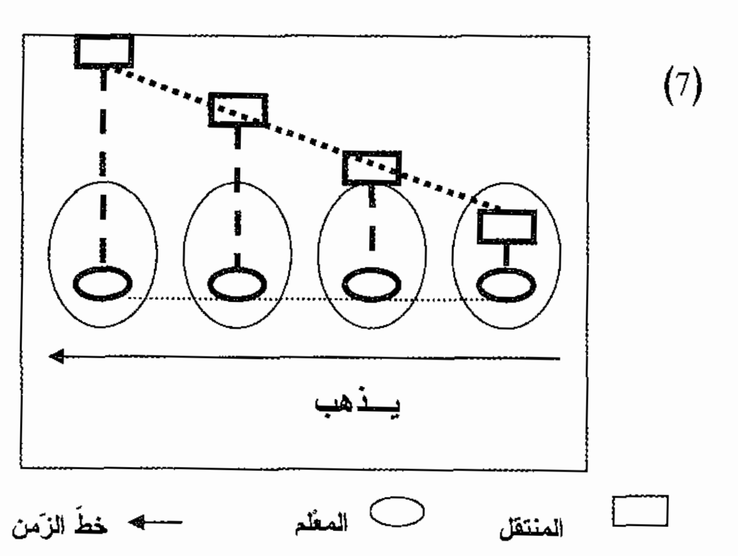
عمليّة ولكنّه يقوم على السّابق منه

ـد' تعرض موقعا هو علاقة سكونيّة

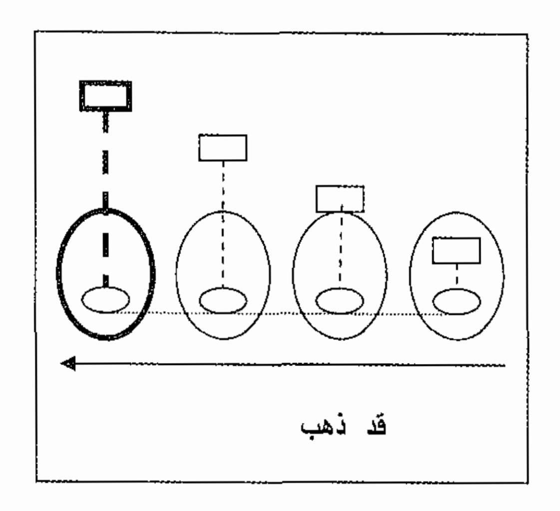
هذه العمليّة أساسا للبعد، وأساس

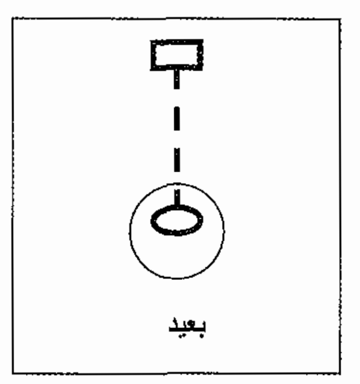


(7)



(7)





بعد درجة التّخصيص

تمثّل درجة التّخصيص[1] ما يكون عليه بناء الوضع من تحديد من حيث العموم والخصوص، فالوضع الواحد يمكن أن يُصوَّر (يُعبَّر عنه) أو يُنقلَ على درجات مختلفة من التّدقيق. يكون ذلك في مختلف المستويات اللّغويّة بما في ذلك الجمل والمركّبات والوحدات المعجميّة. فالجمل في (8) مثلا تنقل وضعا واحدا ولكنّها متباينة في نقله من حيث درجات الدّقّة:

(8) أ. هذا الرّجل طويل.

ب. هذا الرّجل طوله متران.

ج. هذا الرّجل أطول من أخيه بمتر واحد.

1 Level of specificity.

كمـــا تنتظم الوحدات المعجميّة في العموم وفق سلّميّة التّخصيص في سلسلة تـــتدرّج عمـــوما وتخصيـــصا حسب موقع الواحدة منها فيها، ومن نماذج ذلك: الحيوان>التّدييات> البرّيّ>المفترس>القطط> النّمِر.

بعد السلّم والمدى

يجـــري مفهـــوم السّلّم[1] – عند لانقاكر – جريانه في علم الخرائط. ذلك أنّ وحدة القيس الواحدة – ولتكن سنتمترا على الورق أو أيّ حامل للخريطة آخر– يمكـــن أن تـــشير إلى مسافات متنوّعة مختلفة بتنوّع السّلّم، تنوّعها في الواقع أو في الامـــتداد الجغـــرافيّ المكـــانيّ. فـــتؤوّل مرّة على أنّها متر مثلا أو على أنّها مئات الكيلومترات حسب ما تمثّل له الخريطة من مصنوعات أو بنايات أو مدن أو بلدان أو قـــارّات ومـــا إلى ذلـــك. وكذا الوحدة اللّغويّة يمكن أن تؤوّل بوجوه مختلفة باخـــتلاف المقياس، فكلمة 'قُربَ' مثلا ذات تأويلات متنوّعة بالقياس إلى المسافة مطلقـــا، فالقـــرب مثلا بين الأجرام في المجرّات يختلف عن القرب بين الأحياء في المـــدن، وعـــن القرب بين المكوّنات في الذّرّة أو بين المكوّنات في النّواة في الذّرّة الواحدة، وهذا الاختلاف لا يمنع قيام العلاقة نفسها رغم تنوّع السّلّم. وعلى هذا ينقاس الكثير من المفاهيم العلائقيّة. ويقترن بمفهوم السّلّم مفهوم المدى[2] من حيث كان محدّدا للمجال الّذي ينطبق عليه الحمل أو المدلول.

والمـــدى هو المجال الّذي تنطبق عليه العبارة وما يتّصل به من مجالات، وليس مـــن الضّروريّ أن يكون محدّدا على وجه الدّقّة. وللمدى قيمة مركزيّة في تصوّر المقـــولات ودلالة العبارات. فالأسماء الجارية على مختلف أعضاء الجسم مثلا تقوم على عناصر تخصيص ضروريّة منها موقع العضو المسمّى أي ما يمثّل معروضها، إزاء الجسم بأكمله. فصورة الجسم مجال للواحد منها وهي المدى الّذي يشمله الحكم. ويـــتدرّج المـــدى ضـــيقا واتّساعا بالتّدرّج في الاندراج أو الاحتواء بين الأعضاء المختلفة وفروعها أو الأجزاء الحاوية لها. فالمدى مستويان مباشر وبعيد، المباشر ما انـــدرج فـــيه المعروض أوّل ما يحلّل والبعيد ما كان ممثّلا للإطار العامّ من درجة أخرى ليست بالمباشرة.

---

1 Scale.

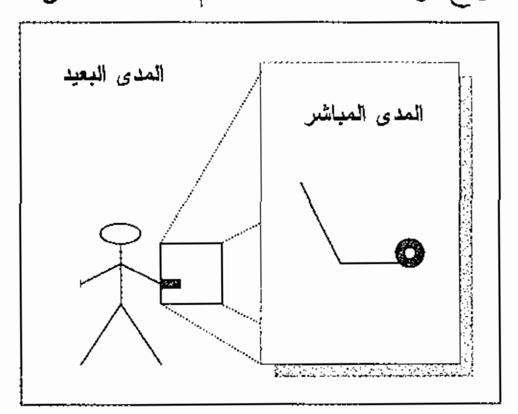
2 Scope.

ولكلّ عبارة مدى بعيد[1] ومدى مباشر[2] ومعروض[3]:

- المدى البعيد هو جملة المضامين التّصوّريّة الّتي تمثّل أساسا لمعناها.
- المدى المباشر هو المقطع الّذي يقتطع من المدى البعيد وعليه تقوم دلالة العبارة مباشرة.
- المعروض محطّ العناية والتّركيز المقترن بالعبارة في إطار المدى المباشر.

فكلمة 'يد' مثلا معروضها الجزء المعروف من الجسم وذاك معناها أو محطّ العناية ومداها المباشر 'الذّراع' ومداها البعيد 'الجسم' كاملا، تمثيل ذلك في (9):

(9)



بعد البروز النّسبيّ

يمثّل مفهوم البروز[4] عند لانقاكر بعدا من الأبعاد الأساسيّة في عمليّة التّصوير أو العرض[5]، منطلقها دلالة العبارة الواحدة كما رأينا حيث يبرز المعروض في إطارِ أساسِه، كما في دلالة 'بؤبؤ' على العضو المخصوص من العين، وهو معروضها من حيث يُتصوّر في أساس أوسع هو 'العين'. ومنتهاها دلالة العبارات كاملة. فكلّ عبارة تنقل وضعا أو حدثا إنّما تعرض جملة من العناصر المتعالقة تمثّل كلاّ تصوّريّا، ولكنّ تلك العناصر تتفاوت في البروز. فيكون البروز نسبيّا[6] موزّعا بينها على درجات تمثّل سلّميّة ينتظم وفقها توزّع العناصر المشاركة. ويجعل لانقاكر البروز في

---

1 Maximal scope.
2 Immediate scope.
3 Profile.
4 Salience/prominence.
5 Profiling.
6 Relative salience/relative prominence.

مجملـــه درجتين كبريين: بروزا مطلقا يكون فيه المشارك المعنيّ محطّ العناية الرّئيسيّة يسمّيه المنتقل[1]، وبروزا من درجة ثانية يكون فيه المشارك المعنيّ محطّ العناية الثّانويّة يسمّيه المَعْلَم[2].

ويـــرى لانقاكـــر أنّ ثنائيّة المنتقل والمعلم عامّة بوجه تشمل به جميع وجوه التّـــصوير بما في ذلك العناصر الأساسيّة في الجملة، فيوافق المنتقل ما يُعتبر فاعلا أو مسندا إليه في التّحليل المعهود ويوافق المعلم المفعول أو المتمّم.

ومـــن نماذج ذلك أنّ العبارات الّتي تصوّر علاقة أساسها التّناظر بين عنصرين يمكن أن تصوّر تلك العلاقة من زاويتين يكون في الواحدة منهما إبراز لعنصر دون قرينه كما في قولنا:

"زيد يشبه عمرا" و"عمرو يشبه زيدا".

فهمـــا جملتان قد تُعتبران متكافئتين في المحصّلة ولكنّهما مختلفتان معنويّا. فالعلاقة منقولة من زاويتين مختلفتين يكون إبراز الطّرف الواحد إزاء الآخر أو الآخرين.

ولهـــذا صـــلة بتنظيم عرفيّ قوامه ثنائيّة رسم/أرضيّة[3] متّصلة –في ما يبدو– بالإدراك الجشطلتيّ. فكلّ وضع أو واقعة تتضمّن عددا من المشاركين يكون البروز لبعـــضها دون الآخـــرين، فيمثّل المشارك البارز رسما هو محطّ العناية وتمثّل سائر العناصر المشاركة أرضيّة ذات بروز ثانويّ هي محطّ العناية الثّانويّة. فيطابق الرّسم المنـــتقلَ والأرضـــيّة المعلمَ. وتمثّل ثنائيّة رسم/أرضيّة أساسا آخر للتّمييز بين الفاعل والمفعـــول الـــنّحويّين فالرّســـم فاعل (مسند إليه) والأرضيّة مفعول، ولكنّ ثنائيّة رسم/أرضيّة أوسع من فاعل/مفعول وأكثر إطلاقا إذ تنطبق في جميع المستويات من الأبنية الدّاخليّة في مختلف الجمل بما في ذلك المركّبات.

وللبروز مجالات عديدة يتجلّى فيها بأدوات حروف أو بوحدات معجميّة وما سايرها.

ومن نماذج البروز النّسبيّ القائم على الأدوات (حروف الجرّ مثلا) بروز عمليّة انتقال الملكيّة في النّماذج الواردة في (I) حيث يبرز حرف الجرّ 'إلى' عمليّة انتقال ملكيّة الكتاب بالإهداء.

---

1 Trajector (Tr).

2 Landmark (Lm).

3 Figure/Ground.

ومن الوحدات المعجميّة ما يكون مرادفا لوحدة أخرى في المجمل ولكن يكون الاختلاف في بروز مظهر دلاليّ في الواحد وخفوته أو انتفائه في قرينه من ذلك قولنا "شِبل" و"صغير الأسد" أو "الخال" و"أخو الأمّ" وما إلى ذلك حيث تتوفّر الدّلالة على العلاقة المعنيّة بوجهين ضمنيّ وصريح.

المنظور

يقوم المنظور[1] على عدد من العوامل المخصوصة كالتّوجيه[2] وزاوية التّناول[3] المعتمدة والاتّجاهيّة[4] وكيفيّة بناء الوحدة وتصوّرها موضوعيّا، وهي عوامل فاعلة في بناء العبارات وفي تأويلها.

ففي قولنا مثلا "تجلس هند إلى يسار زيد" نقلنا الوضع انطلاقا من معلم هو زيد وتصوّرناه بأبعاده جسما حالاّ في الفضاء اتّخذناه منطلقا لخطّ وهميّ مجرّد يتحدّد عليه باتّجاه اليسار موقع المنتقل هند. وهذا المنظور دون شكّ يمثّل واحدا من مناظير عديدة ممكنة يمكن أن يكون الواحد منها موقع هند نفسها في المكان.

وكذلك ما يكون في نقل الواقعة من زاويتين أولاهما نسبيّة ذاتيّة كما في وصف جبل عال يلامس بحرا على منحدر متدرّج، إذ يمكن أن يُنقَل من اتّجاهين ذاتيّين عند الذّات المدركة:

يمكن أن يكون الأوّل منهما صاعدا فتتمثّل نوعا من الارتفاع يكون للجبل انطلاقا من مستوى البحر فتقول "يرتفع الجبل من البحر". وتتمثّل حركة الارتفاع بسهولة صعودها فيه فتقول "يرتفع الجبل برفق من البحر".

ويمكن أن يكون الثّاني نازلا فتتمثّل الانحدار والسّهولة فتقول "ينحدر الجبل إلى البحر برفق".

وفي الحالتين لا انحدار ولا صعود موضوعيّين وإنّما هما اتّجاهان متقابلان ترسمهما الذّات المدركة رسما ذاتيّا نسبيّا من منظورين متقابلين، فالمتحرّك هو الذّات المتصوِّرة ليس غير.

---

1 Perspective.

2 Orientation.

3 Construal/vantage point.

4 Directionality.

وكذلك ما يكون من وصف طريق تمرّ خلال الجبال – مثلا- يمكن أن توصف موضوعيّا في عبارة "تتخلّل الطّريق الجبال" أو "تمرّ الطّريق عبر الجبال"، ويمكن أن يكون وصفها ذاتيّا فيقال "تتلوّى الطّريق بين الجبال" وغير خفيّ ما في ذلك من تشبيه لها بالثّعبان وما إليه.

تلك إذن أهمّ ما يسطّر في النّحو العرفنيّ من زوايا التّصوير الّتي تشتغل اشتغالا واحدا في المستويات اللّغويّة المختلفة بساطة وتركّبا. وجميع هذه الأبعاد فاعل في بناء العبارات متوفّر في جميعها وإن بنسب مختلفة.

انتظام النّحو

يجمل لانقاكر غاية النّظريّة اللّسانيّة في تحديد البنى والقدرات الّتي تكوّن ما به يتمثّل المتكلّم المواضعة اللّغويّة، والشّرط في هذا التّحديد أن يكون موافقا للواقع العرفنيّ أي يكون له ما يطابقه ويدعمه في اشتغال العرفنة عامّة. وتتمثّل هذه المعرفة في النّحو في تصوّره الواسع.

واللّغة في النّحو العرفنيّ جهاز يمكن به صياغة التّصوّرات صياغة رمزيّة في شكل سلاسل صوتيّة، فهي بذلك أداة ترميز تجتمع وحداتها الرّمزيّة في مسرد منظّم هو النّحو. والوحدة الرّمزيّة[1] هي كلّ ما يملكه الفرد من بنى أي ما يمكن له أن يستحضره من حيث هو كلّ جاهز مسبّقا وذلك دون أن يستوقفه تركيبه الدّاخليّ، من قبيل الكلمة المفردة تجري في الكلام دون تفكير في تكوّنها الصّوتيّ أو المقطعيّ أو الدّلاليّ، ومن قبيل العبارة مطلقا أو الجاهزة مثلا تجري في الكلام دون التّفكير في تركّبها ومعناها الجزئيّ، إلخ، فتكون الوحدة بهذا المفهوم روتينا عرفنيّا[2].

ولتصوّر النّحو مسردا تبعات نظريّة عديدة، فالنّحو عند لانقاكر ليس توليديّا ولا بنائيّا، وليس عددا من الخوارزمات تعطي من دخل ما خرجا هو عدد من الأقوال المقبولة، ويرى لانقاكر أنّ تصوّر النّحو آليّة خوارزميّة يفرض قيودا وحدودا اعتباطيّة على مباحث النّظريّة اللّسانيّة من حيث المجال ويقود إلى إقامة افتراضات في طبيعة البنية اللّغويّة لا أساس لها.

---

1 Symbolic unit.

2 Cognitive routine.

مـــن ذلك كون الأحكام المتعلّقة بمقبوليّة العبارات في النّحو أحكاما قطعيّة لا تراعـــي كـــون المقبولـــيّة درجـــات، ومـــنها إهمال العبارات التّصويريّة (المجازيّة والاســـتعاريّة) وإخـــراجها من مجال اللّسانيّات، ومنها الفصل المفتعل بين الدّلالة والتّداولـــيّة، وجميع ذلك يقود إلى اعتبار الملكة اللّغويّة مكتفية بذاتها ومستقلّة عن العرفنة، وهذه مسلّمات لا أساس لها يدعمها في واقع الأشياء.

ويوفّر النّحو للمتكلّم مسردا من الموارد الرّمزيّة من بينها قوالب تصويريّة تمـــثّل أنماطـــا مستقرّة في تجميع الأبنية الرّمزيّة المركّبة، وتمثّل الوحدات الرّمزيّة معيارا يسبر به المتكلّم العبارات الحادثة من حيث ملاءمتها للمواضعة، وليست الأبنـــية الرّمزيّة الحادثة مجموعة مغلقة ولا هي وليدة خوارزمات تعتمد آليّات محـــدودة يشتمل عليها نحو مستقلّ بذاته. وإنّما هي أبنية تعود في نشأتها إلى ما عـــند المـــتكلّم من مهارات عرفنيّة عامّة تهمّ الذّكاء وبها يتمكّن من المواضعة اللّغـــويّة نفسها فهما وإنتاجا، ومن التّفاعل مع محيطه مقاما وسياقا ومن تحديد غايـــات تواصليّة له ومن التّعبير عن انفعالاته الشّعوريّة والجماليّة، ومن الإفادة من معارفه العامّة، وما إلى ذلك.

وهـــذه الأبنية، إذ كانت ناتجة من كلّ ما سبق، تكون على غاية من الخصوصيّة تفوق ما يمكن استخلاصه من الوحدات اللّغويّة بمفردها، بل إنّها تعارض –غالبا– المنتظر المعهود كما يكون في المجاز والاستعارة والاتّساع الدّلاليّ عامّة.

والـــوحدات الأساسيّة الّتي يقوم عليها النّحو –عند لانقاكر– ثلاث: دلاليّة وصوتميّة ورمزيّة.

تقـــوم الوحدة الرّمزيّة على تقارن بين الوحدتين الدّلاليّة والصّوتميّة في شكل أزواجيّ، فتكون ذات قطبين قطب دلاليّ[1] وقطب صوتميّ[2]:

وحدة رمزيّة: قطب دلاليّ/قطب صوتميّ رمز[[دلالة]/[صوت]]

فقـــوام النّحو أبنية رمزيّة تتضمّن الواحدة منها بنية دلاليّة وبنية صوتميّة، وهي نوعان بسيطة ومركّبة، البسيط منها ما لا يقبل القسمة أو لا يتضمّن وحدة رمزيّة أصغر.

ويجـــري التّجمـــيع بـــين البسيطة منها لتكوين المركّبة منها، ولا حدّ نظريّا

1 Semantic pole.

2 Phonological pole.

لـــدرجات التّركّب. وهذه التّجميعات الرّمزيّة[1] هي كلّ ما نحتاج إليه في وصف المعجم والنّحو اللّذين يكوّنان استرسالا.

وتنقسم الوحدات الرّمزيّة من زاوية دلاليّة إلى أقسام (أو مقولات) نحويّة:

- الاسم ما كان معروضه شيئا[2]، يؤخذ 'شيء' في تصوّره العامّ أي كلّ ما صحّ اعتـــباره وحـــدة مفهوميّة تمثّل مضمونا عرفنيّا مستقلاّ بذاته. وذلك من قبيل 'كتاب' و'فكرة' و'ذكاء' وما إلى ذلك.
- الفعل ما كان معروضه عمليّة[3] أي كلّ ما مثّل علاقة تُتناول من زاوية تطوّرها أو تـــبلورها عبر الزّمن، وذلك من قبيل الأفعال المصرّفة والمشتقّات المتّصلة بها حاملة الدّلالة الزّمانيّة تصريفا أو اشتقاقا.
- مجموعة خليط من الصّفات والظّروف المبنيّات والحروف ممّا يدلّ على علاقات ليست من العمليّات أي لا دور للزّمن في تصوّرها أو في تطوّرها أو في بنائها، فهي لاعمليّة[4] ولازمانيّة[5]، من قبيل 'أحمر' و'فوقَ' و'في' وما إلى ذلك.

والمقـــولة الـــواحدة ممّا سبق وحدة رمزيّة على غاية من الخطاطيّة من حيث التّجريد وانعدام التّخصيص والعموم:

فالاسم خطاطة لما دلّ على شيء مطلقا، وهي [[شيء]/[س]][6].

والفعل خطاطة لما دلّ على عمليّة مطلقا وهي [[عمليّة]/[ص]][7].

والوحدة العلائقيّة[8] ما دلّت على علاقة لازمانيّة مطلقا.

وتمثّل [شيء] و[عمليّة] مفهومين تجريديّين و[س] و[ص] علامتين على بنيتين على غاية من الخطاطيّة تحدّدان وجود مضمون صوتميّ ما.

ويجري التّمثيل للقاعدة النّحويّة المكوّنة للأبنية النّحويّة على أنّها وحدة رمزيّة تكـــون مـــركّبة وخطاطيّة في آن. مثال ذلك أسماء الفاعلين في الإنجليزيّة من قبيل teacher (مـــدرّس) وhelper (معين) وdriver (سائق) في كونها وحدات مركّبة

---

1 Symbolic assemblies.

2 Thing.

3 Process.

4 Non-processual.

5 Atemporal.

6 [[THING]/[X]].

7 [[PROCESS]/[Y]].

8 Relational unit.

تتـــضمّن خطاطة الفعل [[PROCESS]/[Y]] والصّرفم الاشتقاقي [[ER]/[er]]، حيث يشير الخطّ التّاجيّ إلى خطاطة الفاعليّة والخطّ العاديّ إلى المضمون الصّوتميّ الّذي يقترن بها. وهي تحدّد في الوقت نفسه الوجه الّذي يكون به إدماج الأبنية الّتي تتـــضمّنها من وجهين مفهوميّ (دلاليّ) وصوتميّ، وهو ما تشير إليه علامة المطّة في ما يلي حيث يكون التّمثيل لصوغ اسم الفاعل teacher:

[[[PROCESS]/[Y]]-[[ER]/[er]]]   [[[TEACH]/[teach]]-[[ER]/[er]]]

ويتجلّـــى مـــن التّمثيل ما يثبته لانقاكر من تواز بين البنية الخطاطيّة والعبارة الممـــثّلة لها من حيث تتحقّق فيها. ولئن استقام هذا التّمثيل والتّصوّر للانقاكر في اللّغـــة الإنجليزيّة منطلقا واللّغات ذات الصّرف التّرصيفيّ[1] عامّة فإنّه لا يستقيم في العـــربيّة ذات الـــصّرف التّفريعيّ[2] لما يقوم عليه بناء الكلم من تداخل في الصّرافم وتمازجهـــا باســـتقلال الواحد منها بمستوى خاصّ به وتتوزّع مادّته الصّوتميّة على مواضـــع مخـــصوصة في البنـــية المقطعيّة. وهذا ممّا يمكن النّظر فيه ولكنّه ليس من اهتمامنا هنا.

تركّب الكلِم

يقوم مفهوم التّركّب عامّة على جريان بنية شكليّة ما مكوّنا من مكوّنات بنية شـــكليّة مـــن درجـــة أعلى في التّركّب. والتّركّب درجات أدناه الوحدة الرّمزيّة البسطى وأقصاه ما تسمح به قوانين المقْولة في اللّغة المعنيّة. والمهمّ في النّحو العرفنيّ أن يتوازى مظهران في التّركّب شكليّ صوتميّ ومفهوميّ دلاليّ وفي درجات ذلك التّـــركّب، وهـــو مـــا يطلق عليه لانقاكر علاقة المقْولة الشّاملة[3] الّتي تنطبق على درجات تشتغل في الواحدة منها مقْولة محلّيّة[4] تحدث بها بنية فرعيّة. بيان ذلك في (10) باعتماد Pencil sharpener (مبراة الأقلام):

---

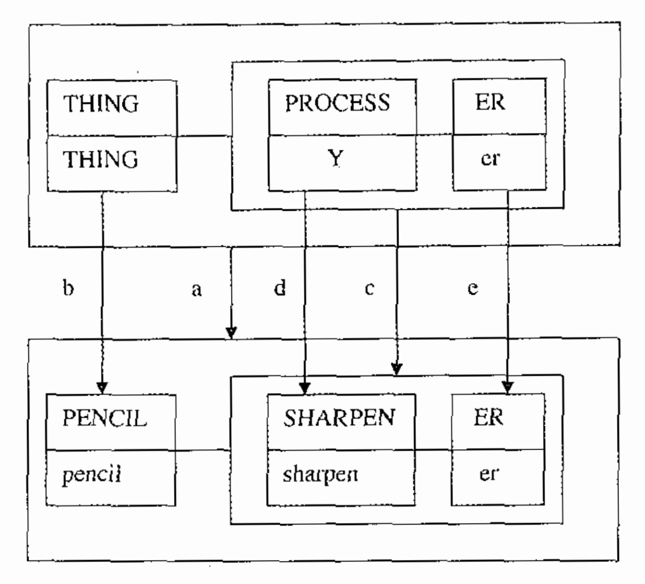
1 Concatenative Morphology

2 Nonconcatenative Morphology.

3 Global categorization relationship.

4 Local categorization.

(10)



ينقسم التّمثيل (10) إلى مستويين يمثّل أعلاهما الخطاطة الّتي تحكم جميع العبارات الّتي من قبيل ما يعبّر عن آلة إحداث الفعل وموضوعه في الإنجليزيّة (اسم الآلة ذات الموضوع المحدّد واسم المهنة وما إلى ذلك (taxi driver, pencil sharpner)، والخطاطة في أدنى درجات التّخصيص.

ويمثّل أدنامهما الوحدة المعجميّة الّتي تطابق في قطبيها الدّلاليّ والصّوتميّ الخطاطة الّتي بإزائها في المستوى الأعلى وتحقّقها في أقصى درجات التّخصيص. وتشير الأسهم إلى علاقات المقْولة على درجات:

- العلاقة b تحدّد pencil من حيث هو عنصرمن مقولة الأسماء.
- العلاقة c تحدّد sharpener من حيث هو اسم مشتقّ بتلحيق er.
- العلاقة d تحدّد sharpen بانتمائه إلى الأفعال.

وجميع هذه العلاقات علاقاتُ مقْولة محلّيّة، أمّا العلاقة a فتمثّل ما به تُحدّد الخطاطةُ العامّة (أي تلك الواردة في المستوى الأعلى من التّمثيل) بنيةَ العبارة المركّبة (الواردة في المستوى الأدنى من التّمثيل)، فهي علاقة المقولة الشّاملة.

وتمثّل جميع العلاقات (a,b,c,d,e) الوصف البنيويّ للعبارة موضوع التّمثيل. وليس من الضّروريّ أن يكون المعنى الحاصل بالتّركيب موافقا لمجموع المعاني الجزئيّة في العناصر الّتي تتركّب منها العبارة. ويكون محصّل المعنى بالتّركيب أشدّ تخصيصا من معاني أجزائه منعزلة، فالمعنى المستفاد من العبارة موضوع التّمثيل (10) ليس

مجـــرّد أداة لــبري الأقـــلام وإنّما هي على غاية من التّخصيص فهي الآلة المعلومة وليست أيّ أداة حادّة قد تجري لبري الأقلام مثلا.

يقود تصوّر النّحو على ما سبق بيانه إلى وضع قيود على التّحليل اللّسانيّ عند لانقاكر ومنها أنّ النّحو في لغة من اللّغات لا يقبل إلاّ الوحدات التّالية:

أ- وحـــدات دلاليّة وصوتميّة وأبنية رمزيّة تتواتر على صورة ظاهرة في العبارات اللّغويّة.

ب- أبنية شكليّة هي بمثابة القوالب للوحدات والأبنية المذكورة في (أ).

ج- علاقات مقْوَلة تقرن بين البنى المذكورة في (أ) وفي (ب).

وهـــذه القيود على مضمون النّحو تفوق القيود المتوفّرة في المناويل الخوارزميّة من حيث دقّتها، فبها تلغى جميع آليّات الوصف الاعتباطيّة وخاصّة تلك الّتي لا تجد لهـــا أساســـا في الواقع الصّوتيّ أو في الواقع الدّلاليّ، من قبيل السّمات الفارغة أو الـــرّموز الاعتباطـــيّة أو الرّموز الفارغة الّتي تفتقر إلى المضمون الصّوتميّ والدّلاليّ وكـــذلك اشـــتقاق بنى كامنة تختلف عنها تمام الاختلاف كاشتقاق المجهول من المعلوم.

الأقسام النّحويّة

مـــدار النّظـــر في هذا المبحث في ما به يُحدّد النّحو أقسام الوحدات وسلوك عناصرها:

تتحدّد بعض الأقسام على أساس المضمون الدّلاليّ و/أو الصّوتميّ حيث يجري تجريد وحدة خطاطيّة تمثّل المضمون المشترك بين جميع العناصر المنتمية إلى قسم ما.

ويتحدّد الانتماء إلى قسم من الأقسام بوحدات مقْوليّة (أي وظيفتها المقْوَلة) تعـــرض مـــا به توافق العناصرالمفردة الوحدةَ الخطاطيّة فتكون تحقّقات لها ونماذج منها. فحركة الكسرة[i] تصنّف ضمن الحركات المرتفعة بفعل الوحدة المقْوَليّة:

[[حركة مرتفعة]←[i]]

حيث [حركة مرتفعة] بنية صوتميّة خطاطيّة تحجب جميع الخصائص الّتي تتميّز بها حركة من أخرى في الحركات المرتفعة.

وكـــذلك الـــوحدات المقولـــيّة الواردة في تحليل النّموذج (10) حيث تحدّد علاقات المقْوَلة من قبيل a وb كلاّ من pencil (قلم) وsharpen (برى) على أنّهما

اســـم وفعل تباعا. وتحدّد العلاقة (مبراة الأقلام) على أنّها نموذج تتحقّق فيه البنية النّحويّة الّتي يرمز إليها التّمثيل (10) بأكمله حيث لا وجود إلاّ للأبنية الرّمزيّة ذات المضمون الصّوتميّ والدّلاليّ المتحقّق فعلا.

وينشأ في هذا المستوى من الطّرح إشكال يتعلّق بالقدرة على التّكهّن[1] مداره أنّ عــــددا كـــبيرا من العناصر في مختلف الأقسام النّحويّة لا يمكن التّكهّن به على أساس صوتميّ/دلاليّ، من ذلك تحوّل f في الإفراد إلى v في الجمع في بعض النّماذج الإنجليزيّة (leaf/leaves (ورقة/أوراق)) دون البعض الآخر.

ويـــرى لانقاكر أنّ المشكل وضع على أساس خاطئ فقاد إلى موقف خاطئ. فوجود الكثير من مظاهر السّلوك الصّرفيّ والإعرابيّ الّتي لا يمكن التّكهّن بها تكهّنا تامّا قادت إلى الموقف الخاطئ المتمثّل في اعتبار النّحو مستقلاّ بنفسه من حيث هو مظهر من البنية اللّغويّة أمّا الخطأ في الأساس الّذي قام عليه مبحث التّكهّن فيتمثّل في الخلط بين موضوعين منفصلين هما نوع الأبنية والتّكهّن بسلوك تلك الأبنية.

فالنّحو العرفيّ يعالج مظاهر السّلوك غير المتوقّع دون أن يضع قواعد مخصوصة أو علامــــات اعتباطيّة دياكريتيّة، إذ يكفي عند لانقاكر أن تشير إلى أنّ f تجهّر في الجمع leaf/leaves ولا يكون ذلك في reef/reeves* مثلا.

وفي ذلـــك تنصيص على أنّ النّحو يتضمّن الصّيغة المثبتة دون المنتفية في أبنيته الـــنّحويّة المعهـــودة. وهو تنصيص كاف يثبت به انتماء وحدات دون أخرى إلى الوحدات النّحويّة.

فالبنـــية النّحويّة في النّحو العرفيّ تتمثّل في الوحدات الرّمزيّة فقط، يقوم هذا الادّعــــاء على تقديم تحديد مفهوميّ للمقولات النّحويّة الأساسيّة: الأسماء والأفعال خاصّة.

ويتحدّد الانتماء المقوليّ لعبارة ما بناء على قطبها الدّلاليّ أو معروضها (بعبارة تصويريّة أخرى): فالاسم ما كان معروضه [شيء] ووافق تبعا لذلك خطاطة [[شيء]/[س]]. ومقابـــل الأسماء توجد العبارات العلائقيّة الّتي تعرض عمليّات أو علاقات لازمانيّة. والفعل ما كان معروضه [عمليّة] ووافق خطاطة [[عمليّة]/[ص]]. وتضمّ مقـــولة العـــبارات العلائقـــيّة ما كان معروضه علاقة لازمانيّة من قبيل الصّفات[2]

---

1 Predictability.

2 Adjectives.

والمبنيّات[1] والحروف[2] والمشتقّات[3] والصّيغ الفعليّة غير المصرّفة[4].

ويتحدّد الثّالوث من المفاهيم الأساسيّة (شيء، عمليّة، لازمانيّ) في المقولة النّحويّة كما يلي: يتحدّد الشّيء بكونه منطقة[5] في مجال[6] ما، والمنطقة مجموعة من الوحدات (عناصرأو ذوات) المترابطة من خلال التّعالق بين أحداث عرفنيّة، والمجال نوعان أساسيّ وغير أساسيّ.

إذا كان الاسم دالاّ على ما يقبل العدّ[7] كانت الجهة المعروضة محدودة، فكلمة 'لحظة' أو 'برهة' مثلا تدلّ على منطقة محدودة من مجال أساسيّ هو الزّمان، وكلمة 'أحمر' تحيل على منطقة محدودة في اللّون مجالا أساسيّا، وكلمة 'بقعة' تحيل على منطقة محدودة من مجال الإبصار. وكذا جميع الأشياء أو الكائنات المادّيّة تعتبر من أسماء العدّ من حيث تحتلّ مناطق محدودة في الفضاء ثلاثيّ الأبعاد.

ومن نماذج المجالات غير الأساسيّة، نجد 'قوس' الّتي تحيل على قسم محدود من الدّائرة و'ذراع' في إحالتها على قسم محدود من اليد أو الجسم، و'فقرة' في ما تحيل عليه محدودا من النّصّ، وكذلك 'جانفي' الّذي لا يتحدّد مباشرة في الزّمان مجالا أساسيّا وإنّما في مفهوم أكثر تجريدا هو التّقويم السّنويّ (الرّوزنامة) بمراحله الّتي تتقاسم الزّمان.

ولا تقوم الحدود الّتي تتخصّص بها أسماء العدّ دائما على عوامل إدراكيّة موضوعيّة، فمنها ما يقوم على وجوه أخرى ليست من المعطيات الموضوعيّة: فحدود "ثلمة" مثلا عمادها الشّكل والامتداد المفترض الّذي يكون لسطح الجسم كاملا، وحدود 'أرخبيل' تكاد تكون افتراضيّة إذ توافق نهايات الجزر الطّرفيّة، وكذلك 'وسط' -جارية في 'وسط الدّار' مثلا- نتصوّرها على أنّها منطقة محدودة وإن غابت الأسس الإدراكيّة الّتي بها يتميّز وسط الدّار عمّا يحيط به من معالم الفضاء. فيمكن للوسط أن يتغيّر من حيث الاتّساع ما لم يتجاوز مركز المعلم ليمتدّ على أطرافه.

---

1 Adverbials.

2 Prepositions.

3 Participles.

4 Infinitives.

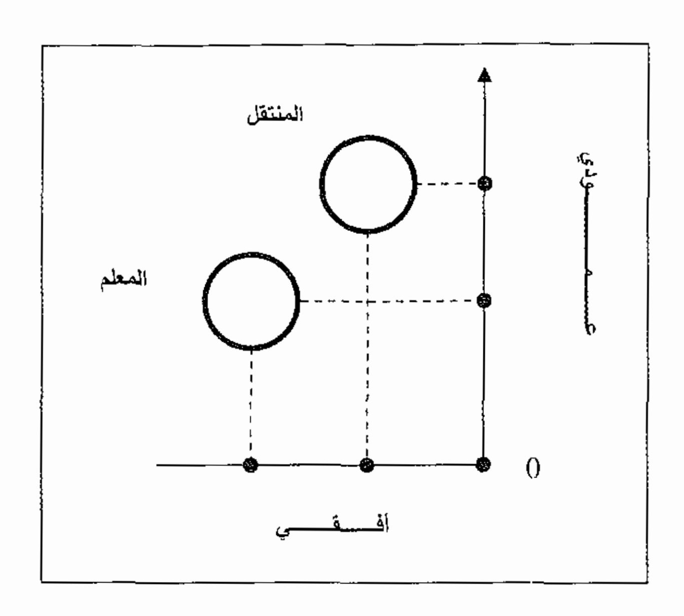
5 Region.

6 Domain.

7 Count nouns.

فالتّسمية تعرض جملة من الذّوات المترابطة أي ما يكوّن منطقة، وتعرض الوحدات العلائقيّة التّرابطات في ذاتها، والتّرابطات عمليّات عرفيّة تعيّن أوضاع الذّوات المتصوَّرة الواحد منها إزاء الآخر في مجال محدود. وليست هذه التّرابطات مقصورة على الأطراف المشاركة في واقعة ما وإنّما تمتدّ لتشمل كلّ ما تضمّه المنطقة. ويعتمد لانقاكر الوحدة العلائقيّة 'فوق'[1] نموذجا يبيّن به في (11) مختلف المفاهيم الواردة في ما سبق عرضه:

(11)



يتحدّد مجال 'فوق' بالفضاء ببعديه العموديّ والأفقيّ. وما تعرضه 'فوق' من ترابطات لا يجمع بين المنتقل والمعلم جمعا واحدا وإنّما يحيل على إسقاطهما العموديّ والأفقيّ، وهو ترابط يقوم على عدد من العمليّات:

(أ) عمليّة ترابط تشير إلى أنّ الإسقاط (على المحور) العموديّ للواحد من المترابطين لا يمكن أن يطابق الآخر.

(ب) عمليّة ترابط أخرى تشير إلى أنّ إسقاطيهما على المحور الأفقيّ متطابقان وجوبا أو متقاربان.

(ج)عمليّة ترابط تعيّن موقع الواحد منهما انطلاقا من الصّفر العموديّ فيكون ارتفاع إسقاط المنتقل أكبر من ارتفاع المعلم انطلاقا من الصّفر. وينطبق على 'تحت' ما

1 Above.

ينطبق على 'فوق' من ترابطات والاختلاف بينهما كائن في النّمط العلائقيّ.

وتعـــرض الوحدات العلائقيّة نمطين من العلاقات علاقات لازمانيّة بسيطة هي علاقات سكونيّة وعلاقات لازمانيّة مركّبة هي علاقات متغيّرة متطوّرة، وذلك حسب السّياق. مثال ذلك أن تجري فوق للتّعبير عن الفوقيّة السّكونيّة والفوقيّة الحركيّة:

(12) أ. الجسر فوق النّهر.

ب. مرّ زيد فوق الجسر.

ففـــي (12-أ) يحـــتلّ المنتقل 'جسر' في وقت واحد جميع النّقاط الواقعة في المـــسلك بين طرفي المعلم 'نهر'، وهذا نمط من العلاقات اللاّزمانيّة السّكونيّة قوامها حـــال مستقرّة، أمّا في (12-ب) فيحتلّ المنتقل 'زيد' جميع النّقاط الواقعة بين طرفي المعلـــم 'جـــسر' واحدة فواحدة في الزّمان ضرورة. وتتضمّن هذه العلاقة أحوالا متتابعة بينها تعاقب واختلاف في الهيئات أو الأحوال في آن، فهي نموذج للعلاقات اللاّزمانيّة المركّبة.

ولئن جمع لانقاكر قسم العبارات العلائقيّة بقسم الأفعال على أساس اتّفاقهما في عرض العلاقات فإنّه يميّز تمييزا مفهوميّا بين الوحدات العلائقيّة اللاّزمانيّة المركّبة مـــن جهـــة والأفعال في تعبيرها عن العمليّات من جهة أخرى: فلا يستقيم تحديد الأفعـــال على أساس إحالتها على الزّمان إذ يتوفّر ذلك في الوحدات العلائقيّة من قبيل 'قبل' و'بعد' وما إليها. وفي أسماء الزّمان من قبيل 'لحظة' و'برهة' و'حين' وما إلـــيها. ولا يـــستقيم كـــذلك تحديد الأفعال على أنّها تعرض عددا من الأوضاع العلائقـــيّة المتعاقـــبة في الزّمان إذ يتوفّر ذلك في وحدات من قبيل 'عبْر' و'خلال' و'مـــدّة' وما إليها. فوجب حينئذ البحث عن مدخل آخر في ما به تتميّز الأفعال. يتمثّل هذا المدخل في ما يطلق عليه لانقاكر نمط المسح.

المسح العرفنيّ

المـــسح[1] نوعان تتابعيّ[2] ومجمل[3]. المسح التّتابعيّ هو نمط في المعالجة العرفنيّة[4] يشتغل عند مشاهدة صورة متحرّكة – مثلا– أو كرة وهي تطير في الفضاء (والمثال

1 Scanning.

2 Sequential scanning.

3 Summary scanning.

4 Cognitive processing.

للانفاكر) حيث تكون الأوضاع المتعاقبة الّتي تكوّن الحدث المدرك متسلسلة وآنيّة، فيبدأ الوضع الواحد منها حالما ينتهي سابقه وينتهي حالما يبدأ لاحقه. فمتابعة الحدث تكون بامتداد أوضاعه المتعاقبة وهو يجري مسترسلا.

أمّا المسح المجمل فهو نمط في المعالجة يكون عندما يعمد الفرد مثلا إلى إعادة بناء الحدث كاملا بناء ذهنيًا، كأن يتصوّر بناء مشهد الكرة وهي تعبر الفضاء من حيث مسلكها والخطّ المنحني الّذي تتبعه بدرجاته المختلفة وارتفاعه وسرعته، إلخ. فجميع الأوضاع تثار في المسح المجمل متتابعة ولكن بشكل تراكميّ، أي أنّ الوضع الواحد عندما يثار يظلّ قائما إلى منتهى الحدث كاملا. فجميع الأوضاع في المسح المجمل متزامنة بوجه يستوي فيه الحدث كلاّ إدراكيّا.

والفرق بين العلاقة اللاّزمانيّة المركّبة في 'عبْر' مثلا، والفعل المناسب لها 'عَبَر' لا يعود إلى مكوّنات المفهوم في ذاته (مفهوم العبور)، وإنّما يعود إلى اختلاف في نمط المسح في الواحد منهما. وهو أمر متّصل بنمط التّصوير، تمثيل ذلك في (13):

يشير السّهم إلى محور الزّمن والمستطيل ذو الخطوط الغليظة إلى المعلم (المجال أو الفضاء موقع العبور) والدّائرة إلى المنتقل. فيكون العبور في (13-أ) حدثا يتحوّل بمقتضاه موقع المنتقل بتدرّج خلال الزّمن: فالعبور بدايته موقع خارج المجال فدخول فيه فاحتلال لأبعاضه المسترسلة فبلوغ لنهايته فخروج منه. وهذا ما تشير إليه الخطوط المتقطّعة دلالة على ترابط تلك الأوضاع واسترسالها. وهذا هو نمط المسح التّتابعيّ.

أمّا العبور في (13-ب) فمأخوذ في جملته أي من حيث هو عمليّة شاملة تمسح جملة الأوضاع الّتي تكون للمعلم في مجاله مسحا واحدا شاملا لا أبعاض فيه. ويمكن تبيّن ذلك بالمقارنة بين القولين في ما يلي:

- يصل المهاجرون إلى أوروبا عبْر المتوسّط.
- يعبُر المهاجرون المتوسّط للوصول إلى أوروبا.

فوسم العمليّة بكونها زمانيّة ووسم العلاقة بكونها لازمانيّة رغم إحالتها على الزّمان يتّضح على الأساس التّالي: لا يقوم الفرق بينهما على دور الزّمان في الإسناد (أي الزّمان المتصوّر[1]) وإنّما يقوم على زمان المعالجة[2] أي على نمط المسح. فإذا ما

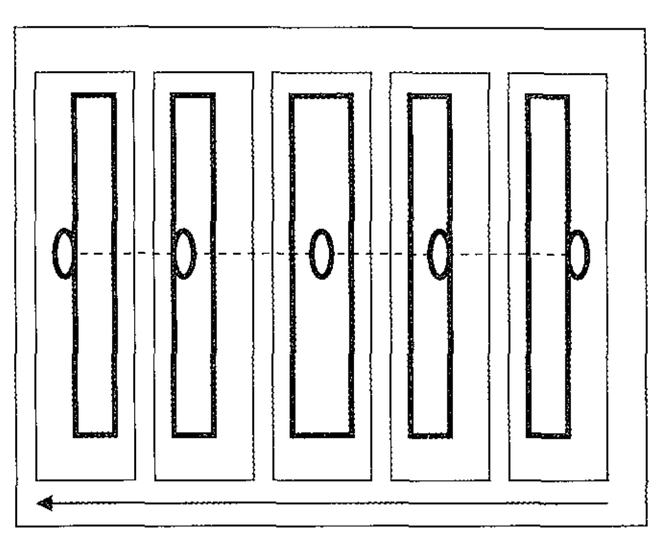
---

1 Conceived time.

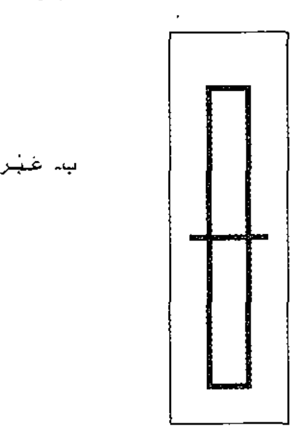
2 Processing time.

أثـــيرت الأوضاع متتابعة في زمن المعالجة كان المسح تتابعيّا ويجري في ذلك الفعل، وإذا أثـــيرت متـــزامنة مجملة كان المسح مجملا وتجري في ذلك الوحدات العلائقيّة اللاّزمانيّة.

(13)



أ- عَبَـرَ / يـعبُرُ



ب- عَبْـرَ

ويقوم هذا التّحليل - عند لانقاكر- على أساس طبيعيّ إذ يتأسّس الاختلاف بـــين النّمطين في المسح على أسس عرفنيّة، وهو تحليل يساعد على تحقيق عدد من الأشـــياء منها تفسير الحدوس اللّغويّة المتداولة في شأن الفعل مثلا من حيث طبيعته الحـــركيّة فـــصيغة الفعل 'عبَر، يعبر' مثلا ليست أكثر دلالة على حركة العبور من الظّـــرف 'عبْر'، ولكنّها تمثّل نمطا من المسح تتابعيّا للحركة، وذلك خلافا للظّرف الّذي يمثّل مسحا مجملا لها.

ومـــنها التّمييـــز بين الأقسام النّحويّة الأساسيّة وشرح وجوه الشّبه ووجوه الاخـــتلاف بينها: فاعتماد نمط المسح يمكّن من تفسير الشّبه الكائن بين وحدات علائقيّة وأفعال من حيث المضمون المفهوميّ، كما يمكّن من تفسير جريان الواحد منهما في إفادة العلاقة والعمليّة بحكم التّكافؤ المفهوميّ، فلا فرق بين 'فاق' و'فوق' أو بين 'عَبَر' و'عبْر' من حيث المضمون المفهوميّ، ولكنّ بين الطّرفين فارقا في نمط المسح. فهما عبارتان متكافئتان من حيث المضمون ومختلفتان من حيث نمط المسح، يكون الفعل منهما للمسح التّتابعيّ والظّرف منهما للمسح المجمل.

كمـــا يفيد نمط المسح -مدخلا نظريّا- في تفسير الوضع الخاصّ الّذي يكون للأفعـــال والصّفات غير المصرّفة زمانيّا فكلاهما متّصل بالفعل من حيث المضمون المفهومـــيّ ولكنّ صوغهما يقوم على طمس المسح التّتابعيّ وإلغائه، فتصنّف تبعا لـــذلك الوحدات ضمن العلاقات اللاّزمانيّة فالانتقال من صيغة الفعل إلى المشتقّ الاسميّ أو الفعل غير المصرّف زمانيّا انتقال من المسح التّتابعيّ إلى المسح المجمل.

ويعتمد لانقاكر هذه الأسس لتسطير عدد من المبادئ العامّة:

أ- تعـــرض المـــركّبات المصرّفة زمانيّا عمليّة، وهو قيد يقتضي اشتمالها على فعل يسهم بنمط المسح التّتابعيّ، ومن تبعاته كذلك أن تشتمل الجمل الخالية من الفعل على واحد من الفعلين المساعدين (have, be)، وهما يعرضان عمليّات علـــى غايـــة مـــن الخطاطـــيّة، أي أنّهما لا يتضمّنان إلاّ تحديدا لطبيعتهما العمليّاتـــيّة. فهما يلتحمان بالوحدات العلائقيّة اللاّزمانيّة في الجملة ليكتمل بهما المسح التّتابعيّ.

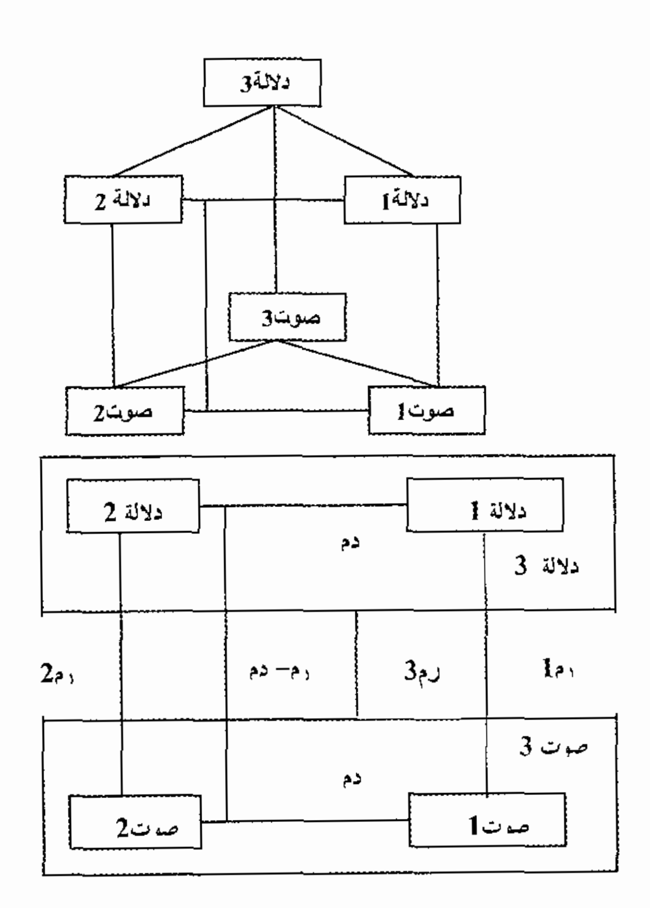
ب- تكـــون محـــوّرات الأسماء لازمانيّة عادة: من قبيل اسم الإشارة والموصولات الاسميّة.

وفي العمـــوم يمكـــن اختصار ما سبق في ما يلي: تعرض العلاقة اللاّزمانيّة تـــرابطات بين ذاتين أو أكثر حيث تكون الذّات شيئا أو علاقة من نوع آخر، فكلمة 'قبل' مثلا يمكن أن تربط بين عمليّتين كما في قولنا: 'وصل زيد قبل أن يخـــرج عمرو'. وتمثّل العلاقة اللاّزمانيّة المركّبة سلسلة من العلاقات السّكونيّة الثّابتة القارّة ممسوحة مسحا مجملا، أمّا العمليّة فعرض تتابعيّ لعدد من الأوضاع يتوزّعها الزّمان وتمسح مسحا تتابعيّا، ويكون فيها المنتقل دائما شيئا ولا يكون علاقة أبدا.

الأبنية النّحويّة

يمثّل النّحو - عند لانقاكر- مجموعة القوالب الّتي تحدّد أنماط التّوليف بين الأبنية الرّمزيّة توليفا خطّيّا لتكوين تعابير رمزيّة من درجات عليا. والنّحو مسرد منضّد من الأبنية النّحويّة، تحدّد الواحدة منها العلاقة الّتي تكون بين مكوّنين أو أكثرمن الأبنية الأساسيّة وتحدّد كذلك الأبنية المركّبة النّاتجة عن تلاحم الأبنية الأساسيّة. وفي (14) تمثيل للأبنية الأساسيّة والعلاقات كما تبلورت عند لانقاكر بطريقتين متكافئتين:

(14)



الوحدات الأساسيّة اثنتان صوتميّة ودلاليّة والعلاقات ثلاث: علاقة ترميز[1] (رم) يترابط بها القطب الصّوتميّ بالقطب الدّلاليّ، وعلاقة تركيب[2] (تر) يتركّب

1 Symbolization.
2 Composition.

بمقتضاها العنصران، وعلاقة إدماج[1] (دم) ينصهر بمقتضاها العنصران في واحد.

وتجري علاقة التّرميز تبعا لمستويات التّركّب فتكون العلاقة ترميزا بين صوت ومعنى في لفظ مفرد (رم 1، رم2 في (14))، وإذ يتركّب هذا اللّفظ مع لفظ آخر تنشأ علاقة ترميز يقترن بمقتضاها الصّوت المركّب بالمعنى المركّب (رم 3 في (14)). ويحدث كذلك الدّمج في القطب الصّوتميّ والقطب الدّلاليّ ويتقارنان بواسطة التّرميز (رم-دم في (14)). وتبين العلاقة (رم-دم) عن طبيعة النّحو الجوهريّة من حيث كان رمزيّا في أساسه. فاندماج الأبنية الأساسيّة في القطب الصّوتميّ وسيلة ترمز إلى اندماج الأبنية الأساسيّة المناسبة لها في القطب الدّلاليّ. فكلمة 'مجتهدون' – مثلا- يندمج في قطبها الصّوتمي المكوّنان 'مجتهد' و'ـون' وهي عمليّة تقتضي التّتابع الزّمانيّ والتّنظيم المقطعيّ المناسبين (وبعض التّعديلات الصّوتيّة عند الاقتضاء). فالتحاق 'ـون' بـ'مجتهد' عمليّة ترميز تفيد أنّ الجمع الّذي تحمله مقترن بتلك الوحدة دون غيرها، فالعلاقة الرّمزيّة (رم-دم) لا تربط بين بنية صوتميّة وبنية دلاليّة وإنّما تربط العلاقات الّتي تكون بين بنيتين صوتميّتين وبنيتين دلاليّتين.

وفي المظهر الدّلاليّ، يقوم الدّمج بين بنيتين مكوّنتين دائما على تناسبات ثابتة بين أبنيتهما الفرعيّة، فالأبنية الفرعيّة المتناسبة مواطن تطابق بين البنيتين المكوّنيّتين. وهذه المواطن ضروريّة لنشأة مفهوم مركّب مستقيم. فالبنية المركّبة تنشأ بتراكب الخصائص في كلّ واحدة من الأبنية الفرعيّة المتناسبة. فإذا ما حدث نوع من التّعارض في تلك الخصائص لا يستقيم المفهوم المركّب فيؤول إلى خلل دلاليّ من حيث يمثّل خرقا لقيود الانتقاء.

فالمثال 'فوق الطّاولة' ناتج عن اندماج بين 'فوق' و'الطّاولة' ليتكوّن المركّب الإضافيّ. تعرض 'فوق' علاقة سكونيّة ثابتة في فضاء اتّجاهيّ بين شيئين اثنين لا يتحدّدان إلاّ خطاطيّا. وتعرض 'طاولة' شيئا محدّدا ذا خصائص متعدّدة المداخل -لا يتّسع المجال لاستعراضها- هي جملة ما يكوّن مفهوم الطّاولة. ويكون الاندماج بين المكوّنين بالتّناسب بين المعلم في خطاطة 'فوق' ومعروض 'طاولة'، وبالتّراكب بين خصائص كلّ من البنيتين الفرعيّتين وباعتماد العلاقة الّتي تعرضها 'فوق' تنشأ بنية

---

1 Integration.

مـــركّبة 'فـــوق-طاولة' تحيل على علاقة سكونيّة تربط بين منتقل خطاطيّ ومعلم مخـــصوص، وتنتهـــي عمليّة التّركيب بتناسبات عموديّة بين العناصر المكوّنة للبنية المركّبة وتناسبات أفقيّة تترابط بها المكوّنات.

تمثـــيل ذلك في (15) حيث تبين مراحل التّركيب ومراحل تحقّقات الخطاطة بدايـــة مـــن خطاطة المركّب الإضافيّ الّتي يجتمع بمقتضاها رأس مضاف ومتمّم مـــضاف إلـــيه هو مركّب اسميّ (15 -أ) وانتهاء بتحقّق تلك الخطاطة في 'فوق الطّاولة' (15-ب):

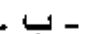
ويسطّر لانقاكر مبدأ مضمونه أنّ الدّلالة لا تقوم قياما كلّيّا على التّركيب بين الـــدّلالات الجـــزئيّة إذ يمكن للعبارات ذات البناء المركّب أن تحيل، أوّل ما يكون تجميعها، على مجالات لا يمكن التّكهّن بها من خلال الأبنية المكوّنة لها أو من خلال الـــوحدات المعهودة فيها. وإذ مثّلت هذه الخصائص جزءا من تأويل هذه العبارات وقـــسما مـــن قيمتها الدّلاليّة في حال استقرارها وحدة قائمة برأسها، يكون من الاعتباطـــيّ إقصاء هذه الخصائص من التّحليل الدّلاليّ. وذلك من قبيل ما يجري في العـــربيّة مـــثلا في قولنا 'فوق رأسي' أو 'على رأسي وعيني' في دلالتها على العناية بالشّيء وإيلائه المنـــزلة العليا، وهي قيمة لا نحصل عليها بمجرّد الجمع بين دلالات الأجزاء المركّبة للعبارة.

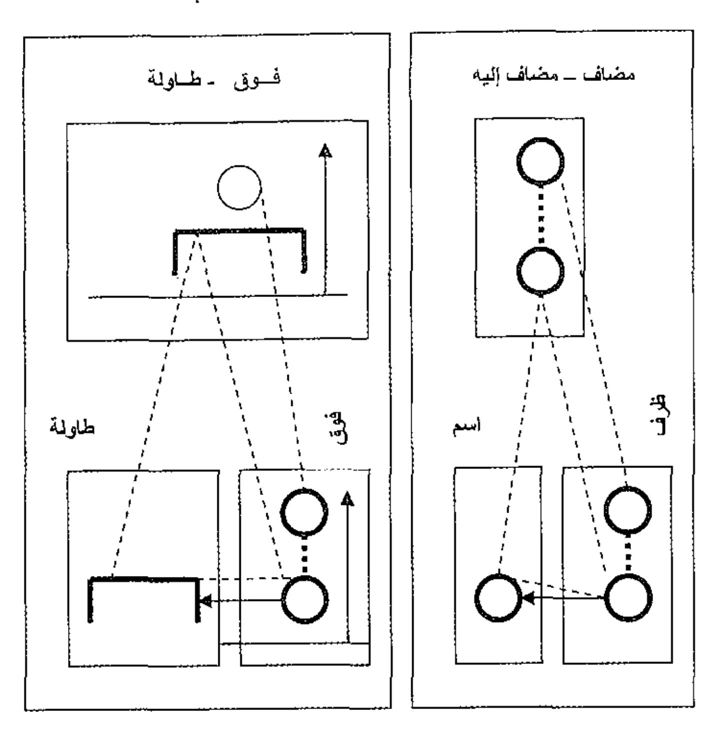
فالنّحو يتضمّن قوالب التّركيب الّتي تحدّد المظاهر الأساسيّة في تنظيم كلّ بنية مـــركّبة. وتتمثّل هذه القوالب في عدد من الخطاطات البنائيّة[1] تقوم الواحدة منها علـــى بنـــية داخليّة توازي البنية الدّاخليّة في جميع العبارات الّتي تحقّقها من حيث كانت نماذج لها. فالنّحو العربيّ مثلا يتضمّن خطاطة لبناء المركّب الإضافيّ بمقتضاها يـــتحدّد في القطـــب الصّوتميّ التّجاور والتّرتيب الخطّيّ للمكوّن المضاف والمكوّن المضاف إليه، وتتحدّد في القطب الدّلاليّ القيم الدّلاليّة بشكل خطاطيّ يتضمّن قيم الـــوحدات المكوّنيّة مفردة وقيمة ما يتركّب منها: فالمكوّن الأوّل مكوّن خطاطيّ لقسم الظّروف - مثلا- بمعنى أنّ كلّ ما يتحدّد فيه هو العلاقة السّكونيّة الثّابتة الّتي يدلّ عليها (كالفوقيّة أو التّحتيّة، إلخ)، وكون المنتقل والمعلم المترابطين بتلك العلاقة شيئين.

---

1 Constructional schemas.

(15)





والمكـــوّن الثّاني خطاطة للمركّب الاسميّ معروضه 'شيء' بما له من خصائص دلالـــيّة. فـــيكون التّناسب بين المعلم في خطاطة المكوّن الوارد مضافا وما يعرضه الاســـم المـــضاف إليه، ثمّ يحدث التّراكب بين خصائص المتناسبين (انظر15-أ). وتجـــري هـــذه الخطاطـــة البنائيّة نفسها في الاستعمال في تحليل العبارات الحادثة وتقييمها. ولهذه الخطاطة عدد من الخصائص يمكن اعتبارها خصائص طرازيّة ذلك أنّ كلّ ما فيها بنيتان مكوّنيّتان: الواحدة علائقيّة والأخرى اسميّة، يكون التّناسب بين ما يعرضه الاسم ووجه ممّا تعرضه العلاقة (أي معلم العلاقة أو ما هو المعلم في الخطاطـــة). ورغم التّفاوت الكبير في درجة التّخصيص بين ما يتوفّر في 'فوق' من حـــيث كانت خطاطة لعلاقة -ومن طبيعة الخطاطة أن تكون فقيرة جدّا من حيث التّخصيص- من جهة، وما يتوفّر في الاسم 'طاولة' من جهة ثانية، تسم 'فوق' البنيةَ المركّبة كاملة من حيث لا تعبّر 'فوق الطّاولة' إلاّ عن علاقة. لذلك تكون 'فوق'- عند لانقاكر- محدّدا لمعروض[1] المركّب كاملا.

---

1 Profile determinant.

تقـــوم الخطاطـــات – في ضوء ما عرضنا– على مظهرين: تناسب ضروريّ مطّـــرد بـــين الخصائص الخطاطيّة هو ما يضمن للخطاطة موقعها الطّرازيّ فتكون نموذجا لجميع العبارات المختلفة نوعا ومضمونا، وقسم آخر من الخصائص المتنوّعة تجري بها البنية الخطاطيّة في العبارات المركّبة المتناهية.

وليس من المفروض أن يكون طرفا البنية المركّبة من نوع مخصوص من حيث المعروض، فكلّ ما يجب أن يتوفّر هو هذا التّناسب، وهو الشّرط الأدنى الضّروريّ لاســتيعاب جمـــيع الأبنية. والمكوّنيّة[1] ليست مظهرا نحويّا مستقلاّ بذاته في البنية النّحويّة وإنّما هي التّراتبيّة الّتي بها تتركّب الأبنية الرّمزيّة تدريجا في عبارات مركّبة تـــذهب في اتّـــساعها درجة فدرجة، والبنية المركّبة الحادثة باندماج مكوّنين يمكن بـــدورها أن تكون مكوّنا في بنية مركّبة من درجة أعلى، وهكذا إلى ما لا ينتهي. وذلك من قبيل: (فوق) (طاولة)/(فوق طاولة) (مصباح)/مصباح (فوق طاولة)... ويحدث أن يتساوى الطّرفان في ذلك في أبنية اسميّة من قبيل "صديقي العزيز عمرو" (علاقة البدليّة في النّحو العربيّ).

ويـــدحض هـــذا الـــرّأيَ القائـــل بأنّ البنية المركّبة ترث خصائص المكوّنين المتركّبين. فالبنية المركّبة ذات الطّرفين يبلور الواحد منهما الآخر إذ ينقسم الطّرفان إلى مكـــوّن محدِّد ومكوّن محدَّد، فالمحدِّد مستقلّ مفهوميّا والمحدَّد تابع مفهوميّا. ففـــي قولـــنا 'فوق طاولة' تمثّل 'طاولة' مكوّنا مستقلاّ مفهوميّا إزاء 'فوق' من حـــيث تحدِّد معلمها الخطاطيّ وفي 'المصباح فوق الطّاولة' يمثّل 'مصباح' مكوّنا مفهومـــيّا إزاء 'فوق الطاولة' من حيث يحدّد المنتقل الخطاطيّ المتعلّق بها. تمثيل ذلك في (16):

وفي ضـــوء هـــذا التّعالق يكون المكوّن التّابع مفهوميّا محوِّرا ويكون المكوّن المستقلّ مفهوميّا متمّما: فيكون 'طاولة' متمّما لـــ'فوق' في 'فوق الطّاولة' ويكون 'فوق الطّاولة' محوّرا لـــ'مصباح'.

ويـــرى لانقاكـــر أنّ المكوّنـــيّة تمكّن من إقامة تصوّر مرن للبنية النّحويّة يستوعب وجوه التّوليف المتنوّعة في النّحو، فلا حاجة إلى افتراض المشجّر المركّبيّ كما هو الأمر في التّحليل التّوليديّ، ولا حاجة إلى اعتماد تشكّلات البنية المركّبيّة في تحديـــد العلاقـــات الـــنّحويّة، فالمكوّنيّة هي بكلّ بساطة تراتبيّة التّجميع في

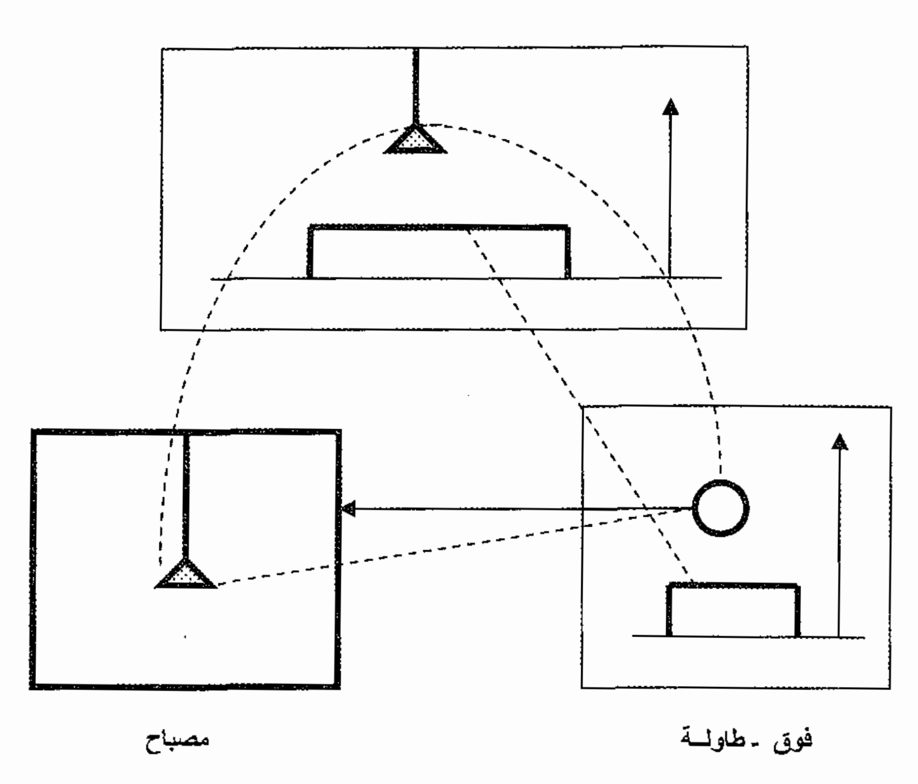
---

1 Constituency.

العـــبارات المركّبة. وإذا ما حدث أن تواتر وجه واحد مخصوص من وجوه ذلك التّجمـــيع وانتـــشر فكـــان الغالب، فإنّ ذلك لا ينفي وجوها أخرى ممكنة في التّجميع، بل لا وجاهة في اعتماد بنية مكوّنيّة واحدة في تحديد العلاقات النّحويّة ولا تحوّل ولا تحويل لبنية من أخرى. فما يحدّد كون 'الطّاولة' متمّما لـــ'فوق' في 'فـــوق الطّاولة' ليس مشجّر البنية المكوّنيّة في ذاته وإنّما دور المركّب الاسميّ في تحديد معلم المضاف.

(16)

مصبـاح ـ فوق ـ طاولة



مصباح

فوق ـ طاولـة

ولئن كانت بنية المركّب الإضافيّ واحدة لا تتغيّر فالعامل الأساسيّ في تحديد علاقة الإضافة يتمثّل في التّناسب القائم بين معلم المضاف ومعروض المضاف إليه. وينسحب هذا – عند لانقاكر– على جمل من قبيل (17):

(17) زيد يحبّ التّمر.

حـــيث يمثّل 'تمر' المعلم الخطاطيّ لفعل 'يحبّ' في مستوى مكوّنيّ أوّل فيتهيّأ حمـــل عمليّ حدثيّ ذو معلم ومنتقل خطاطيّين محدّدين، ثمّ يقدّم المكوّن 'زيد'، في

مـــستوى ثـــان، المنتقل المتعلّق بـــ' يحبّ التّمر' فيتهيّأ حمل عمليّ حدثيّ ذو منتقل ومعلم محدّدين:

الحمل: [منتقل (زيد)– معلم [منتقل (يحبّ)– معلم (التّمر)]]

ويمكـــن أن يجـــري التّولـــيف بين المكوّنات نفسها في اتّجاه آخر فيكون 'زيـــد' المنـــتقل الخطاطيّ للفعل 'يحبّ' ثمّ يمثّل 'التّمر' المعلم الخطاطيّ لـــ' زيد يحبّ':

الحمل: [منتقل [منتقل (زيد)– معلم (يحبّ)]– معلم (التّمر)]

ويـــري لانقاكـــر أنّ تحلـــيل الأبنية النّحويّة القائم على ثنائيّة المعلم-المنتقل الخطاطيّين يمكّن من استيعاب أبنية مركّبة دون اللّجوء إلى التّحويلات، يكون ذلك في نمـــاذج تتضمّن نواتين من فعلين مختلفين لهما فاعلان مختلفان ومفعول به واحد مشترك كما في (18):

(18) زيد يحبّ، ولكنّ أكثر النّاس يكرهون، التّمر[1].

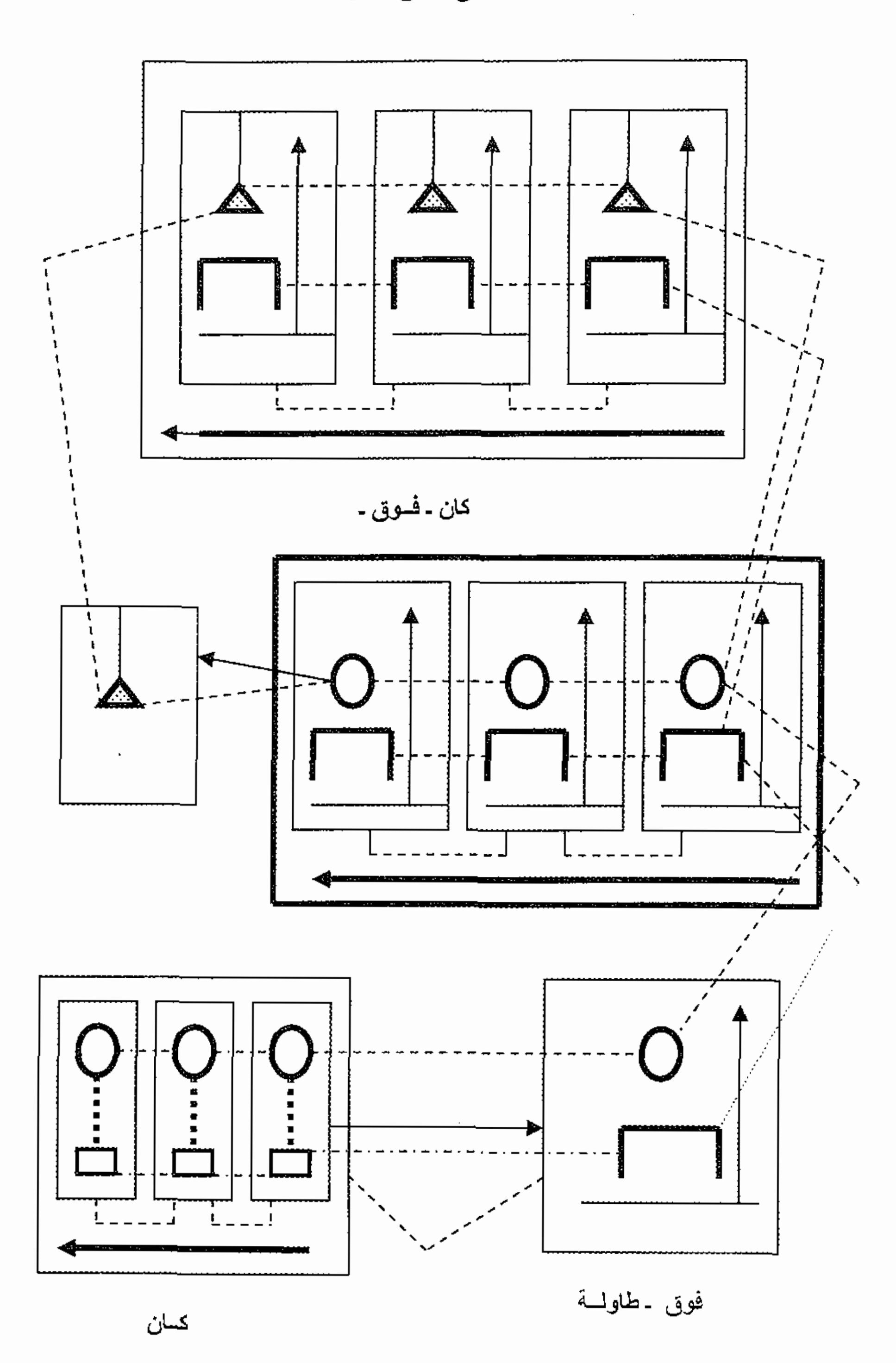
حيث لا حاجة إلى تحويل قائم على رفع العقدة اليسرى يعود بهذا النّمط من الجمـــل إلى جملتين متعاطفتين، إذ يمكن تجميع المكوّنين (الفعلين والفاعلين) أوّلا ثمّ التّولـــيف بينهما في بنية العطف وينضاف إلى ذلك المفعولُ به مندمجا في آن في كلّ مـــن المعطـــوفين مـــن خلال التّناسب بين معروضه من جهة ومعلم أداة العطف العلائقيّ: المفعول به منتقل للمعلم الّذي تمثّله علاقة العطف. وعلاقة العطف منتقل لمعلمين هما المكوّنان المتعاطفان.

وبناء على ما سبق من المبادئ ومواصلةً لدرجات التّركّب في الأبنية النّحويّة، يواصـــل لانقاكر تحليل مراحل التّركّب في 'فوق الطّاولة' بجريانها في 'كان المصباح فوق الطّاولة' كما يبين من (19):

1 Alice likes, but most people really hate, braised liver. (Langacker 1991, p.303).

(19)

كان - مصباح - فوق - طاولة



يمـــثّل الفعـــل النّاقص 'كان' (be) نموذجا خطاطيّا لقسم من الأفعال مدلولها عمليّة تتمثّل في الاستمرار خلال الزّمان على وضع قارّ واحد. فيمثّل بذلك أداة في إســـناد ما يكوّن الأحوال من حيث أبعاضها على أساس التّشابه والاستمرار. فهو مكوّن خطاطيّ لعلاقة تستمرّ في الزّمان.

يُقرأ التّمثيل (19) على مستويين مكوّنيّين أوّل وثان:

يكون في المستوى المكوّنيّ الأوّل وضع العلاقة القارّة المحدّدة (فوق – طاولة) إزاء الوضـــع الخطاطيّ الّذي تعرضه (كان) على أساس التّناسب فينتج حينئذ حمل مـــركّب (كـــون–فـــوق–طاولـــة) يشبه خطاطة (كان) تماما إلاّ في كون جميع التّخصيصات الموروثة من (فوق–طاولة) منطبقة على ذلك الوضع بشكل مسترسل متـــتابع خــــلال الزّمان، فمعلم (كون–فوق–طاولة) محدّد في هذا المستوى ولكنّ منتقلها يظلّ خطاطيّا.

ويتـــبلور في المـــستوى المكوّنيّ الثّاني المنتقل الخطاطيّ في (مصباح) لتنتج بنية مـــركّبة (مـــصباح–كون–فوق–طاولة) تمثّل المعنى المركّب في الجملة التّامّة. فهي تعـــرض استمرار وضع قارّ ثابت خلال الزّمان يشارك فيه (مصباح) و(طاولة) في علاقة محلّيّة مكانيّة[1] مخصوصة. وتمثّل (مصباح) المسند إليه من حيث بلورت المنتقل لـــرأس المركّب (كون–فوق–طاولة)، وعندما نتأمّل التّناسبات العموديّة والأفقيّة نتبيّن أنّ (مصباح) تناسب منتقل كلّ العناصر العلائقيّة (كون فوق طاولة، كون، فوق طاولة، فوق).

خاتمة

تلك بعض الأسس المنهجيّة المفهوميّة الّتي يقيم عليها لانقاكر نظريّته الموسومة بالنّحو العرفنيّ، ولعلّ هذا العرض غير موف بدقائق النّظريّة ولا بمختلف أطوارها، فهو مجرّد مدخل تكون من خلاله الدّعوة إلى التّعمّق في النّظريّة بتوفير مفاتيح تيسّر ولوجها والدّعوة إلى تناول العربيّة بخصوصيّاتها النّظاميّة في هذا الإطار. ولعلّ نظريّة الـــنّحو العـــرفنيّ واحدة من نظريّات لسانيّة قليلة يكون فيها السّعي إلى استيعاب الـــنّحو في انتظامه الشّامل أصواتا وصرفا وإعرابا ودلالة وتداولا في استرسالها، فلا انفصال ما بين الإعراب والدّلالة، ولا ما بين اللّغة والملكات العرفنيّة عند المتكلّم.

---

1 Locative.

فاللّغـــة ليست نظاما مكتفيا بذاته ولا تقبل الوصف بمعزل عن العمليّات العرفنيّة، ولا يمكن تفسير السّلوك اللّغويّ دون اعتبار آليّات المعالجة العرفنيّة. فالبنى النّحويّة لا تكوّن نظاما شكليّا مستقلاّ بنفسه وإنّما هي بنى رمزيّة تخدم المضامين المفهوميّة مـــن حـــيث تُـــشكّلها وترمز إليها. ولعلّ ما يميّز لانقاكر اعتباره النّحو تصويريّا بالأســـاس، مـــن حيث مثّلت اللّغة عنده جملة من الموارد الرّمزيّة تكون بها صياغة المضامين العرفنيّة وفق نمط من أنماط التّصوير بأبعاده المختلفة ولذلك يدعو لانقاكر إلى الالتـــزام بالتّأليف ما بين نتائج البحث اللّسانيّ ونتائج علم العرفنة حفاظا على طبيعيّة النّظريّةَ اللّسانيّة.



نظريّة الاستعارة المفهوميّة

يُعتبر لايكوف من أبرز الأعلام المؤسّسين للعرفنيّات عامّة وللّسانيّات العرفنيّة على وجه الخصوص، ومن ميزاته التّأليف الجماعيّ (صحبة جونسون، مارك تورنر ومـــن لـــفّ لفّهما) وهو ما يندر عند لانقاكر أو طالمي. ومن ميزاته أنّه يعتمد ما توصّـــل إلـــيه بعض الأعلام من الباحثين العرفنيّين من مبادئ ومناويل يصهرها في مشروعه النّظريّ ويعلن ذلك (انظر لايكوف 1987 ص 68 مثلا). وهو يدحض ما اســـتقرّ في الفلـــسفة الغربيّة منذ ألفين من السّنوات باعتماد ما تجلّى في الأبحاث الحديثة من الأدلّة والمعطيات والحجج الّتي يبين بها قصور تلك المسلّمات وذلك في مجالات متعدّدة أبرزها علم النّفس العرفنيّ. ويلاحظ الدّارس أنّ مشروع لايكوف ثلاثـــيّ المحـــاور من حيث الإشكاليّات المطروحة (العقل والحقيقة، طبيعة العقل، المقولات) وثنائيّ القسمة من حيث الزّمن (قديما وحديثا): فقيام العقل على الحقيقة وطبيعته المجرّدة وقيام المقولات في ذاتها من الحقائق الثّابتة في القديم وهو ما يناهضه لايكـــوف باعتـــبار العقل قائما على التّخيّل (الاستعارة) وحالاّ في الجسد وقيام المقـــولات في صـــلة بتجربتنا الجسديّة. ولذلك سنعرض أسس نظريّة لايكوف في شـــكل ثـــلاث نظريّات فرعيّة دون أن يعني ذلك الانفصال بينها: أوّلها في نظريّة الاستعارة المفهوميّة وثانيها في العرفنة المجسدنة، وثالثها في المناويل العرفنيّة المؤمثلة.

الرّؤية الموضوعيّة والرّؤية الواقعيّة التّجريبيّة

يوجـــز لايكـــوف وجوه التّعارض في ما يتعلّق بالعقل (الذّهن) طبيعة ومادّة واشـــتغالا، مـــا بين النّظريّة الفلسفيّة الكلاسيكيّة وما يُقترَح في النّظريّات العرفنيّة الحديثة (لايكوف 1987)، ويختزل ذلك في التّعارض ما بين الرّؤية الموضوعيّة[1] من جهة والواقعيّة التّجريبيّة[2] من جهة أخرى.

1 Objectivism/objectivist view.

2 Experiential realism/experientialism.

فمن ركائز النّظريّة الفلسفيّة الموروثة منذ القديم دون مساءلة والّتي باتت من المسلّمات تُعتمد في البحث في طبيعة الذّهن واشتغاله على مدى العقود الأولى من تسبلور العلوم العرفنيّة، أنّ الفكر يشتغل على رموز تجريديّة اشتغالا آليّا ميكانيكيّا، فالذّهن- في هذا التّصوّر- آلة تجريديّة تعالج الرّموز كما يعالجها الحاسوب أي باعتماد الحوسبة الخوارزميّة. والرّموز بما فيها الكلم والتّمثيلات الذّهنيّة تقترن بمعانيها باعتماد مناسبتها للأشياء في العالم الخارجيّ، والمعنى مطلقا هو التّناسب ما بين الذّهنيّ وحالِ الأشياء في الواقع. وما الرّموز الّتي تناسب العالم الخارجيّ إلاّ تمثيل داخليّ للواقع الخارجيّ. فيقوم التّناسب بين الرّموز والعالم الخارجيّ قياما مستقلاّ عن أيّ ذات من حيث خصائصها أو مميّزاتها. ولذلك يمثّل الذّهن مرآةً للطّبيعة من حيث يعمل على تمثيلات داخليّة للواقع الخارجيّ، فيكون على ذلك الفكر الصّحيح السّليم ما عكس منطق الأشياء في العالم الخارجيّ.

ومن تلك الرّكائز كون حلول الفكر في الأجسام أمرا عارضا لا يمسّ شيئا من جوهر الفكر، إذ كان الفكر متعاليا متجاوزا حدود المادّة ولئن كان لابدّ من الأجساد للعيش في المحيط فهي مجرّد أدوات يقودها الفكر المجرّد ويوجّهها. فالفكر مجرَّد منتزَع من الجسد إذ كان مستقلاّ قائما بذاته غير خاضع لحدود الجسم البشريّ وقصور الحواسّ لقصور النّظام العصبيّ الّذي يملكه. فيمكن - على هذا- للآلة أن تشتغل على رموز تناسب الأشياء في الواقع الخارجيّ فتنتجَ معنى فيه فكر وعقل.

ومن تلك الرّكائز كون الفكر ذرّيّا بمعنى أنّه يقبل التّفكيك إلى جزيّئاته وهي الرّموز البسطى كما يقبل التّركيب بالتّوليف المحكوم بالقواعد لتكوين الوحدات المركّبة. وإذ كان الفكر قائما على أساس المنطق (الصّناعيّ) فإنّه يقبل الصّوغ الصّوريّ الرّياضيّ في ما يسمّى 'مناويل العالم'. ولا تناسب تلك الرّموز المجرّدة الأشياءَ العينيّة أو ما يعمّها من الأنواع في عالم الواقع وإنّما تناسب ما تنتظم فيه تلك الأشياء من المقولات، فالمقولة جمّاع الخصائص المشتركة بين العناصر المنتمية إليها، وهي جميعا تمثّل الشّرط الضّروريّ والكافي[1] لانتماء العنصر إلى مقولته ولتكوينها ولتحديدها (تعريفها). فيكون بين الفكر والعالم -واقعيّا كان أو ممكنا- تناسُبٌ في المقولات بوجه تتقارن فيه الرّموز والمقولات واحدا بواحد.

1 Necessary and sufficient condition(s).

وإزاء ذاك التّصوّر الكلاسيكيّ بركائزه الموضوعيّة ينهض تصوّر آخر أساسه تجريبيّ حيث تفيد 'التّجربة' بالإضافة إلى أساسها الحسّيّ الإدراكيّ والحركيّ الجسديّ، كلُّ ما يمثّل تجربة فعليّة أو ممكنة، فرديّة كانت أو جماعيّة. فقوام التّجريبيّة طبيعةُ الجسد من حيث تكوّنه وراثة واكتسابا ومن حيث أدوات التّفاعل الّتي له بمحيطه الّذي يعيش فيه. فالفكر– في الرّؤية التّجريبيّة- مجسدن[1] بمعنى أنّ الأنظمة المفهوميّة عند البشر تنشأ وتتبلور وتكتمل بناء على تجربة الفرد الجسديّة في العالم، وقلب هذا النّظام المفهوميّ متجذّر[2] في الإدراك وحركات الجسد في محيطه وفي جميع التّجارب أو التّفاعلات الاجتماعيّة والمادّيّة. فالفكر ذو أرضيّة إدراكيّة جسديّة.

والفكر تخيّليّ[3] أي قائم على التّخيّل والتّصوير باعتماد المجاز والاستعارة وما إليهما. فما لم يكن ذا أرضيّة جسديّة من المفاهيم، يستعمِل هذه الأدوات الّتي لا يكون فيها انعكاس الواقع انعكاسا حرفيّا أو تمثيله تمثيلا مطابَقا له في الخارج.

وللفكر خصائص جشطلتيّة وليس ذرّيّا، بمعنى أنّ للمفاهيم أبنية شاملة عامّة تتجاوز مجموع المكوّنات الجزئيّة فيها. ويكون للمفاهيم بنية مرتبطة بالمحيط والبيئة بمعنى أنّها ليست مجرّد أبنية رمزيّة يشتغل عليها الذّهن منقطعة عن مجال العيش والتّجربة.

وتستعمَل 'المناويل العرفنيّة'[4] لوصف الأبنية المفهوميّة كما يأتي بيانه في بابه، وهي مناويل تتضمّن ما استقام أمره من الحقائق المتعلّقة بالفكر والمقولات والمعاني في الموضوعيّة الكلاسيكيّة، وينضاف إليها الأساس التّجريبيّ.

ومن خصائص الفكر (الذّهن) عند لايكوف أنّه تصويريّ مجسدن ذو بنية جشطالتيّة، وتقوم لوصف كلّ خصيصة نظريّة، من قبيل نظريّة الاستعارة المفهوميّة ونظريّة الجسدنة ونظريّة الصّورة الخطاطة وجميعها لبنات تُبنى بها المناويل العرفنيّة المؤمثلة (كما يأتي بيانه).

ومن الأسس المشتركة بين الموضوعيّة والتّجريبيّة على ما بينهما من تعارض، الالتزام بوجود العالم الواقعيّ والتّسليم بما للواقع من تأثير على المفاهيم وتقييد لها

---

1 Embodied.

2 Grounded.

3 Imaginative.

4 Cognitive Model(s).

وتصوّر للحقيقة يتجاوز مجرّد الانسجام الدّاخليّ فيها والالتزام بوجود معرفة ثابتة بالكون.

نظريّة الاستعارة المفهوميّة

نظريّة الاستعارة المفهوميّة[1] تسمية لجملة من الأفكار والمبادئ متعدّدة روافدها في إطـــار اللّسانيّات العرفنيّة، ولعلّ اقترانها بلايكوف عائد إلى ما له فيها من صهر وبلـــورة ومـــا لآثـــاره مـــن رواج وما لطريقته في العرض والبسط من الوضوح والـــنّجاعة. ولهـــذه النّظـــريّة مبرّرات عامّة تتّصل بطبيعة الفكر عامّة وبالاستعارة والمجاز خاصّة.

فالفكـــرة الكلاسيكيّة ترى أنّ العقل يقوم على الحقيقة (المعنى الحرفيّ) ومجاله القضايا الّتي تقبل الصّدق والكذب بصفة موضوعيّة. ولكنّ الفكرة الحديثة الجديدة تأخـــذ مظهر التّخيّل (المجاز) في العقل (الاستعارة والمجاز المرسل والتّصوير الذّهنيّ) باعتـــباره مكـــوّنا مركزيّا من مكوّنات العقل لا مكوّنا زائدا ينضاف إلى الحقيقة. فممّـــا يدحض لايكوف – مواصلا ما بدأ عند مايكل راديّ[2] (1979)- في الرّؤية الكلاســـيكيّة التّمييز ما بين الدّلالة الحرفيّة والدّلالة المجازيّة في الكلام، وإذ تسقط تلك المقابلة يسقط ما قام عليها من المفاهيم والافتراضات الغالطة.

فقـــد تبـــيّن أنّ الاستعارة تنتظم الفكر في جميع مظاهره وهي مبثوثة في جميع الاســـتعمالات اليوميّة العاديّة في العبارات اللّغويّة. وإذ يكون ذلك تسقط ثنائيّات كلاسيكيّة غالطة منها كون الاستعارة (المجاز) ظاهرة لغويّة وليست فكريّة، ومنها كـــون اللّغة العاديّة اليوميّة قائمة أساسا على الدّلالة الحرفيّة وخالية من الاستعارة والمجاز.

ويثبت خلاف ذلك فالاستعارة ظاهرة مركزيّة غالبة في دلالة الكلام العاديّ اليومـــيّ وهي جزء من الفكر من حيث مثّلت أداة في تصوّر العالم والأشياء وتمثّلها في جميع مظاهرها، فهي جزء من النّظام العرفنيّ. ولذلك سمّيت بالاستعارة المفهوميّة إذ كانـــت الاستعارة أداة مَفهمَة وتمثيل وتصوّر يعمّ كلّ مظاهر الفكر بما في ذلك المفاهـــيم المجـــرّدة والمتّصلة بالمجالات الأساسيّة من قبيل الزّمن والأوضاع والمكان

---

1 Conceptual Metaphor Theory (CMT).

2 Michael Reddy.

والعلاقـــات والأحـــداث والتّغيّـــر والجعل وما إليها. ويجرّ هذا التّحوّلُ تغييرا في مصطلح الاستعارة إجراء ومفهوما:

فالاستعارة- في النّظريّة الكلاسيكيّة- عبارة لغويّة جديدة أو شعريّة يستعمَل فيها لفظ واحد أو أكثر في معنى غير معناه المعهود المألوف للتّعبير عن معنى شبيه به (لايكوف 1992)، وهي - في النّظريّة الحديثة- إسقاط عابر للمجالات[1] في النّظام المفهومـــيّ، وما العبارة الاستعاريّة إلاّ تحقّق سطحيّ لتلك العمليّات الّتي يجري بها الإسقاط المفهوميّ في الذّهن.

وبسقوط المقابلة بين المعنى الحرفيّ والمعنى المجازيّ في الاستعارة تسقط الفرضيّة القائمة عليها والمتعلّقة بتحليل الاستعارة وفهمها: فالمتصوّر في النّظريّة الكلاسيكيّة أنّ الوصول إلى المعنى المجازيّ الاستعاريّ يكون بالانطلاق من المعنى الحرفيّ فإجراء بعـــض العمليّات 'الخوارزميّة' عليه ثمّ الانتهاء إلى ما يمنع الفهم الحرفيّ فيثبت المعنى المجازيّ. ولكن تبيّن أنّ في نشوء الاستعارة وتحليلها سبيلا أخرى أساسها الإسقاط ما بين المجالات كما يأتي بيانه.

فهذا هذا وتظلّ الدّلالة الحرفيّة قائمة في الإجراء اللّغويّ. ويظلّ التّفريق قائما - عـــند لايكـــوف - بـــين الاســـتعارة اليوميّة أي تلك الجارية في الكلام العاديّ والاســـتعارة الـــشّعريّة ولكنّ أبرز ما يثبته لايكوف أنّ كليهما يشتغل وفق آليّات مفهوميّة واحدة.

الاستعارة تمثّل لمجال على أساس مجال آخر

ينطلق لايكوف من أمثلة جارية في الإنجليزيّة اليوميّة ولها قريب منها في العربيّة وبعـــض اللّغـــات الأخرى دون شكّ. ويثبت أنّ المبدأ العامّ المسيّر لها لا يكمن في طبـــيعة الـــنّحو أو المعجـــم وإنّمـــا مكمنه في النّظام المفهوميّ[2] الكامن في أذهان المـــتكلّمين، وقـــوام هـــذا المبدإ أنّنا نتمثّل مجالا ما على أساس مجال آخر بتوسّط علاقات الإسقاط المفهوميّ.

يـــؤخذ الإســـقاط المفهوميّ في مظهره الرّياضيّ- تقنيّا- من حيث هو جملة التّناســـبات الّتي تقوم بين المجالين عنصرا بعنصر أو مكوّنا بمكوّن، يجمل لايكوف

1. Cross-domain mapping(s).
2. Conceptual System (CS).

ذلـــك في ما يسمّيه إسقاط المعارف المتعلّقة بالمجال المصدر[1] على المعارف المتعلّقة بالمجال الهدف[2]، فتكون التّناسبات إبستيميّة. ومكمن الاستعارة في تلك التّناسبات. وقـــد يكون المجالان متباعدين مختلفين لا رابط بينهما في التّصوّر المطلق ويمثّل المجال الأوّل مجالا مصدرا والآخر مجالا هدفا.

ولعـــلّ أحسن ما تبين به الأشياء الانطلاق من مثال عينيّ متداول في العربيّة اليوميّة يمكن أن يجري في مقامات مختلفة يجمع بينها موضوع الافتراق بين شخصين كانا مترابطين برابط ما هو الأخوّة مثلا أو الصّداقة أو الحبّ أو الانتماء إلى مذهب فكريّ واحد وما إلى ذلك، وليكن (1):

(1) أخذ كلّ منّا طريقه في الحياة.

تقوم العبارة (1) على تمثّل مجال الحياة في ضوء (على أساس) مجال الرّحلة أو السّفر، وهو ما يصوغه لايكوف في شكل 'الحياةُ رحلةً'، فالمجال المصدر هو الرّحلة (السّفر) والمجال الهدف هو الحياة، وقوام الاستعارة في (1) على الإسقاط ما بينهما على أساس التّناسب:

فنقطة الانطلاق أو مكانه في الرّحلة هي الميلاد في الحياة.

ونقطة الوصول أو نهاية الرّحلة هي الموت.

والمحطّات في المكان هي المحطّات في العمر.

والتّقدّم في المكان هو الزّيادة في عدّة الزّمان بوحداته المعلومة.

وخطّ الرّحلة في المكان هو مدّة الحياة بأطوارها.

ومصاعب الطّريق في الرّحلة هي مشاكل الحياة وعقباتها.

والمسافر في الرّحلة هو الحيّ أو الذّات الحيّة.

ومفتـــرق الطّرق في الرّحلة هو تغيّر في حال الحيّ موقفا أو عملا أو توجّها فكريّا وما إلى ذلك.

والمركبة من دابّة أو آلة هي الجسد في الحياة.

وغاية التّنقّل في الرّحلة هي غاية العيش في الحياة ومعناها.

وجمّاع هذه التّناسبات كون الحياة رحلةً. وهي ما به نتمكّن من تصوّر الحياة سفرا أو رحلة أي ما به نتعقّل الحياة بما نعرفه عن السّفر. فالاستعارة في (1) تحقّق

---

1 Source domain.

2 Target domain.

لغـــويّ لمبدإ عامّ بمقتضاه نتمثّل مفهوما في ضوء مفهوم آخر، هو الحياة رحلةً، وفي هـــذا الإطار نتمثّل الشّخصين، أخوين كانا أو صديقين أو متحابّين...، رفيقين في الـــرّحلة قطعا مترافقين جزءا من الطّريق ثمّ بلغا مفترقا فيها فأخذ كلّ واحد منهما مسلكا متنائيا عن الآخر.

ويـــذهب لايكـــوف (1992) إلى أنّ توسّع الاستعارة السّائرة[1] في عبارات اســـتعاريّة جديدة حادثة يسهل فهمها فهما فوريّا – أو ما لا يستوقفك المجاز فيها علـــى حـــدّ عبارة البلاغيّين العرب– إنّما يعود إلى كون الإسقاط ما بين المجالات متأصّـــلا في نظامنا المفهوميّ جزءا قارّا ثابتا منه. وهو ما به يمكن تفسير الكثير من العبارات الاستعاريّة المتّصلة بتمثّل الحياة رحلةً كما ورد في (1) من قبيل: "أنت في بدايـــة الطّـــريق فكيف بك في منتصفه؟" في السّياقات المعلومة، و"مسيرة فنّيّة" أو "مسيرة مهنيّة طويلة" أو "مسيرة أدبيّة" وما إلى ذلك.

الإسقاط الاستعاريّ: المظاهر والمبادئ الأساسيّة

نجمل ما تعلّق بالإسقاط من حيث مفهومه ومبادئه وأنواعه في عدد من النّقاط هـــي: الإسقاط قوالب من التّناسبات الأنطولوجيّة، وهو كائن ما بين المستويات العليا في المقولات، يحكمه مبدأ الثّبات الّذي ينصّ على أنّ الإسقاط ما بين المجالات يحـــافظ على الأبعاد الطّوبولوجيّة وعلى أنّ الغلبة للمجال الهدف. والإسقاط مفرد ومتعدّد تزامنيّ محكوم بسلّميّات الإرث.

الإسقاط قوالب من التّناسبات الأنطولوجيّة

يـــتّخذ لايكوف من توسّع الاستعارة ويسر الاهتداء إلى المعنى في الجديد الحـــادث منها أساسا آخر يدعم ما يذهب إليه من تأصّل الإسقاط المفهوميّ ما بـــين المجـــالات في الفكر، فهي قوالب قارّة من التّناسب الأنطولوجيّ[2] ما بين المجالات، وهذه القوالب قد تنطبق على مجال مصدر لبنية معرفيّة ما أو على مجال مـــصدر لـــوحدة معجمـــيّة مـــا فتحدث الاستعارة وقد لا تنطبق فلا تحدث الاستعارة.

---

1 Novel extensions of conventional metaphors.

2 Fixed patterns of ontological correspondences.

فالإســقاط عــنده ليس عمليّات أو خوارزمات تنطبق انطباقا ميكانيكيّا بأن تــتّخذ المجال المصدر دخْلا تنتج منه المجال الهدف في الخرْج. وهذا على خلاف ما هــو معهــود في الرّياضيّات وفيها يعتبر الإسقاط تناسبات ثابتة قارّة جامدة، وفي الحاســوبيّة وعلم النّفس وعلوم العرفنة يُعتبر الإسقاط عمليّات خوارزميّة تجري في الــزّمن الحقيقــيّ، وفي ضوء هذا تعتبر الإسقاطات الاستعاريّة -خطأ- عمليّات خوارزمــيّة تتابعــيّة جارية في الزّمن الحقيقيّ يكون الدّخل في الواحد منها المعنى الحرفيّ. وإذ تتعطّل القراءة الحرفيّة يكون الانتقال إلى المعنى الاستعاريّ.

الإسقاط كائن ما بين المستويات العليا من المقولات

يسطّر لايكوف مبدأ عامّا يحكم الإسقاط:

تُستعمل المقولات العليا في الإسقاط المفهوميّ ما بين المجالات.

ذلك أنّ مستوى المقولة الأعلى يتضمّن المعلومات العامّة الشّاملة بوجه يضمن إسقاطا أكثر ثراء من المجال المصدر على المجال الهدف بما يتضمّنه من معلومات عن المــستويات الأساسيّة أو الدّنيا من المقولة. ففي (1) يجري الإسقاط ما بين "رحلة" و"حياة" بوجه تكون به الحياة طريقا يسلكها الحيّ كما يسلكها المسافر أو المرتحل. وتمثّل 'طريق' مستوى أعلى من المقولة إذ تتضمّن عددا من المقولات الأساسيّة من قبــيل درب ومسلك وشِعب ومسرب ومعبر وما إليها، وبجريان الإسقاط ما بين المجــالين في المــستوى المَقــوليّ الأعلى فإنّه يسمح بتوسيع الإسقاط ما بين الحياة والــرّحلة ليشمل 'الحياة درب' في 'دروب الحياة' و'الحياة شِعب' في 'شعاب الحياة' و'الحياة معبر' ما بين طورين في الوجود أو العدم في 'الحياة عبور' وما إلى ذلك.

مبدأ الثّبات: الإسقاط يحافظ على الأبعاد الطّوبولوجيّة

عمليّة الإسقاط محكومة بمبدإ الثّبات[1] وبقيد الغلبة للمجال الهدف:

يقــوم الإســقاط ما بين المجالات على التّناسب ما بين المجال المصدر والمجال الهــدف، والــشّرط في قــيام التّناسب الحفاظ على الأبعاد الطّوبولوجيّة في المجال المــصدر، وهي الأبعاد الكبرى الأساسيّة الّتي ينبني عليها ذلك المجال وتكوّن بنيته الخطاطيّه:

---

1 Invariance principle.

فالأســـاس في الاســـتعارة إسقاط البنية الخطاطيّة في المجال المصدر على البنية الخطاطـــيّة في المجال الهدف بوجه يضمن التّناسب بين مكوّنات الخطاطتين واحدا بـــواحد ويحافظ على التّناسبات الثّابتة بينهما. ويوجّه هذا الإسقاطَ شرط الحفاظ علـــى البنية الخطاطيّة في المجال الهدف وذلك بعدم تغييرها أو تحويرها أو تبديلها. فخطاطة المجال الهدف تمثّل قيدا يحدّ من إمكانيّات الإسقاط فلا يكون آليّا عشوائيّا، فمـــبدأ الثّـــبات بشرط الحفاظ على خطاطة المجال الهدف، تقييد لعمليّة الإسقاط. فالغلبة في الإسقاط تكون دائما للمجال الهدف (على حدّ عبارة لايكوف، 1992).

ففـــي (1) مثلا يكون الإسقاط ما بين المجال المصدر (الرّحلة) والمجال الهدف (الحياة) موجّها أو مقيّدا بمبدإ الثّبات من حيث قيام التّناسب بين البنية الخطاطيّة في كلّ منهما دون المسّ بالبنية الخطاطيّة في مجال الحياة:

فالتّناسب قائم ما بين بداية الحياة وانطلاق الرّحلة وما بين نهاية الحياة (الموت) ونهاية الرّحلة (الوصول) وما إلى ذلك كما ورد قبل هذا. ولكنّ مجال الحياة يحافظ علـــى خصوصيّاته الخطاطيّة فلا تطمسها خصوصيّات الرّحلة، من ذلك ما يكون فـــيها من سعادة أو شقاء فلا يقوم التّناسب ما بين الرّحلة والحياة في السّعادة مثلا فيمتنع قولنا 'رحلة سعيدة' قياسا على 'حياة سعيدة'، وما إلى ذلك.

ومن النّماذج الكثيرة ما نجده في مجال العطاء مطلقا ومنه:

(2) أ. أعطى زيد عمرا دينارا وكتابا وقلما.

ب. أعطى زيد عمرا ضربة طرحته أرضا.

ج. أعطى زيد عمرا نصيحة خرج بها من المشكل.

د. أعطى زيد عمرا فكرة خاطئة فأخذها كما هي.

يقوم العطاء على مصدر العطاء وهدفه وموضوعٍ هو الشّيء المادّيّ المنتقل ما بيـــنهما والّذي بموجبه يفقده المصدر (المعطي) ويكتسبه الهدف (الآخذ) فيحصل عنده بعد أن لم يكن أو ينضاف إلى ما عنده. تلك هي البنية الخطاطيّة لمجال العطاء.

يجري ذلك في عبارات لا قيام فيها لإسقاط ما بين مجالين في سياقات معهودة مـــن قبـــيل إعطاء المال أو الأشياء من المنقولات، وما إليها كما في (2. أ). ولنا مجـــالات أخرى عديدة تجري فيها عبارات استعاريّة أساسها إسقاطٌ ما بين مجالين مصدرٍ (العطاء) وهدفٍ هو الضّرب أو النّصح مثلا. وفيهما كان مبدأ الثّبات قائما والغلـــبة للمجال الهدف، حيث يستقيم العطاء دون أن يفقد المعطي ما أعطى كما

في (2. ج) و(2. د). فالفكـــرة أو النّصيحة تعطى ويكتسبها المعطى إليه دون أن يفقدها صاحبها، وهذا من خصوصيّات مجال النّصح أو التّفكير وهي ممّا تكون له الغلبة في الإسقاط، فتكون المحافظة عليه ويحدّ في آن من الإسقاط.

وكــذا الأمــر في (2. ب) وإن تغيّر المجال الهدف (الضّرب) وهو وجه من وجـــوه تمثّل **الأعمال على أنّها انتقال للأثر**[1] أو نقلة فيه بين مصدر هو الضّارب وهــدف متقبّل هو المضروب، ويستقيم التّناسب ما بين المجالين محافظا على الأبعاد الطّوبولوجـيّة لمجـــال العطاء وذلك دون أن يخرق خصوصيّات الضّرب، فالضّرب لــيس شيئا كان الضّارب يملكه فيفقده إذا ما أعطاه ولا هو ينضاف إلى المضروب فيكتسبه، ولذلك يمتنع قولنا "*أعطى زيد عمرا ضربة فأخذها".

الإسقاط التّزامنيّ

الإســقاط الاستعاريّ تناسبات ثابتة يمكن أن تنشط، وبناء على ذلك لا تعتبر – عــند لايكوف– البنية الاستعاريّة وليدة تحويل آن–قوليّ لمعنى حرفيّ إلى معنى مجازيّ. ولا يــستقيم عنده تحليل الاستعارة المعهود على أنّ القراءة على أساس الدّلالة الحرفيّة هـــي ما يبدر ثمّ إذ تتعطّل يكون اللّجوء إلى قراءة مجازيّة استعاريّة. ويمكن أن تتضمّن العبارة الاستعاريّة الواحدة قسمين يجري فيهما إسقاطان استعاريّان مختلفان متزامنان[2].

ويكون الإسقاط الواحد منهما جزئيّا يقتطع من المجال الهدف قسما، كما في (3):

(3) في الأسبوع القادم

استعمل حرف الجرّ 'في' والاسم 'القادم' استعمالا استعاريّا إذ يجري باستعمال 'في' تمثّل الزّمن على أنّه منطقة مكانيّة ذات امتداد وذات حدود، ويجري باستعمال 'القادم' تمثّل الزّمن على أنّه حركة الأشياء.

ولكنّ الإسقاط في كلّ منهما كان جزئيّا: إذ الإسقاط الثّاني يصوّر الأسبوع علـــى أنّه كتلة كاملة متحرّكة في اتّجاه المتكلّم (أو الذّات المتعقّلة) ولذلك كانت قـــدوما أو إقبالا أمّا الإسقاط الأوّل فيصوّر كتلة الأسبوع على أنّها منطقة محدودة ذات امـــتداد داخلـــيّ يتّسع ليشمل الأشياء. فالإسقاط الاستعاريّ يمكن أن يتعدّد على أساس التّزامن بين أقسامه وعلى أساس التّرابط بينها.

---

1 ACTIONS ARE TRANSFERS (Lakoff 1992).

2 Simultaneous mapping.

سلّميّة الإرث

تتعدّد الإسقاطات في العبارات الاستعاريّة وتتحدّد على أساس توسّع بعضها مــن بعــض فتنــتظمها سلّميّة ترث بمقتضاها الإسقاطات الدّنيا في السّلّميّة أبنيةَ الإسقاطات العليا فيها، يطلق عليها لايكوف (1992) "سلّميّة الإرث"[1].

وهـــذه السّلّميّة عند لايكوف ثلاثيّة المستويات: يرد في أعلاها الاستعارات ذات الانتشار الواسع من حيث العصور والميادين والثّقافات. ويرد في أدناها أقلّها انتشارا ويرد في ما بينهما استعارات بين بين.

فعـــند الحديث مثلا عن العراقيل الّتي يجدها الواحد في مهنته إنّما يتمثّل المهنة على أنّها رحلة، وإذ كانت المهنة مظهرا أساسيّا من مظاهر الحياة فإنّها ترث كونها رحلـــة من تناسبات استعاريّة أعلى منها تُتمثّل فيها الحياة الّتي تنشد غاية على أنّها رحلة، وإذ كانت الحياة رحلةً بأحداثها وتغيّراتها وأمكنتها وأطوارها وغاياتها فإنّها تـــرث جميع ذلك من تناسبات استعاريّة كائنة في مستوى أعلى منها هو استعارة البنية الحدثيّة[2] مطلقا كما يلي عرضه:

تنتظم هذه الاستعارات سلّميّة ثلاثيّة المستويات: ترث الاستعارة من المستوى الـــثّالث بنية الاستعارة من المستوى الثّاني، وهذه ترث بدورها بنية الاستعارة من المستوى الأوّل:

المستوى 1: **استعارة البنية الحدثيّة**

المستوى 2: **الحياة رحلة**

المستوى 3: **الحبّ رحلة، المهنة رحلة.**

تقوم استعارة البنية الحدثيّة على خطاطة من التّناسبات الثّابتة قوامها الإسقاط ما بين مجال الفضاء (المكان) ومجال الأحداث (الأعمال والحركات). فالمجال الهدف هو الأحداث والمجال المصدر هو الفضاء (المكان) والتّناسبات كما يلي:

الأحوال مواضع (مواقع محدودة في الفضاء).

والتّغيّرات حركات (إلى داخل المواقع المحدودة أو إلى خارجها)

والأسباب قوى.

والأعمال حركات ذاتيّة (أي تأتيها الذّات بقوّة ذاتيّة).

---

1 Inheritance hierarchy.

2 Event structure metaphor.

والغايات وُجهات.

والوسائل مسالك إلى الوجهات.

والصّعوبات عراقيل للحركة.

والتّقدّم المرتقب جدول سفر.

وجدول السّفر مسافر وهميّ يبلغ وجهة محدّدة سلفا في زمن مقدّر سلفا.

والأحداث الخارجيّة أشياء كبيرة متحرّكة

والأنشطة المديدة الّتي تنشد هدفا ما رحَلات.

وفي تصوّرنا للحياة قائمةً على هدف منشود، إذ لا معنى لحياة دون غاية، مثّل ذلـــك إسقاطا استعاريّا ما بين مجال الحياة ومجال البنية الحدثيّة. فالحياة حدث وهي حـــدث مـــن قبيل الرّحلة على أساس أنّها تنشد غاية والغاية وُجهة فمن يريد أن يكون طبيبا - مثلا- اتّجه إلى ذلك - عقلا- اتّجاه الحركة في المكان إلى نقطة فيه تنتهـــي عندها. فالغايات في الحياة هي وجهات المسافر في الرّحلة، ووسائل تحقيق تلك الغايات هي مسالك المسافر في الرّحلة والخيار ما بين وسيلة وأخرى في تحقيق الغاية هي خيار المسافر ما بين مسلك وآخر للوصول في الرّحلة. والتّدرّج في أطوار الحياة - ولتكن مراحل الدّراسة مثلا- هي جدول السّفر وترتيبه في الإنجاز يلتزم به المسافر ويحترمه.

فاستعارة الحياة سفرا ترث كلّ الأبعاد الطّوبولوجيّة من استعارة البنية الحدثيّة. فالمجال الهدف هو الحياة والمجال المصدر هو الفضاء والشّخص الحيّ مسافر. وترث هذه الاستعارة من استعارة البنية الحدثيّة بما فيها من أحداث هي الأحداث في الحياة ومن غايات هي غايات الحياة، ويتبرّر عند لايكوف بهذا الإرث عدد من العبارات الاستعاريّة من قبيل:

- كانت بداية حياته صعبة.
- لا وجهة له في الحياة.
- وصلت إلى حيث أردت في حياتي.
- أنا في مفترق طرق في الحياة.
- هو لا يبقي على أحد يعترضه في حياته.

وإذ تتّسع الحياة من حيث أحداثها لما يطول منها ويرتبط ببداية ونهاية وغاية وتغيّـــر مـــن قبيل تجارب الحبّ والصّداقة والمهنة وما إليها ينشأ مستوى ثالث من

الإسقاط الاستعاريّ يرث بمقتضاه بنيةَ الاستعارة **الحياة رحلة** كما يجري في استعارة **الحبّ رحلة**:

ففي علاقة الحبّ يمثّل المتحابّان المسافرَين، والعلاقةُ وسيلةَ السّفر أو مركبته، واجتماع المحبّين بالعلاقة ركوبَ الوسيلة معا، وسعيُهما إلى نفس الأهداف من علاقتهما سعيا إلى غايات الرّحلة، وصعوباتُ العلاقة عقبات السّفر. وكذلك استعارة **المهنة رحلة**.

ويمثّل مبدأ الإرث، منتظما في سلّميّته، مفتاحا في تفسير توسّع الاستعارات وتكاثرها بعضها من بعض. ودرجة الانتشار تناسب موقع الاستعارة في سلّميّة الإرث: فما كان في أعلى المستويات كان أوسعها انتشارا وما كان في أدناها كان أقلّها انتشارا. وبناء على هذا يذهب لايكوف إلى أنّ استعارة البنية الحدثيّة قد تكون كونيّة لكنّ استعارة الحياة رحلة أو الحبّ رحلة أو المهنة رحلة فمحدودة بالثّقافة.

الإسقاط الاستعاريّ في الزّمن

من الثّابت- منذ القدّيس أوغسطين- أنّ الزّمن يُتمثّل على أساس الفضاء، وهو أمر ثابت جار في اللّغات وإن اهتمّ لايكوف باللّغة الإنجليزيّة دون غيرها. ويفسّر لايكوف ذلك فيجعل تمثّل الزّمن قائما- أنطولوجيّا- على أساس الأشياء بما فيها الذّوات والمواضع من جهة والحركة من جهة أخرى. وتمثّل الزّمن على هذه الشّاكلة ذو أرضيّة بيولوجيّة عنده: فللبشر الحواسّ الّتي تمكّنه من إدراك الحركة والذّوات والمواضع، وليس له حاسّة خاصّة بإدراك الزّمن، ولذلك يتمثّل الزّمن على أنّه حركة وذوات ومواضع (لايكوف 1992، 13).

ويقوم تمثّل الزّمن على الإسقاط ما بين المجالات فأساس تمثّله استعاريّ. فالأزمنة أشياء ومرور الزّمن حركة. والزّمن الحاضر ما كان في الموضع الّذي فيه الذّات المدركة وأزمنة المستقبل ما كان أمامها رأسا والزّمن الماضي ما كان وراءها. والحركة تكون من شيء إزاء شيء آخر ثابت، فيكون الشّيء الثّابت المركز الإشاريّ[1] (أو المَعْلم) الّذي منه تتحدّد الحركة. وينجرّ عن تمثّل الحركة في خطّيّتها وأحاديّة بُعدِها، تمثّل الزّمن خطّيّا مسترسلا أحاديّ البعد. فيكون الزّمان ذا اتّجاه

1 Deictic center.

هو اتّجاه الحركة فيكون له رأس وخلف وأمام. والاتّجاه قائم على التّعاقب فيكون الزّمن اللاّحق مستقبلا بالقياس إلى الزّمن الّذي يسبقه. وإذ كان الزّمن حركة كان له امتداد وأمكن قيسه تماما مثل منطقة في الفضاء (المكان) فيكون له طول واتّساع ومـــا يصحّ على المكان من الصّفات. والمهمّ من جميع ما ورد موجزا مكتنـــزا عن لايكـــوف يقوم على إسقاط استعاريّ ما بين مجالين في تمثّل الزّمن كما يتجلّى من كثرة النّماذج في العربيّة وسائر اللّغات: سيأتي زمن تتحرّر فيه فلسطين، تأخّر فلان عن الموعد، مرّ الوقت بسرعة، الوقت طاير بينا، الوقت يجري، مضى الصّيف ولحق به الخريف، يقترب الامتحان شيئا فشيئا، أريد فسحة من الزّمن، الوقت ضيّق، أنا في حاجة إلى مزيد من الوقت، زدني قليلا من الوقت، ها قد جاء يوم الجمعة، لقد وصـــلنا نهايـــة الـــشّهر، سهوت عن الوقت، لم أشعر بالوقت، تقدّمت به السنّ، جرّحته أنياب الزّمن، إلخ.

الاستعارة المفهوميّة القائمة على إسقاط الصّورة

مـــن الاستعارات (الأمثال والعبارات الجاهزة) ما يقوم على الإسقاط ما بين صورة ذهنيّة[1] وصورة أخرى، وهي مختلفة عن الاستعارة القائمة على الإسقاط ما بين مجالين مفهوميّين من حيث الإجمال والتّفصيل. فالإسقاط الكائن ما بين مجالين إســـقاط مدقّق مفصّل فيه تناسب طوبولوجيّ كما سبق بيانه، وهو إسقاط مجمل يكـــون فيه التّناسب ما بين صورة وصورة ولذلك يطلق عليها لايكوف استعارة 'اللّقطة الواحدة' أو 'أحاديّة اللّقطة'[2].

ويقيم الإسقاط التّناسبَ ما بين الصّورتين، الصّورة المصدر والصّورة الهدف، على أساس مبدإ الثّبات بأن تتقارن المكوّنات الخطاطيّة في كلّ من الصّورتين واحدا بواحد كلاّ في مستواه، فيناسب العامُّ العامَّ والجزءُ الجزءَ وما إلى ذلك. يجري ذلك في العبارات الاستعاريّة من قبيل الأمثال والعبارات الجاهزة وفي الاستعارة التّمثيليّة، ولعلّه من المفيد أن نذكّر بأنّ لايكوف يرى في الاستعارة مطلقا عمليّة آليّة هي من صـــميم الفكـــر جارية في الكلام العاديّ اليوميّ جريانها في الكلام الفنّيّ من قبيل الـــشّعر ومـــا إلـــيه. وفي هذا اختلاف أساسيّ- في ما نرى- بينه وبين التّحليل

1 Mental image.

2 One-shot metaphor(s).

الكلاسيكيّ القائم على المشابهة ضرورة ووجود القرينة المانعة من فهم المعنى الحقيقيّ. فالتّحليل الكلاسيكيّ قائم بذاته مستقيم بأسسه (المشابهة ضرورة والقرينة المانعة والقصد إلى التّخييل) وتحليل لايكوف موافق له في عمليّة التّخييل ولكنّه متجاوز إيّاه إلى التّصوّر والتّمثّل مطلقا، رافض لعلاقة المشابهة شرطا ضروريّا، جاعل من الإسقاط أمرا مغروسا في الذّهن به يتمثّل الأشياء الواحد منها على أساس شيء آخر وليس من الضّروريّ أن يكون بينهما تشابه. ومن نماذج ذلك:

(4) خانها ذراعها قالت سحروني.

يقترن هذا المثل بخطاطة معرفيّة عامّة تشترك فيها مجموعة بشريّة في منطقة أو جهة أو بلد – في حدود ما نعلم- هو تونس، وقد يكون له ما يقاربه في سائر البلدان العربيّة أو غيرها.

أساس تلك الخطاطة صورة للمرأة المثاليّة من حيث نشاطها وحذقها وكدّها أمّا كانت أو أختا أو بنتا وربّة بيت في المطلق، ولكن يوجد من النّساء من تشذّ عن ذلك فلا يكون منها مهارة أو حذق لسبب من الأسباب فلا تلوم نفسها لذلك وتتعلّل بتعرّضها لفعل السّحر الّذي يعطّل الحذق أو المهارة فيها. وهذا المثل يجري في سياقات عديدة الجامع بينها التّعلّل بسبب واه لتبرير الفشل، وهذا جزء من المعرفة الجماعيّة. فالاستعارة بناءً وإجراءً وفهما وتأويلا إنّما هي متجذّرة في التّجربة الحسّيّة والاجتماعيّة الثّقافيّة. ومن هذه السّياقات أن تقال تعقيبا على مدرّب فريق من فرق كرة القدم-مثلا- يعلّل خسارة فريقه بانحياز الحكم أو بعوامل الرّيح أو بخوض المباراة على أرضيّة مهترئة العشب وما إلى ذلك، ولا يقرّ بضعف اللاّعبين أو بغياب اللّحمة بينهم أو بنقص في التّدرّب وما إلى ذلك.

يقوم بالإسقاط تناسب ما بين صورتين: صورة مصدر هي صورة المرأة المتعلّلة بالسّحر وصورة هدف هي صورة المدرّب المتعلّل بانحياز الحكم. وهذا التّناسب محكوم بمبدإ الثّبات تتقارن به المكوّنات الخطاطيّة في الصّورتين واحدا بواحد على مستويات: فتناسب المرأة المدرّبَ، وخيبتها خسارة المقابلة، والسّحر انحيازَ الحكم، وتذرّعها بالسّحر تذرّع المدرّب بانحياز الحكم.

وإذ تكون الغلبة للمجال الهدف وهي الصّورة الهدف هنا، يكون الفشل أوضح فيه إذ هو محدّد معيّن بخسارة المقابلة، والأمر على خلاف ذلك في الصّورة المصدر إذ كان مطلقا هو مطلق الفشل (خيانة الذّراع). وجميع هذه التّناسبات

خطاطيّة إذ لا شبه - في المعنى الأساسيّ للشّبه- بين المرأة والمدرّب أو بين اللاّعبين والمرأة أو بين أعمال البيت والمباراة أو بين السّحر والحياز الحكم.

وهـــذا التّناسب الخطاطيّ هو ما يجعل العبارة (4) تجري في سياقات عديدة أخـــرى قـــد تكون تعليل الطّالب أو التّلميذ لرسوبه بشراسة الأستاذ أو بضعف مـــستوى الأستاذ وقد تكون تعليل فشل مشروع اقتصاديّ بمؤامرة مدبّرة وما إلى ذلـــك. وهذا التّناسب الخطاطيّ هو ما يجعل من إجراء الاستعارة وفهمها في جميع سياقاتها الممكنة سريعين آليّين بوجه يكون به تمثّل صورة على أساس صورة أخرى. وقـــوام هذه الخطاطة العامّة هو وجود شخص ذي قدرات محدودة، يخوض تجربة يفـــشل فيها فيلقي باللاّئمة على عوامل أخرى لا صلة لها بقدراته المحدودة وكان عليه أن يلوم نفسه ليس غير. وكذا الاستعارة التّمثيليّة - كما يسمّيها البلاغيّون- مطلقا في ما يذهب إليه لايكوف.

ويمكـــن توســيع هذا التّناول ليشمل النّصوص الحكميّة والقَصَص المثَليّ- في كلـــيلة ودمـــنة والخـــرافات والأســـاطير مثلا- وما إليها، وإن توسّعت في ذلك التّناسبات لتزداد تجريدا وخطاطيّة (ولنا عودة في أعمال قادمة).

مركزيّة الإسقاط الاستعاريّ

يـــسطّر لايكـــوف أنّ التّمثّل الاستعاريّ شامل للذّهن متجذّر في التّجربة الحـــسّيّة والاجتماعيّة الثّقافيّة وهو كذلك قائم في المفاهيم والنّظم الفكريّة من ذلـــك أنّـــه يجـــري في النّحو جهازا نظريّا واصفا للبنية اللّغويّة. فجميع المعاني الـــنّحويّة (الإسناد، العمل، الإضافة، المعيّة...) ذات أساس استعاريّ يقوم على الإسقاط ما بين المجالات، وذاك ما به كانت 'الاستعارة مركز النّحو" (لايكوف 1992).

كمـــا أنّ عمليّة المقولة نفسها قائمة عليه حيث تتصوّر المقولة حاوية وعناصر المقـــولة مـــادّة تحويها الحاوية فما كان في الحاوية كان من المقولة وما كان خارج الحاوية لا يعتبر منتميا إلى المقولة. ويتمّ الإسقاط بناء على القياس:

إذا كانت الحاوية أ تتضمّن الحاوية ب،

وإذا كانت الحاوية ب تتضمّن الحاوية ج،

فإنّ الحاوية أ تتضمّن الحاوية ج.

وعلـــى ذلك ينقاس: إذا كان جميع النّاس مائتين، وكان سقراط إنسانا فإنّ سقراط مائت.

ومن مظاهر تجذّر الاستعارة في التّجربة الحسّيّة والاجتماعيّة الثّقافيّة أنّها أساس في نـــشأة الأحـــلام وفي تفسيرها، إذ تمثّل الأحلام تراكما في النّظام المفهوميّ-على حدّ عبارة لايكوف (1992 ص 36)- لاستعارات مفهوميّة ضاربة في القدم، وما تفسيرها إلاّ نوع من إجراء التّناسب بين مجالين أو صورتين. فمن يرى في منامه كلابا أو ذئابا تنهشه، تفسَّر رؤياه على أنّ له أعداء يشتمونه في الواقع وعليه الاحتياط. وأساس ذلك تناسب ما بين خطاطتين لمجالين مجال الحياة صراعا ومجال الشّتيمة افتراسا.

ومن نماذج الإسقاط الاستعاريّ ما يتواتر في الاستعمال اليوميّ يمكن أن نورد ما يلي:

- الزّيادة صعود/النّقصان نـــزول:

التّرقّي في سلّم المعرفة.

نـــزول المستوى المعرفيّ.

ارتفاع الدّينار/انخفاض الدّينار.

ومن لا يحبّ صعود الجبال يعش أبد الدّهر بين الحفر (الشّابّي).

- المعرفة رؤية:

نعَم، أرى ما تقول.

كلامك واضح.

هذا الشّعر ضبابيّ.

-الغضب سائل ساخن في وعاء:

رأسي يغلي مثل المرجل (راسي يغلي كيف البرمة)،

رأسي يمور بطفولة شرّيرة. (الطّيّب صالح).

-الحياة رحلة، الموت رحلة:

الرّحيل إلى الآخرة.

رحلة الحياة.

رحلة العمر. إلخ.

-المرض صراع:

غلبه المرض.

يصارع المرض.
تغلّب على مرضه.
قاوم المرض.
الحملة للقضاء على الشّلل.
باغته المرض.
هجم عليه المرض.
-الزّمن حركة:
دارت الأيّام.
مرّت الأعوام.
عادت الأيّام.
تقدّمت به السّنّ.
تثاقلت السّاعة.
-الرّؤية ملامسة:
تسمّرت عيناه عليها.
جال ببصره.
التقت عيناهما.
غمرتها نظراته بدفء حنون.
-المؤسّسات أشخاص:
يفكّر البيت الأبيض في الخروج من العراق.
أبدى الكرملين تعاطفا محدودا.
الدّول الصّديقة والدّول العدوّة.
الدّول الفقيرة والدّول الغنيّة.
الدّول السّائرة في طريق النّموّ.
-التّفكير حركة:
جال بنا المحاضر بعيدا.
هذه جولة في التّاريخ ممتعة.
أعود الآن إلى الفكرة الأولى.
وأمرّ الآن إلى الخاتمة.

-النّظريّة بناء:

تقوم نظريّة النّسبيّة على أسس متينة.

هذه فرضيّة منهارة من أساسها.

بناء النّظريّة عمل شاقّ.

لم تصمد النّظريّة أمام الهجمات.

الأفكار الهدّامة.

عليك بتحصين فرضيّتك.

-الجدال حرب:

مشادّة كلاميّة.

حرب إعلاميّة.

مناوشة كلاميّة.

تهجّم لفظيّ.

كانت الغلبة للسّيرافيّ فانهزم متّى.

خلاصة في الاستعارة المفهوميّة: طبيعتها وبنيتها وتجلّياتها

تمثّل الاستعارة الأداة الأساسيّة الّتي بها نتمثّل المفاهيم المجرّدة وبها نفكّر، وهي لذلك متجذّرة في الذّهن وما جريانها في اللّغة إلاّ وجه من وجوه تحقّقها، فالاستعارة مفهوميّة بالأساس وليست لغويّة. والنّظام المفهوميّ استعاريّ وغير استعاريّ، والاستعاريّ منه متجذّر في القسم غير الاستعاريّ ذلك أنّنا نتمثّل المجرّدات على أساس المحسوسات.

تقوم الاستعارة من حيث بنيتها على الإسقاط ما بين المجالات، وهو إسقاط جزئيّ (انظر الإسقاط التّزامنيّ) غير تناظريّ (غلبة المجال الهدف). والإسقاط جملة من التّناسبات الثّابتة ما بين الوحدات في المجال المصدر والوحدات في المجال الهدف. تحدث الاستعارة وما يصاحبها من استدلال[1] بإنشاط تلك التّناسبات الّتي يكون بها انعكاس قوالب المجال المصدر على قوالب المجال الهدف، ويخضع الإسقاط الاستعاريّ لمبدإ الثّبات. والإسقاط نوعان بحسب المصدر والهدف: إسقاط

1 Inference.

مفهومـــيّ[1] يجري ما بين مفهومين أو مجالين مفهوميّين وإسقاط الصّورة[2] يجري ما بـــين صـــورتين. ولا اعتباط في الإسقاط وإنّما هو عمليّة متجذّرة في الجسد وفي المعـــرفة والتّجـــربة، ويتضمّن النّظام المفهوميّ الآلاف من الإسقاطات الاستعاريّة العاديّة منتظمة في أبنية مترابطة تمثّل بها فيه نظاما فرعيّا.

ويـــشتغل نظـــام الاســـتعارة المفهوميّة في جزء كبير منه اشتغال سائر النّظم العـــرفنيّة من قبيل اللّغة وما إليها بوجه آليّ غير واع لا جهد فيه. وهو نظام عامل علـــى الدّوام في أبسط مظاهر النّشاط اللّغويّ. ولنظام الاستعارة موقع مركزيّ في تمثّلنا للتّجربة وفي كلّ ما نجريه من عمليّات على ذلك التّمثّل.

وقوام الاستعارة على التّناسبات ما بين مقاطع التّجربة أساسا وليس على المشابهة. فالاستعارة تعمّ الفكر مطلقا والنّظام اللّغويّ بالاستتباع بما في ذلك المعجم والنّحو، ولها مظاهـــر كونـــيّة واســـعة الانتشار ما بين البشر ومظاهر خصوصيّة ثقافيّة محلّيّة، وما الاستعارة الشّعريّة إلاّ امتداد للنّظام الاستعاريّ الّذي يقود الفكر في الحياة اليوميّة.

تـــتلخّص فكرة لايكوف في ما يمكن أن نطلق عليه 'مركزيّة الاستعارة' قياسا على مركزيّة الإعراب وما شاكلها في العديد من النّظريّات اللّسانيّة عامّة والتّوليديّة خاصّـــة، ومهما يكن من أمر ذلك فإنّ لايكوف لا يفتأ يشير في مواطن عديدة، وكأنّـــه يـــردّ نقودا سمعها أو تخيّلها إلى أنّ الكثير من الحقائق الّتي سطّر قديم ثابت وكـــلّ مـــا فعل في بحوثه أن أثبته وفسّره بمداخل أخرى، ولكنّه قوّض الكثير من الأفكـــار والمواقـــف الـــسّائدة في مستوى المتداول الشّائع أو في مستوى المجالات الأكاديميّة المتخصّصة. وقوام مركزيّة الاستعارة ليس على المشابهة المطلقة وإنّما على تمثّل الأشياء الواحد منها على أساس الآخر بعدا عرفنيّا آليّا غير واع، ولذلك مثّلت اللّغـــة في جـــريانها بمستوياتها المختلفة اليوميّ العاديّ والأدبيّ منها مجالا لها بل إنّ الاستعارة الشّعريّة امتداد للاستعارة اليوميّة العاديّة.

خاتمة

لعلّ هذه الملاحظات واجدة صدى لها في ما تضمّنه التّراث العربيّ من حدوس في شـــأن المجـــاز عامّة والاستعارة على وجه الخصوص، أو هي صدى له. والأمر

---

1 Conceptual mapping(s).

2 Image-mapping(s).

طبيعيّ فالثّابت أنّ لايكوف ومن سايره يشتغلون في إطار ثقافيّ غربيّ منابته في الفكر اليونانيّ وإن كان من المستبعد أنّه يعرف التّراث العربيّ، وليس ذلك من شرط يقوم عليه ما أقام، ففي التّراث العربيّ بعض بل كثير من معالم الفكر اليونانيّ صريح في ما به نُقل الفكر اليونانيّ من العربيّة وضمنيّ في ما به اشتغلت المنظومات الفكريّة فيه ونسيها الغرب وذكرناها نحن أهلَها. ولنا في هذا خياران أوّلهما التّعريف بهذا التّراث وبمظاهره بنقله بوجه من الوجوه إلى اللّغات الجارية اليوم والإنجليزيّة واحدة من أبرزها، أو بالاندراج في المتطارح من القضايا في المشروع العرفنيّ والمساهمة فيه بعناصر نستمدّ بعضها من اللّغة العربيّة وبعضها من التّراث أو من كليهما. والمهمّ أن لا نكتفي في مناقشة النّظريّات بالاجتزاء وباعتماد ما قيل في سياق ثقافيّ علميّ آخر في زمن آخر.

فمن نماذج ردود الفعل الفكريّة القائمة على الاجتزاء أن يُعتبر ذهاب لايكوف إلى أنّ المجاز يعمّ الكلام اليوميّ ليس بالجديد ودليله قول ابن جنّي[1]:

"اعلم أنّ أكثر اللّغة مع تأمّله مجاز لا حقيقة، وذلك عامّة الأفعال، نحو قام زيد وقعد عمرو وانطلق بشر وجاء الصّيف وانهزم الشّتاء. ألا ترى أنّ الفعل يفاد منه معنى الجنسيّة، فقولك قام زيد معناه كان منه القيام أي هذا الجنس من الفعل، ومعلوم أنّه لم يكن منه جميع القيام، وكيف يكون ذلك وهو جنس والجنس يطبّق جميع الماضي وجميع الحاضر وجميع الآتي الكائنات من كلّ ما وجد منه القيام.... فإذا كان ذلك علمت أنّ قام زيد مجاز لا حقيقة، وإنّما هو على وضع الكلّ موضع البعض للاتّساع والمبالغة وتشبيه القليل بالكثير.' أو قوله[2]: 'وكذلك قولك ضربت عمرا مجاز أيضا... وهو أنّك إنّما ضربت بعضه لا جميعه، ألا تراك تقول: ضربت زيدا ولعلّك إنّما ضربت يده أو إصبعه أو ناحية من نواحي جسده'. وجليّ أنّ ما قصده البلاغيّون العرب من كثرة المجاز بعيد عمّا يقصد إليه لايكوف كما يبين من خلال الشّاهد نموذجا من كثير، ثمّ إنّه لا ينقص في شيء من قيمة لايكوف فهو يتجاوز ذلك التّقرير الظّاهر إلى تفسير ذلك الانتشار بما به يكون المجاز آليّة ذهنيّة في تصوّر الأشياء وتمثّلها بوجه يهمّ جميع المظاهر العرفنيّة.

---

1 الخصائص ج2، 447-448.

2 الخصائص ج2، 450.

ثمّ إنّ لايكوف توسّل بالاستعارة سبيلا إلى **البحث في ماهية الإنسان** (1987 ص XVI). ففـــي بحثه في طبيعة الفكر وفي إثبات كونه مجسدنا مرتبطا بالمحيط وما للكائن الفرد من تفاعل مع المجموعة وعناصر الكون، سعي إلى فهم ما به الإنسان إنسان.

وهـــي مـــسألة قديمة ولعلّ في ما يقترحه بعض من إجابة جوهريّة أساسيّة في تحديـــد ماهية الإنسان. فإذا كان العقل محدّدا أساسيّا من محدّدات الإنسان وفارقا بينه وبين سائر المخلوقات وجب-عند لايكوف- أن نغيّر من فهمنا لمكوّنيه الجسد والفكر. فإذا كان الفكر منقطعا عن الجسد كان الجسد ثانويّا حادثا في تحديد هويّة الإنـــسان، وإذا كـــان الفكر نشاطا ميكانيكيّا على غرار الحواسيب تقلّص شأن الـــذّكاء البشريّ إذ للحواسيب الغلبة في ذلك، وإذا كان العقل مجرّد مرآة تعكس الواقـــع تقلّص شأن ما ليس كذلك من ملكات الفكر وإذا كان الفكر مجرّد قضايا (لها دلالة حرفيّة ليس غير) تقلّص شأن الإبداع والفنّ فيه.

التّصوير الذّهنيّ، الصّورة، الخطاطة وتحقّقاتها

لهذا المبحث في العرفنيّات ثالوث من الموارد متعاظلة منها النّفسيّ ممثّلا في دراسات كوسلين وجماعته في ما تعلّق بالتّصوير الذّهنيّ، ومنها اللّسانيّ ممثّلا في أعمال لايكوف في ما تعلّق بالخطاطة الصّورة والمناويل العرفنيّة المؤمثلة وقضايا المقْولة وفي أعمال لانقاكر كما عرضنا قبل هذا، ومنها الأنتروبولوجيّ ممثّلا في نماذج من أعمال ماك لوري ما اتّصل منها بالخطاطة والأنماط الثّقافيّة، وأبحاث بارتلات ما كان منها في الخطاطة واشتغال الذّاكرة وغير ذلك كثير.

ولئن جرى مفهوم الخطاطة في علم النّفس العرفنيّ أساسا فقد فاض عنه ليعمّ جميع الميادين العرفنيّة بمختلف عمليّاتها. كما مثّل أساسا في قيام عدد من النّظريّات في مظاهر عرفنيّة متعدّدة لعلّ أبرزها نظريّة الاستعارة المفهوميّة (لايكوف وجونسون 1980، لايكوف 1987) ونظريّة المقولة القائمة على المناويل العرفنيّة المؤمثلة (لايكوف 1987) ونظريّة النّموّ العرفنيّ (ماندلار 1992) وفي الإنشائيّة العرفنيّة[1] والنّقد الأدبيّ (لايكوف وتورنر 1989) والنّحو العرفنيّ (لانقاكر 1987) وفي الرّياضيّات (لايكوف ونونياز 2000) وما إلى ذلك.

ومن نماذج اشتغال العرفنة باعتماد الخطاطات ما نعيشه يوميّا دون أن يستوقفنا ذلك أنّ جميع النّاس يتمثّلون العالم الّذي يعيشون فيه باعتماد الخطاطة، ومنه أن يستبق الواحد منّا مظهرا من مظاهر السّلوك قبل حدوثه من قبيل إتمام جملة قبل أن ينطق صاحبها ببقيّتها أو إتمام حركة أو ردّ فعل قبل حدوثه أو استكمال النّاقص من الشّيء وجميع ذلك إنّما قوامه الخطاطة.

الخطاطة: معالم تاريخيّة مفهوميّة

يبدو أنّ أصول هذا المفهوم عائدة إلى بدايات القرن العشرين في أعمال بياجيه وأعمال بارتلات. ويذهب بعض الدّارسين إلى أنّ مفهوم الخطاطة قديم تعود بوادره

1 Cognitive Poetics.

إلى أعمـــال كانط في القرن 18، أساسا لوصف المفاهيم والمقولات الذّهنيّة (فيرنير وكـــابلان[1] 1961، جونسون 1987، سمولنسكي[2] 1992)، ولكنّ أعمال بارتلات تمثّل – في رأي الكثير من الدّارسين– تأسيسا لها وتركيزا.

تمثّل الخطاطة عند كانط أداة تتوسّط ما بين المدركات والمفاهيم. والخطاطات عـــنده أبنـــية تـــصوّريّة والبنية التّصوّريّة هي الملكة الّتي تقوم عليها جميع الأحكام العقلـــيّة، وهي بذلك ملكة مهمّتها التّأليف ما بين مختلف أشكال التّمثيل ما كان منها متّصلا بالمدركات الحسّيّة والصّور والمفاهيم لتكوين المفاهيم.

والخطاطـــة الكانطـــيّة بنية تصويريّة مشتركة بين جميع النّاس دون أن تكون مـــضمونا مفهوميّا أو قضويّا، فيكون للأشياء من قبيل الكرة – مثلا– مظهر عقليّ فكـــريّ مـــن حيث تضمّنها لشكل الدّائرة ومظهر حسّيّ من حيث إدراكها على شـــكلها الحـــسّيّ المعلوم. فتكون الخطاطة تبعا لذلك تمثيلا وسيطا خلوا من كلّ مـــضمون مادّيّ إجرائيّ. والخطاطات قوالب ثابتة تركّب المدركات والمتصوّرات لتكوين تمثيلات ذات معنى (جونسون1987، أوكلي[3] الخطاطات الصّور ص2).

ودرس بارتلات الذّاكرة استحضارا واستعادة، وذلك من خلال دراسة نوعين من النّشاط التّذكّريّ:

الاستحـــضار المتكـــرّر[4] وفيه يطالب الشّخص بعد أن يتمكّن من صورة أو حكاية بإعادة إنتاجها في مناسبات عديدة متباعدة.

والاستحـــضار التّتابعـــيّ[5] يعيد فيه شخص تلك الصّورة أو الحكاية لشخص آخر يتولّى بدوره إعادة إنتاج ما وصله من الأوّل وهكذا دواليك.

وكانـــت النّتيجة في الطّريقتين واحدة إذ لاحظ بارتلات أنّ الاستحضار في كلتـــيهما لم يكن حرفيّا مطابقا للأصل وإنّما كان إعادة بناء له انطلاقا من تذكّر التّفاصيل الكبرى فيه ثمّ ملء ما تبقّى، من موارد ذاكريّة أخرى.

وكـــان بـــارتلات يعـــتقد أنّ المهارات الحركيّة والمهارات اللّغويّة مظهران مترابطان خلافا لما كان معتقدا في مجال الذّاكرة. وقد انطلق بارتلات ممّا أوحى به

---

1 Werner and Kaplan.

2 Smolensky, Paul.

3 Oakley, Todd.

4 Repeated reproduction.

5 Serial reproduction.

إليه صديقه عالم الأعصاب هنري هاد[1] في شأن الخطاطة أداة لتفسير السّلوك عامّة والحـــركات على وجه الخصوص إذ كان يَعتقد أنّ الدّماغ ليس مجرّد خزّان يحفظ حركات مألوفة لا رابط بينها وإنّما افترض وجود هيأة للجسد متبدّلة تنقاس عليها جميع الحركات قبل حدوثها وذاك ما أطلق عليه تسمية الخطاطة الحركيّة[2].

فالخطاطـــة الحـــركيّة -عـــنده- تمثيل لهيأة الجسد في لحظة ما وهي خلاصة التّغيّرات الماضية الّتي قادت إلى تلك الهيأة (بارتلات1932، ميلّر وجونسون-لارد[3] 1976، 150). وجعـــل بارتلات مفهوم الخطاطة الحركيّة يتّسع ليصبح كلّ حال للجـــسد يـــنقاس عليها كلّ حدث حركيّا كان أو إدراكيّا أو رمزيّا. ويكون كلّ حدث محفوظ في الذّاكرة جزءا من خطاطة تعمّ جميع الأحداث اللاّحقة. فمكوّنات الذّاكرة ليست مجرّد آثار مخزونة سكونيّة تنتظر لحظة إنشاط لتعود كما هي وإنّما هـــي محفـــوظة في شكل أجزاء أو أقسام تتضمّنها خطاطات كبرى ويمكن لتلك المكوّنات أن تتبدّل أو تحوّر كلّما كان هناك تذكّر. وفي هذا التّوجّه، أثبت هاريّس وجماعـــته[4] (1988) أنّ الخطاطات الّتي ترتبط بثقافة الفرد يمكن أن تؤثّر في فهمه لحكايـــة تتعلّق بثقافة أخرى، وأنّ نسيان بعض التّفاصيل دافع إلى إنشاء معلومات موافقة لخطاطاتنا الثّقافيّة.

ومـــن مجالات انطباق مفهوم الخطاطة الذّكاء الاصطناعيّ (سمولنسكي 1992) حـــيث تمـــثّل الخطاطـــات أطرا أو خَطيطات أو أبنية مثيلة، هي عبارة عن حزم من المعلومات المنضّدة مسبّقا يكون على أساسها الاستدلال في وضعيّات مألوفة معهودة. ومـــن الأبحـــاث في هذا السّياق ما تعلّق بخطاطات الغرف في المنـــزل: فقد أعطيت مجمـــوعة من الأفراد عددا من السّمات من قبيل (ذو سقف، ذو نافذة، ذو دورة مـــياه، إلخ). ثمّ أقـــيمت على أساس الأجوبة شبكة من التّرابطات تمثّل فيها السّمة الـــواحدة عقدة بوجه يكون به الاستدلال على نوع الغرفة باعتماد خطاطتها. فإذا كـــان المنطلق في الشّبكة عقدة (ذو سقف) وأخرى (ذو فرن) أمكن الوصول في نهايـــة الحوسبة إلى أنّ الغرفة المعنيّة مطبخ، ويكون فيها بالاستتباع ترابطات أخرى من قبيل اشتمالها على أدوات الطّبخ المختلفة وكلّ مرافق المطبخ وتنتفي منها المدفأة

---

1 Henry Head.

2 Motor schemata.

3 Miller and Johnson-Laird.

4 Harris et alee (1988).

أو الحاسوب أو الفراش مثلا وممّا هو جزء من خطاطات سائر الغرف. فكلّ شبكة من التّرابطات المخصوصة في إطار الشّبكة العامّة تمثّل طرازا لغرفة أو خطاطة لها.

الخطاطة العرفنيّة: نشوؤها واشتغالها

الخطاطات أبنية معرفيّة على غاية من العموم والتّجريد تساعد الفرد على بناء الاستدلال المناسب، والخطاطة تساعد الفرد على ملء الفراغ بأن توفّر ما هو مسلّم بــه مــن المعلــومات (المعلومات المسلّمات) فيتيسّر بذلك الاهتداء إلى الأعمال أو الأحداث انطلاقا من معلومات جزئيّة أو مقتضبة. فلو فرضنا أنّ شخصا يقول ما يلي:

ذهب زيد إلى عرس البارحة، وقام صباحا على ألم برأسه

يذهب بنا الظّنّ إلى ربط ألم الرّأس بسببه وهو السّهر بما يصاحبه من الغناء أو الــرّقص ومــا إلى ذلك، وليس من المفروض أن يكون ذلك كذلك، فقد يكون لــسبب آخر لا علاقة له بالرّقص ولا بالغناء كأن يصاب بتخمة أو بوعكة نتيجة تناول الفاسد من الأطعمة أو بنـــزلة نتيجة للبرد أو بشيء آخر، وإنّما يكون ذلك بحكم ما لنا من معارف سابقة تربط ما بين العرس والحال الّتي نصبح عليها، وهذا الــرّبط غير متوفّر في منطوق الجملة السّابقة وإنّما يقوم على أساس خطاطة تنتظم وفقهـــا المعلومات في أذهاننا بطريقة توجّه استدلالنا. فالخطاطة تمثيل عرفنيّ يتضمّن تعميما لمظاهر التّماثل المشتركة ما بين المدركات من النّماذج الجارية في الاستعمال (كمّار وبارلو[1] 2000) وهي إطار من العلاقات المنتظمة تُملأ بتفاصيل مادّيّة عينيّة.

وتجـــري في الأنتـــروبولوجيا العـــرفنيّة مصطلحات بديلة للخطاطة من قبيل خَطيطَة[2] أوسيناريو الأحداث[3] أو المنوال الثّقافيّ[4] وهو أكثرها رواجا، وقريب من هذا المنوال العرفنيّ المؤمثل عند لايكوف.

ويجـــري تعريف المناويل الثّقافيّة على أنّها مناويل في تصوّر العالم والتّجربة، ضـــمنيّة مـــسلّم بها مشتركة بين أفراد مجموعة بشريّة ما توجّه تَمثّلَ أفرادها لذلك العالم وسلوكهم فيه (هولاند وكوِن[5] 1987، 4).

---

1 Kemmer & Barlow.

2 Script(s).

3 Event scenario(s).

4 Cultural model(s).

5 Holland and Quinn.

نشوء الخطاطات

تنشأ الخطاطة عن طريق عمليّات عرفنيّة متداخلة متعدّدة متواصلة في الزّمن. ومنطلقها إدراك الأشياء أو الأحداث في التّجربة فتمثيلها وحفظها في شكل شبكات من المفاهيم والصّور، ثمّ يُنتزع من التّجربة الواحدة المتعدّدة المتكرّرة أو المتواترة مظاهرها القارّة لينشأ ما يشبه الإطار لها في أعمّ مظاهرها. يكون هذا الإطار هيكلا عامّا منضّدا بما فيه من العناصر والعلاقات، ينطبق على ما لا نهاية له من النّماذج أو التّحقّقات. ويظلّ هذا الإطار في حاجة إلى أن يملأ بالتّفاصيل والخصائص المادّيّة (داندراد[1] 1995). ويمكن اختصار ذلك في السّلسلة التّالية:

تحقّقات ونماذج متعدّدة متكرّرة ← إدراك وتمثيل ← تجريد الخطاطة ← تحقّقات ونماذج (ملء الخطاطة).

الصّورة والخطاطة أوالصّورة الخطاطة

يجري لايكوف (1987، 444 وما بعدها) تفريقا ما بين ثالوث من المفاهيم المترابطة: المدركات والصّور الذّهنيّة والخطاطة أو الصّورة الخطاطة. فالصّورة أو الصّورة الذّهنيّة هي تمثيل المدركات من الأشياء والأحداث تمثيلا ذهنيّا أساسه الإدراك البصريّ أو السّماعيّ أو اللّمسيّ وما إليها، ومن طبيعة المدرك (مشهدا كان أو شيئا) أن يكون ثريّا بالتّفاصيل، فإذا كان المدرك بصريّا مثلا كان فيه كلّ جزء من الحقل البصريّ مليئا بمضمون بصريّ، وهذا المضمون متبدّل بتبدّل درجات التّركيز الّتي تكون للعين في تفاصيله بما فيه من الألوان وأطيافها، وعمليّة الإدراك في هذه الحال لا تقتضي مجهودا خاصّا وإن كان التّركيز ممّا يستدعي ذلك من حيث الانتباه وفرز التّفاصيل وتمييزها.

فتكون الصّورة الذّهنيّة دون المدركات من حيث التّفاصيل والدّقائق ولكنّها تحافظ على أكبر قدر من مكوّنات المشهد، ولذلك تكون الصّورة تمثيلا مثيلا[2] لمدركات مخصوصة عينيّة، فيه تحاكي الصّورة الشّيء الممثّل له بخصائصه وبتفاصيله. فإذا ما زرت مطار تونس قرطاج – مثلا– تكوّنت عندك صورة ذهنيّة مثيلة له

---

1 D’Andrade, Roy.

2 Analog representation.

بخـــصوصيّاته المعلـــومة بوجه يمكّنك من تبيّنه من جملة مطارات أخرى تشبهه في الوظيفة والمكوّنات والمصالح.

ومـــن خصائص الصّور الذّهنيّة قيامها على المجهود وعلى القصد استحضارا أو إنـــشاء، وقيامها كذلك منقطعة عن الموارد الحسّيّة. ومن نماذج ذلك أن يُطلب منك شخص وصف مطار تونس قرطاج في شيء يشبه توجيهات الخريطة فتستحضر صورة المطار ذهنيّا وقد يأخذ ذلك منك وقتا وتركيزا وقد تغمض عينيك كي تشتغل 'عينك الباطـــنة'، ثمّ تتشكّل عندك صورة للمطار فيها جملة من التّفاصيل وتعطيه صورة فيها بعـــض منه كالأشكال والأبعاد تمكّنه من التّنقّل ذهنيّا في أرجائه إذا ما دخله يوما أو يذهب رأسا إلى المصلحة الّتي يريدها فيه. ولنا في هذا المستوى صورة ذهنيّة قامت علـــى مـــدرك هـــو أثرى منها في التّفاصيل والخصائص. فالصّور الذّهنيّة تتضمّن تفاصيل أقلّ ممّا تتضمّنه المدركات، وإقامتها في الذّهن والحفاظ عليها عمليّة تقتضي جهدا، كما تنشأ الصّور الذّهنيّة عن الأشياء دون أن يكون من الضّروريّ رؤيتها.

ويمكـــن للصّور الذّهنيّة أن تمثّل أساسا لقيام الخطاطة من حيث كانت منطلقا لعملـــيّة تعميم وتجريد تنتزع به الخصائص العامّة فيتكوّن قالب عامّ مجرّد ثابت من التّفاصـــيل علـــى غايـــة من الفقر فيها، وهي إذ كانت فقيرة في تفاصيلها أمكنها استيعاب كلّ ما استجاب لتلك السّمات العامّة. من ذلك أنّ مطار تونس قرطاج قد يكون تحقّقا لخطاطة المطار مطلقا وتكون صورته منطلقا لتعميم به تقوم خطاطة المطـــار على أساس ما يتوفّر في كلّ مطار من مصالح ونوافذ لبيع التّذاكر وتسجيل الأمتعة ورواق الذّهاب والوصول منفصلين ورقابة أمنيّة وديوانيّة وما إلى ذلك من مـــصالح أخـــرى. فخطاطة المطار هي ما به يمكن لشخص أن يسمّي كذلك كلّ مكان - إذا حلّ فيه أو شاهد صورة له تعرض- مطارا من قبيل مطار طبرقة أو جربة أو المنـــستير أو مطار أورلي أو لندن أو جدّة، وإن اختلفت جميعها في خصوصيّاتها باختلاف تصاميمها وأحجامها وتوزيع المصالح فيها ومواقعها في العالم.

فالـــصّورة تمثـــيل ثـــريّ لموضوعها والخطاطة قالب ثابت فقير وقد اجتمع المفهومان في واحد هو ما يطلق عليه الخطاطة الصّورة[1] عند جونسون ولايكوف، حـــيث تعتبر الخطاطةُ الصّورةُ بنية على غاية من العموم والتّجريد وعلى غاية من المرونة ومن الفقر في التّفاصيل بوجه تكون به أداة أوّليّة يشتغل بها الذّهن.

---

1 Image Schema.

فالخطاطة الصّورة جشطلت من حيث كانت كلاّ منضّدا وليست مجرّد أجزاء مجمّعـــة (لايكوف1987، 272) وهي قالب متواتر وشكل وانتظام يتجلّى في جميع الأنشطة المنضّدة، وينشأ في شكل أبنية ذات معنى عندنا من خلال حركات الجسد في الفـــضاء (المكان) ومن خلال معالجتنا للأشياء وتفاعلنا الإدراكيّ بما يحيط بنا. فالخطاطـــة المجسدنة هي ما ينضّد المدركات والصّور الذهنيّة والأحداث (لايكوف 1987، 453؛ جونسون1987، 29).

وممّا سطّره جونسون (1987) أنّ التّجربة منضّدة تنضيدا سابقا على نشأة كلّ مفهـــوم وبوجه مستقلّ عنه، ويمكن للمفاهيم أن تُجريَ تنضيدا أدقّ وأمضى على التّجـــربة، فيكون على هذا وجود الأبنية التّجريبيّة قائمة برأسها، وذاك ما يجعلها غالبة في حياتنا تحكم أذهاننا بوجه لا يثير اهتمامنا ولا ننتبه إليها.

ومـــن نماذج ذلك ما نعيشه كلّ يوم في أبسط التّجارب العاديّة البسيطة من قبـــيل حركات أجسادنا وأعمالنا في محيطنا وفيها ما عليه تقوم الصّور الخطاطات الكينيـــستيّة[1]. وأساســـها الحاسّـــة الكينيستيّة[2] وهي ما به يكون إدراك أوضاع العـــضلات وحركاتها ودرجة الإجهاد فيها باعتماد مجسّات عصبيّة كائنة في نسيج العضلات وفي عصبها تُصدر إشارات كينيستيّة هي الإشارات النّابعة من العضلات أو المفاصل عند أداء حركة أو عمل ما. كما تتضمّن الحاسّة الكينيستيّة ما به يكون إدراك أوضاع الرّأس وحركاته واتّجاهاته بمجسّات خاصّة به كائنة في الدّماغ هي أعضاء الحسّ الدّهليزيّة[3] (قريقوري 1987، 727).

وتـــشتغل الخطاطـــة في جميع المظاهر المعيشيّة ما ندر منها وما كان أكثرها دورانا وجميعها يسبق إلى الفهم دون عناء، ذلك من قبيل:

(1) القطّ على الأريكة.

وفيها مفهومان أساسيّان مفردان هما (قطّ) و(أريكة)، وللواحد منهما صورة ذهنيّة تناسب الشّكل العامّ المدرك للكائن المعنيّ (قطّ) أو(أريكة). وتتكوّن (على) مـــن ثلاث صور خطاطات هي {فوق} و{ملابسة} و{تحمّل}، وجميع المفاهيم (قـــطّ)، (على)، (أريكة) مفاهيم واضحة مفهومة. ولئن أمكن أن يتبدّل المفهومان

---

1 Kinesthetic image schema(s).

2 Kinaesthesis.

3 Vestibular sense organ(s).

(قطّ) و(أريكة) ليكونا من قبيل أيّ كائن آخر من قبيل (كتاب) و(طاولة) وما إلى ذلك فإنّهما لا يخرجان عن الخطاطة الكينستيّة تلك، ما كان لهما في الواقع المدرك هيأة تنطبق عليها الخطاطة.

فبـــناء العبارة المذكورة في (1) وفهمها يقوم على مطابقة الخطاطة الكينيستيّة (علـــى) لتلك الهيأة. ويذهب جونسون (1987) إلى أنّ الأبنية المفهوميّة التّجريديّة تـــنهض علـــى الأبنـــية الأساســـيّة الدّنيا والأبنية الخطاطيّة بوجهين هما الإسقاط الاستعاريّ من مجال الحسّيات المادّيات على مجال المجرّدات، والإسقاط من المستوى المقوليّ الأدنى على المستويين المقوليّين الوسيط والأقصى.

الخطاطات العرفنيّة: نماذج

تنـــضّد الصّور الخطاطات مدركاتنا وصورنا الذّهنيّة (لايكوف 1987، 455) والخطاطـــات المقترنة بالوحدات المعجميّة قادرة على مطابقة الخطاطات الّتي تنضّد مدركاتـــنا وصورنا الذّهنيّة ومنها الخطاطات الكينيستيّة، وهي مجسدنة[1] بمعنى أنّها نابعة من أجسادنا وعلى أساسها نتمثّل أجسادنا بل نتمثّل الكثير الغالب من تجاربنا اليوميّة على أساسها.

ويورد لايكوف بعضا منها يقيم تحليله إيّاها على رباعيّ من الأركان:

1- التّجربة المجسدنة بما فيه من مظاهر تمثّلنا لأجسادنا وما به يكون للخطاطة معنى من حيث ارتباطها بتجربتنا الجسديّة.

2- العناصر البنيويّة بما فيها من أركان أساسيّة لقيام الخطاطة.

3- المنطق الأساسيّ بما تقوم عليه الخطاطة من تنضيد داخليّ يمثّل منطقها.

4- الـــنّماذج الاستعاريّة الجارية الّتي تتحقّق فيها الخطاطة، ومنها خطاطة الحاوية[2] وخطاطة الكلّ والجزء[3] وخطاطة الرّبط[4] وخطاطة المركز والأطراف[5] وخطاطة المصدر والمسلك والهدف[6] (لايكوف 1987، 271-275):

---

1 Embodied.

2 CONTAINER schema.

3 PART-WHOLE schema.

4 LINK schema.

5 CENTER-PERIPHERY schema.

6 SOURCE-PATH-GOAL schema.

خطاطة الحاوية

- التّجــربة المجسدنة: نتمثّل أجسادنا في آن على أنّها حاويات تتضمّن أشياء من الأعضاء والأحاسيس أو المشاعر، وعلى أنّها متضمّنة في حاويات مثل البيت أو السّيّارة وما إليها.
- العناصر البنيويّة: **داخل، حدود، خارج.**
- المــنطق الأساســيّ: كلّ شيء كائن في حاوية أو خارجها، فإذا كان أ محتويا على ب وكان ج في ب، إذن كان ج في أ.
- نماذج استعاريّة: نتمثّل الكثير من المفاهيم على أساس الاحتواء فتكون المجرّدات حاويات من قبيل العلاقات الأسريّة ومجال الأفكار وما إلى ذلك: زيد من بني فلان، دخل عشّ الزّوجيّة وخرج منه، من كان في نعمة ولم يشكر خرج منها ولم يشعر، وقع زيد في مأزق، خرج زيد من الورطة.

خطاطة الكلّ-الجزء

- التّجــربة المجسدنة: نتمثّل أجسادنا في كلّيتها وفي أبعاضها، فالجسد واحد يمثّل كــلاّ يقبل القسمة إلى أجزاء هي ما يمكن تمثّله في ذاته، وبنفس الوجه نتمثّل سائر الأشياء في التّجربة وندركها من زاويتين كلاّ وأبعاضا من حولنا.
- العناصر البنيويّة: الكلّ، الأجزاء، نمط في التّشكّل.
- المــنطق الأساسيّ: إذا كان أ جزءا من ب إذن ب ليس جزءا من أ، لا يكون الــشّيء جــزءا من نفسه، ولا وجود للكلّ ما لم توجد أجزاء له، ويمكن أن تكون أجزاء ولكن لا وجود للكلّ ما لم تتشكّل الأجزاء على نمط ما لتكوين الكلّ، وإذا حلّ الكلّ في مكان ما فالأجزاء حالّة فيه كذلك.
- نماذج استعاريّة: نتمثّل الأسرة وسائر المنظومات الاجتماعيّة على أنّها كلّ ذو أبعــاض، مــن ذلك أنّ الزّواج إنشاء لعائلة تمثّل كلاّ أبعاضه الزّوج والزّوجة والأبناء، أمّا الطّلاق فانفصال الأبعاض واندثار الكلّ.

خطاطة الرّبط

- التّجربة المجسدنة: ننشأ بجسد مربوط بأمّهاتنا بواسطة الصّرّة، كما نتعلّق بأهلنا وبمواطن طفولتنا وما ألفنا من الأماكن والأشخاص بروابط عديدة.

- العناصر البنيويّة: **وحدتان أ وب، رابط** يجمع بينهما.
- المنطق الأساسيّ: إذا ما ارتبط (أ) بـ (ب) كان (ب) مقيّدا بـ (أ) وتابعا له.
- نماذج استعاريّة: نتمثّل المجموعة على أنّها عناصر مترابطة والعلاقات ما بين الأفراد على أنّها روابط تنشأ وتقام ثمّ تكسر أو تقطع، كما نتمثّل الحرّيّة غيابا للقيود وعلى خلافها العبوديّة أو التّبعيّة: بين قيس وليلى أسباب، قطع زيد صلته بعمرو، انفصلت ليلى عن قيس، لي ارتباطات عائليّة تمنعني من السّفر، قُطعت صرّته في بني فلان فهو لا يفارقهم.

خطاطة المركز-الأطراف

- التّجربة المجسدنة: نتمثّل أجسادنا مركزا هو الجذع وأطرافا هي الأعضاء الطّرفيّة كاليدين والسّاقين والأصابع وما إليها، وكذلك الأشجار جذعا وأغصانا فأوراقا، ثمّ إنّ فقدان الأطراف لا يغيّر من هويّة الكلّ وأساسها المركز، فالشّجر الفلانيّ يظلّ كذلك وإن قطعت أغصانه أو تساقطت أوراقه وكذا الشّخص.
- العناصر البنيويّة: **وحدة، مركز، طرف**.
- المنطق الأساسيّ: الأطراف تابعة للمركز قائمة عليه ولا ينعكس ذلك.
- نماذج استعاريّة: يكون ذلك في تصوّر المؤسّسات فتنقسم الإمبراطوريّات والدّول إلى مركز وأطراف وكذلك النّظم الاقتصاديّة والسّياسيّة وكذلك تخطيط المدن نتصوّرها مركزا هو أنشط المواقع فيها وأكثرها تأثيرا وتوجيها وأطرافا هي ما ارتبط بذلك المركز تسييرا وتنظيما في جميع مظاهر الحياة: شارع الحبيب بورقيبة صرّة تونس، تونس الكبرى بما فيها تونس الحاضرة وضواحيها، أو نتمثّل المدن الكبرى على شاكلة أخطبوط مركزه نواة المدينة وأصابعه الأحياء المنتشرة المتباعدة الممتدّة من حولها.

خطاطة المصدر-المسلك-الهدف

- التّجربة المجسدنة: قوام حركة الجسد في الفضاء (المكان) من نقطة انطلاق تبدأ عندها حركة التّنقّل ونقطة وصول وما بينهما مسلك يتمثّل في جميع النّقاط المسترسلة تعمّها الوجهة أو الاتّجاه.

- العناصـــر البنـــيويّة: **مصدر** (نقطة البداية)، **هدف** أو **نقطة وصول**، **مسلك** (سلسلة من المواضع المسترسلة تربط ما بين الانطلاق والوصول) **واتّجاه** (إلى نقطة الوصول).
- المنطق الأساسيّ: كلّ انطلاق من مصدر إلى نقطة وصول عبر مسلك يقتضي مرورا بكلّ موضع من المواضع الوسيطة ما بينهما.
- نماذج استعاريّة: نتمثّل الغايات والأهداف على أنّها وجهات أو نقاط وصول، وتحقيق الأهداف على أنّه مرور على مسلك طرفاه بداية ونهاية، فتكون الحياة رحلـــة والـــنّجاح غاية يتوصّل إليها بعد أن قطعت مسافة طويلة من الكدّ في العمل وما إلى ذلك.

الخطاطات أطر للفكر واشتغاله

تمثّل الخطاطة أسّا يخدم فرضيّة أساسيّة في المباحث العرفنيّة عامّة واللّسانيّة خاصّـــة قـــوامها أنّ الـــذّهن مجسدن وأنّ الفكر يشتغل على التّجربة الجسديّة وعلـــى الإســـقاط الاستعاريّ ما بين مجالات مادّيّة ومجالات تجريديّة. ولذلك يكـــون للخطاطة دوران مهمّان -عند لايكوف (1987، 283)- أوّلهما كون الخطاطة مفهوما قابلا للتّمثّل في ذاته من حيث بنيته وعناصره ومنطقه الأساسيّ الكـــامن فـــيه، وثانيهما كونها جارية على سبيل الاستعارة لتنضيد المركّب من المفاهيم الأخرى. ويساوق هذا اعتبار الخطاطات لبِنات للعرفنة عند روملهارت (1980).

الخطاطات أساس في تكوّن المناويل العرفنيّة

تقـــوم نظـــريّة المناويل العرفنيّة المؤمثلة[1] على فرضيّة أساسها أنّ البشر ينظّم معارفه بواسطة أبنية تمثّل الواحدة منها منوالا عرفنيّا مؤمثلا.

والمنطلق فيها قضيّة المقْولة، إذ كانت المقولات تتحدّد، في الفكر الكلاسيكيّ، بما تشترك فيه عناصر الواحدة منها من الخصائص، فهي تتحدّد تحدّدا موضوعيّا في ذاتهـــا بمعـــزل عن الطّبيعة المتجسّدة للذّات الممقوِلة أو المصنّفة، كما تتحدّد على الحقيقة دون تدخّل المجاز وما إليه من الاستعارة والكناية والتّصوير الذّهنيّ. وقد مثّل

---

1 Idealized Cognitive Model(s): ICM.

البحث في المقولة – منذ أرسطو حتّى فيتقنشتاين- بحثا ماقبليًا غير قائم على الوقائع والمعطيات، تُتَصوّر فيه المقولة على أساس الانتماء أو عدم الانتماء، وأساس الانتماء التّشارك في عدد من الخصائص، وهذه الخصائص أساس لتحديد المقولة وتوفّرها شرط كاف وضروريّ للانتماء.

ونهضت إزاء هذا التّصوّر نظريّتان متكاملتان قائمتان على مطعنين متكاملين هما نظريّة الطّراز[1] ونظريّة المناويل العرفنيّة المؤمثلة وما يتّصل بها من المبادئ كالجسدنة والخطاطيّة والإسقاط الاستعاريّ.

فقد غيّرت في السّنوات 1970، أعمال إليانور روش[2] الكثير من المفاهيم في المقْوَلة (1973، 1975، 1977، 1978). والمطعن الأساسيّ عندها يتمثّل في ما يمكن أن تقود إليه المسلّمات المقوليّة الأرسطيّة:

ذلك أنّ تحديد المقولة بالخصائص المشتركة بين عناصرها يقود إلى غياب التّفاضل بين العناصر في الانتماء، فلا يمكن الحديث عن أفضل ممثّل للمقولة، كما يقود تحديد المقولة بالخصائص الذّاتيّة في عناصرها دون غيرها إلى قيام المقولة في ذاتها بصرف النّظر عن الشّخص الّذي يُمقْوِل، فلا دخل لطبيعة الجسم الفيزيزلوجيّة العصبيّة من حيث الإدراك والتّفاعل مع المحيط تنظيما وتواصلا وتعلّما وتخيّلا وما إلى ذلك. ولكنّ الواقع يبين عن وجود نموذج في كلّ مقولة يُعتَبر أفضل ممثّل لها هو الطّراز، وعن قيام المقْولة على أسس فيزيولوجيّة ذهنيّة ثقافيّة.

كما تبيّن من جهة أخرى، أنّ للتجربة الجسديّة أو كيفيّة عيشنا في أجسادنا وآليّات التّخيّل من حيث كيفيّة إجرائها، موقعا مركزيّا في بناء المقولات الّتي تعطَى بها التّجربة معنى. فالمقْوَلة عمليّة آليّة وغير واعية ولا يكون الوعي بها إلاّ في الحالات المشكلة (لايكوف1987، 6). كما أنّ المقْولة تهمّ الأشياء (المخلوقة والمصنوعة) وتهمّ كذلك ما عداها من المجرّدات من قبيل الأعمال والأحداث والمشاعر والعلاقات الفضائيّة والاجتماعيّة، والأمراض والأفكار والحكومات وما إليها، وعلى كلّ نظريّة في المقْولة أن تستوعب جميع ذلك.

---

1 Prototype Theory.

2 Rosch, Eleanor.

المنوال العرفنيّ المؤمثل

للبشر ملكة تصوّريّة مفهوميّة قوامها عدد من القدرات منها القدرة على تكوين الأبنية الرّمزيّة وهي أساسا المفاهيم الأساسيّة البسطى والخطاطات المفهوميّة. ومنها القدرة على الإسقاط الاستعاريّ ما بين أبنية من مجالات مادّية ومجالات تجريديّة ومنها القدرة على تكوين (إنشاء) المقولات العامّة والمفاهيم المركّبة باستعمال الخطاطات لتنضيدها وهو ما به نقيم المركّبات من المفاهيم والأحداث والتّصنيفات بمختلف درجاتها عموما وخصوصا (لايكوف 1987، 281).

وذهب لايكوف إلى أنّ البشر يفهم الكون من حوله باعتماد مناويل عرفنيّة مؤمثلة بما في ذلك النّظريّات العلميّة ما كان منها فولكلوريّا عامّيا مشتركا وما كان منها علميّا مؤسّسيّا، وتصنيف الموجودات في مختلف الثّقافات من النّبات والحيوان والأشياء وغير ذلك كثير. ومن عناصر المناويل العرفنيّة المفاهيم ما كان منها بسيطا وما كان مركّبا.

دور المنوال العرفنيّ واشتغاله

يذهب لايكوف إلى أنّ البشر ينظّمون معارفهم بواسطة أبنية يطلق عليها المناويل العرفنيّة المؤمثلة وإلى أنّ الخطاطات الصّور أساس لقيام المناويل العرفنيّة المؤمثلة. وكلّ عنصر في منوال عرفنيّ يمثّل مقولة مفهوميّة: الخطاطة شبكة من العقد والتّرابطات، تمثّل كلّ عقدة فيها مقولة مفهوميّة، وخصائصها مستمدّة من دور العقدة في الشّبكة ومن علاقاتها بسائر العقد في الخطاطة ومن علاقة الخطاطة كاملة بسائر الخطاطات ومن التّفاعل الكائن ما بين الخطاطة وسائر الملكات العرفنيّة في النّظام العرفنيّ (لايكوف 1987، 69-70).

فإذا أخذنا - تبعا لفكرة فيلمور القائمة على الأطر- يوما من أيّام الأسبوع وليكن 'الثّلاثاء'، فلا يمكن تعريفه إلاّ في إطار منوال مفهوميّ تجريديّ (مؤمثل) قوامه حركة الشّمس وأطوارها عامّة وتعاقب الضّوء والظّلام علامةً على اللّيل والنّهار وفي إطار الأسبوع وحدةً زمانيّة سباعيّة الوحدات في تقويم أوسع هو الرّوزنامة. فالمنوال العرفنيّ هذا يتضمّن الأسبوع من حيث هو كلّ ذو وحدات سباعيّة منتظمة على أساس التّعاقب، تمثّل الواحدة منها يوما وثالثها هو 'الثلاثاء'.

فالأسـبوع هـو المنوال المؤمثل إذ لا وجود لوحدة سباعيّة الأيّام في ذاهما ولا في الطّبـيعة أو العـالم المادّيّ وإنّما هي من اصطناع الإنسان وإنشائه ودليل ذلك أنّ الثّقافات مختلفة في التّقويم الزّمنيّ.

ومن المناويل العرفنيّة ما يكون مركّبا هو ما يطلق عليه لايكوف (1987، 74) "المـناويل المجمّعة"[1] إذ تتركّب المناويل أو يتوالف بعضها مع بعض ليحدث منوال مجمّع من قبيل منوال 'الأمّ':

يمـثّل مفهـوم (الأمّ) مـنوالا مجمّعـا ناتجا عن توالف عدد من المناويل منها:

- منوال الإنجاب والوضع إذ تطلق الأمّ على الأنثى الّتي تنجب.
- المنوال الجينيّ فالأمّ هي الأنثى الّتي تزوّد الابن بموروثه الجينيّ.
- منوال الرّضاع والرّعاية إذ الأمّ كلّ أنثى أرضعت ورعت ابنا.
- منوال الزّواج إذ الأمّ زوجة الأب.
- منوال النّسب إذ تكون الأمّ أقرب أنثى من المولود في شجرة النّسب.

فجميع هذه المناويل تتوالف لتكوين منوال مجمّع هو 'الأمّ'. ولكنّ هذا المنوال المجمّـع مـا يـنفكّ يتوسّع بما ينضاف إليه من مناويل مخصوصة بتطوّر العادات والعلاقات الاجتماعيّة وتنوّعها، فيلتحق به عدد من المناويل:

- منوال التّبنّي فتكون الأمّ كلّ أنثى تبنّت مولودا ليس من رحمها.
- منوال الأمّ الحمول وهي الأنثى الّتي تحمل جنينا في رحمها من بويضة من أنثى أخرى تمثّل الأمّ البيولوجيّة.
- مناويل أخرى قد تنشأ ممّا تسمح به الهندسة الجينيّة من توليفات.

والمهـمّ أنّ منوال (أمّ) مركّب جامع لعدد من المناويل قد يطابق الواحد منها حالا في الواقع مخصوصة ولكنّه لا يطابق جميعها مطابقة واحدة، جميع ذلك دون اعتـبار ما فاضت به (أمّ) في الكثير من الاستعمالات الاستعاريّة والمجازيّة مـن قبيل 'أمّ الباب' و'العقدة الأمّ' و"العقدة الأخت' في التّحليل الشّجريّ، وغير هذا كثير.

وهـذا مـا بـه يبين قصور فكرة الطّرازيّة وآثارها وكذلك نظريّة الشّروط الضّروريّة والكافية إذا ما قورنت بالمناويل العرفنيّة المؤمثلة.

---

1 Cluster model(s).

بنية المنوال العرفنيّ وأنواعه

تقـــوم نظريّة المناويل العرفنيّة على ركنين: أفضية ذهنيّة ومناويل عرفنيّة تنضّد تلك الأفضية.

ويجعل لايكوف المناويل العرفنيّة خمسة أنواع: الخطاطيّ والقضويّ والاستعاريّ والمجـــازيّ المرســـل والرّمزيّ. فالمناويل الأربعة الأولى ذهنيّة مفهوميّة صرف والمنوال الخامس رمزيّ ينشأ باقتران المنوال العرفنيّ بالبنية اللّغويّة. ويكمن دور المناويل القضويّة والمناويل الخطاطيّة في تحديد البنية ودور المناويل الاستعاريّة والمناويل المجازيّة المرسلة في تحديد عمليّات الإسقاط الّتي تتوسّل بتلك البنية في اشتغالها.

المـــناويل القضويّة تقيم الأبنية القضويّة دون اعتماد أدوات التّخييل من قبيل الاستعارة أو المجاز المرسل أو التّصوير الذّهنيّ، وهي مناويل تطابق وحدات ذهنيّة لها مـــا يناســـبها من الأشياء في الواقع أو العالم. فالقضيّة تمثّل كلاّ يتضمّن أبعاضا أو أجزاء هي المحمول والموضوع أو الموضوعات في حال تعدّدها، فيمكن تمثّلُ القضيّة على أساس خطاطة الكلّ-الجزء. وإذا ما اعتمدنا العلاقات بين تلك الأبعاض أمكن تمـــثّلها علـــى أســـاس خطاطة الوصل فيكون بعضها محدثا أو متحمّلا أو أداة أو موضـــعا، ويمكن أن تنشأ القضايا المركّبة انطلاقا من القضيّة البسيطة المفردة بطرق منها التّحوير والتّسوير والعطف والنّفي وما إلى ذلك (لايكوف 1987، 285).

تقـــيم المناويل الخطاطيّة الأبنية الخطاطيّة، فالخطاطات في ذاتها مفاهيم ويمكن أن تجري لتنضيد سائر المفاهيم المركّبة. والمناويل الاستعاريّة تقيم الإسقاط الاستعاريّ كما ســـبق بيانه في القسم المخصّص لنظريّة الاستعارة المفهوميّة. أمّا المناويل المجازيّة المرسلة فتقيم الإسقاط المجازيّ المرسل في مجال واحد ما بين عنصرين أو قسمين منه.

وفي الإســـقاطين (الاستعاريّ والمجازيّ المرسل) يكون كلّ من المجالين المصدر والهـــدف منـــضّدا باعـــتماد المناويل الخطاطيّة أو القضويّة. ويجري في الإسقاط الاســـتعاريّ إســـقاط بنية المنوال العرفنيّ من المجال لمصدر على بنية المنوال العرفنيّ المناســـبة لها من المجال الهدف. ويجري الإسقاط في المجاز المرسل في المجال المفهوميّ الـــواحد الّذي ينضّده منوال عرفنيّ واحد: حيث يقوم عنصر مقام عنصر آخر من ذلك المجال نفسه، فيكون التّعالق بينهما على أساس "يقوم مقام"[1] أو "ينوب عن".

1 Stand-for relation.

ومن نماذج الإسقاط المجازيّ المرسل تسمية شخص بما أكل في مطعم أو بنوع سـيّارته في محطّة الغسيل، حيث المجال واحد هو منوال عرفيّ منضّد بعناصره من نـادل وطبّاخ ومآكل وزبائن وبطاقة اختيار المآكل وما إلى ذلك في مجال المطاعم، فعندما نقول مثلا:

خرج صحن الكسكسيّ دون أن يدفع.

يـنوب 'صـحن الكسكسيّ' عن 'الزّبون' بعلاقة "يقوم مقام" وذلك بجريان عملـيّة الإسـقاط داخل المنوال العرفيّ الواحد أو الفضاء الذّهنيّ على حدّ عبارة فوكونياي (راجع فصل **الأفضية الذّهنيّة** من هذا العمل).

ومـن نماذج الإسقاط المجازيّ المرسل المتواترة في مختلف الثّقافات قيام عنصر مـن المجـال المفهوميّ مقام عنصر آخر في الإجابة عن سؤال يكون المطلوب فيه العنصر الغائب من الجواب.

فقد لاحظ رودس[1] (1977، نقلا عن لايكوف 1987، 78) أنّ المتكلّمين بلغة الأوجيبوا وهي واحدة ما لغات الأمريكيّين الأصليّين في كندا، يعمدون إلى إقامة عنصر من منوال التّنقّل مقام عنصر آخر منه في أجوبتهم عن سؤال مداره كيفيّة المجيء أو الحضور إلى مكان ما. فالتّنقّل منوال عرفيّ متكامل فيه خطيطة بمراحلها المتعاقبة: منها الشّرط الماقبليّ الّذي يتضمّن توفّر أداة التّنقّل أو حصولها عند صاحبها، ومنها طور الرّكوب أو الامتطاء أو الحلول في المركب أو السّيّارة أو الـصّعود إلى الطّائـرة. ومنها طور قطع المسافة سياقةً أو تجديفا أو قيادة أو طيرانـا، ومـنها طور الوصول بما يتضمّن من إيقاف أو موضعة أو تصفيف ثمّ نـزول أو خروج. وما إلى ذلك ممّا يمكن تصوّره قسما من الخطيطة. ويمكن لكـلّ مكـوّن مـن تلك المكوّنات أن يجري في الجواب مقام المطلوب فيكون الجـواب عـن كيفيّة الوصول بعبارات من قبيل "عندي سيّارة" أو" استعرت سيّارة أختي" أو" أخذت سيّارة أجرة" وما إلى ذلك. ويثبت بهذه النّماذج قيام الجـزء من المنوال مقام الكلّ، فالمنوال كلّ متكامل بعناصره وبنيته ولا يستعمل إلاّ بعضها ليقوم مقام الكلّ.

أمّا المنوال العرفيّ الرّمزيّ فبنية مكوّناتها الرّموز، والأبنية الرّمزيّة نوعان بسيط ومركّب، والمركّب نوعان:

---

1 Rhodes, Richard.

أوّلهمـــا بنية لبِنة[1] بمعنى أنّ العناصر البانية لها ذات وجود مستقلّ بنفسها وأنّ المعنى الكلّيّ فيها تجميع للمعاني الجزئيّة.

وثانـــيهما بنية جشطلتيّة بمعنى أنّ عناصرها غير ذات وجود مستقلّ عن الكلّ وأنّ معناها الكلّيّ لا يمكن تحصيله من المعاني الجزئيّة ومن طريقة التّوليف بينها.

وقريب من مفهوم المنوال العرفنيّ الرّمزيّ عند لايكوف ما يذهب إليه لانقاكر من أنّ جميع الأبنية النّحويّة ذات طبيعة خطاطيّة لها تحقّقات نوعيّة في أقسام الكلام أو في العـــبارات العينيّة المخصوصة. فكلّ وحدة نحويّة قوامها خطاطة رمزيّة ذات قطبين (القطب الصّوتميّ والقطب الدّلاليّ)، ويجري التّوليف بين تلك الوحدات وفق أبنية خطاطيّة يكون فيها الاندماج ما بين أبنية متعدّدة لتكوين أبنية أكبر منها، من ذلك أنّ القطب الدّلاليّ في حرف الجرّ (مِن) في العربيّة قوامه خطاطة يجري بها في الكثير من المجالات المفهوميّة، وجملة مداليله نابعة من المكوّن الخطاطيّ (مصدر) في خطاطـــة (مـــصدر–مسلك–غاية)، فيكون الحرف (من) أساسا تتبلور فيه نقطة الانطـــلاق في اتّجـــاه غاية من الغايات، وما جريان حرف الجرّ المذكور في جميع سياقاته إلاّ تحقّق لخطاطته العامّة، فالخطاطة على غاية من الفقر من التّخصيص أمّا الـــتّحقّقات فعلى غاية من الثّراء في التّخصيص، وعلى هذا تنقاس سائر الوحدات والأبنية اللّغويّة. (راجع فصل **النّحو العرفنيّ** من هذا العمل.)

مباحث في نظريّة الخطاطة

من المباحث المهمّة في مجال الخطاطة نشوءا وتطوّرا وتعاملا وتحقّقا ما تشترك فـــيه جميع الخطاطات وما به تتمايز من زاوية تصوّريّة محض غايتها إقامة تصنيفيّة للخطاطـــات مطلقا. ويتّصل بهذا، البحثُ في طبيعة الخطاطات بساطة وتركّبا وهو ما يفرض البحثَ في الأساسيّ الأوّليّ من الخطاطات يجري عنصرا في توليف تتكوّن به الخطاطات المركّبة، وجميع ذلك في مظهري الخطاطة بنيةً وتحقّقا.

فإذا ما أخذنا – على سبيل المثال– عملا من الأعمال وليكن أخذ كتاب من رفّ مكتبتك، مثّلَ ذلك تحقّقا لخطاطة تحكم جميع أعمالك المشابهة من أخذ كتب أخرى في مناسبات متعدّدة متكرّرة من مكتبتك أوّلا أو من أخذ جميع ما تأخذ أو تتـــناول باليد، ولنتصوّرها خطاطة المصدر–المسلك–الهدف بما في ذلك من انطلاق

---

1 Building-block structure.

حركة اليد من موضعها الأوّل وتحرّكها وفق مسلك محدّد من حيث سرعته ودرجة الانحـــناء في الـــذّراع فانفـــتاح الأصابع فإمساك بالكتاب وفق ما تقتضيه عمليّة الإمساك من إطباق الأصابع وما إلى ذلك، وهنا يكون الكتاب هدفا.

ثمّ يكون الأخذ الحقيقيّ بمعنى إخراج الكتاب من الرّفّ والذّهاب به في اتّجاه جسمك وهو ما يمثّل حركة العود بما تقوم عليه من خطاطة مصدر-مسلك-هدف ولكـــن في الاتّجاه الآخر بمعنى أنّ موقع الكتاب مصدر وحركة اصطحابه مسلك والهدف موقع جسمك أو منتهى الحركة من الذّراع مطلقا.

والملاحظ أنّ هذا العمل البسيط لا تحكمه خطاطة واحدة (المصدر-المسلك-الهـــدف) وإنّمـــا فيه من الخطاطات الكثير. فانفراج الأصابع من اليد وهيأتها عند المسك والضّغط بها متناسقةً جهدا وقوّة وموقعا وتوازنا - حتّى لا يسقط الكتاب- خطاطـــة أخـــرى تتحقّق في كلّ ما يؤخذ باليد من حبّة الرّمل إلى أقصى ما يمكن للأصابع أن تسَعه، وهي نفسها الّتي تحكم اليد في الذّراع الآليّة سواء اشتغلت بذاتها أو شـــغّلها كـــائن ذكيّ يُسقط حركة أصابعه على اليد الميكانيكيّة بأصابعها وفق الخطاطات الّتي توجّه حركة يده هو لو كان مكان الآلة وكانت يده هي الّتي تؤدّي تلـــك الحركة. وهي الخطاطة الّتي يصمّمها صانع الآلة في مظهريها الميكانيكيّ في هـــذه الحال وفي مظهريها الميكانيكيّ والذّكائيّ البرمجيّ في حال الرّوبوت في مجال الذّكاء الاصطناعيّ.

ولا فائـــدة من أن نطيل أكثر فالثّابت أنّ أبسط عمل تؤدّيه أجسادنا إنّما هو مـــوجّه بخطاطـــات كـــثيرة متزامنة متراكبة وأنّ البحث فيها يمثّل برنامجا قائما في البحوث العرفنيّة.

وإذ كانـــت الخطاطة مركّبة وجب البحث في عناصر تركّبها ووجوهه وفي أدنى درجـــات التّركّب وأقصاها. ويقترح في هذا الشّأن كرايتزر[1] (1997) ثلاثة مـــستويات عامّة في التّركّب الخطاطيّ هي المستوى المكوّنيّ[2] والمستوى العلائقيّ[3] ومستوى الإدماج[4].

---

1 Kreitzer, Anatol.

2 Component level.

3 Relational level.

4 Integrative level.

فقد اهتمّ بمختلف التّحقّقات الّتي تكون للخطاطة الفضائيّة (فوق) وانتهى إلى ما يلي:

المـــستوى المكـــوّنيّ فـــيها خطاطات لعناصر فضائيّة مكانيّة من قبيل النّقطة والمسطّح والخطوط وهي عناصر خطاطيّة هندسيّة تنطبق بموجب طبيعتها على كلّ الأشياء والعلاقات، كأن يلامس الشّيء نقطة من المسطّح وما إلى ذلك.

المـــستوى العلائقـــيّ ينضّد تلك العناصر في علاقات فضائيّة مخصوصة كأن يكون في خطاطة (فوق) مجال فضائيّ ذو حدود بدايةً وانتهاءً يكون ما بينهما تنقّل أو عمـــل بما له من مسلك ويكون المنتقل[1] – بمفهومه عند لانقاكر– عابرا لجميع تلك النّقاط من المعلم.

وأمّا في مستوى الإدماج فتتوحّد جميع الخطاطات بوجه يفرز وضعا أو معنى مخـــصوصا في ضوء ما كان في المستويين السّابقين، ويفسّر كرايتزر بذلك مختلف الاستعمالات الكائنة لـــ'فوق' في مختلف السّياقات.

وفي هـــذا المجال تثار قضيّة مدارها أوّليّة الخطاطات البسطى ونشوؤها تطوّريّا وفيـــزيولوجيّا وإدراكـــيّا. وللخطاطات في ضوء هذا سلّميّة تنقسم بمقتضاها إلى خطاطات أساسيّة وأخرى قائمة على الأساسيّة (ماندلار1992).

فمـــا نـــشأ من الخطاطات من التّمثّل الذّهنيّ المتّصل بالعمل الإدراكيّ كان أساســـيّا بحكم كونه أساسا في تمثّل الكون والتّجربة. فبعض الخطاطات أوّليّ بدئيّ بالقـــياس إلى أخرى من قبيل خطاطة المسلك، وتتوالف الخطاطات الأوّليّة لتكوين خطاطات مركّبة.

ولئن كانت الخطاطات ناتجة عن حركات الجسد في المحيط فإنّ للثّقافة ولمحيط العيش اليوميّ ولطبيعة الأدوات واستعمالها فيه دورا محدّدا. فقد أثبتت تجارب سنها ويانسن دي لوباز (2000) أنّ الخطاطات ناتجة عن حركات الجسد في المحيط وعن طبيعة الأدوات في الثّقافة ومحيط العيش اليوميّ، ونموذج ذلك القفّة (الإناء السّعفيّ) واستعمال الظّروف (فوق) أو (تحت) الّذي يختلف باختلاف الثّقافة ما بين الزّابوتيّة -من جهة- والإنجليزيّة والدّانماركيّة:

تـــستعمل القفّة في الزّابوتيّة بوجهين: أوّلهما لاحتواء الأشياء كما هو معهود، وثانـــيهما مقلـــوبةً لحفظ الأشياء وتغطيتها أو للقبض على الدّجاج والطّير، وهذا

1 Trajector.

الاســتعمال غير متوفّر في اللّغتين الدّانماركيّة والإنجليزيّة حيث تستعمل القفّة فقط في اتّجــاه واحــد. ولذلك لا تدلّ عبارة (تحت القفّة) في اللّغات موضوع الدّرس على الشّيء نفسه، فما هو تحت القفّة في الإنجليزيّة مثلا لا تحتويه القفّة إذ هو خارج عنها، أمّا ما هو تحتها في الزّابوتيّة فهو فيها إذ تحتويه من حيث وافق حالا لها وهي مقلوبة.

والحاصل من ذلك أنّ الخطاطة تنشأ مرتبطة بالبيئة وبما يتوفّر فيها من الأدوات وتــتحقّق في نمــاذج مختلفة باختلاف مكوّنات الثّقافة، وتنعكس دون شكّ على مظاهر عديدة منها الاكتساب اللّغويّ والتّرجمة وما إلى ذلك.

تلــك بعــض النّماذج ممّا يمكن الإفادة فيه من الدّراسات باعتماد الخطاطة وتحقّقاتهــا ولكنّ مجالات الدّرس في هذا الشّأن واسعة من ذلك مبحث الاشتراك الدّلاليّ حيث تكون جملة المعاني خطاطيّة وإجراء اللّفظ محلّ الاشتراك في معنى بعينه دون آخر تحقّقا للخطاطة (راجع نظريّة النّحو العرفنيّ من هذا العمل، وانظر كذلك تحلــيل (فوق) في لايكوف 1987). ومن ذلك الإنحاء[1] والتّغيّر اللّغويّ عامّة فمن الفرضــيّات القائمة أنّ ذلك يحدث بتغيّر الكثير من التّفاصيل أو بفقدانها في الأصل دون أن يتغيّر شيء من البنية الخطاطيّة (ري 2002، سميث 1999) .

ففي مجالات التّعلّم يبني المتعلّم خطاطات ثمّ يعيد النّظر فيها كلّما حصل على معلومات جديدة، فيكون له ثلاثة مواقف من كلّ معلومة جديدة بناء على علاقتها بالخطاطة الّتي يملكها:

- يمكن أن يصهرها في خطاطاته دون أن يغيّر من الخطاطة الكبرى شيئا.
- أو يبدّل الخطاطة القديمة في ضوء الجديد.
- أو يعــيد البــناء فيقيم خطاطة جديدة ترتق بها الفجوة ما بين الخطاطة القديمة الحاصلة والمعلومة الجديدة المكتسبة.

خلاصة في المناويل العرفنيّة

تــتحدّد بنية الذّهن بالمناويل العرفنيّة وتوافق المقولات في الذّهن عناصر تلك المناويل، وتقوم بعض المناويل العرفنيّة على حدود بيّنة فتوافق مقولات ذات حدود بيّنة ثابتة وتقوم بعض المناويل العرفنيّة على أساس التّدرّج وهذا ما يحدث مقولات يكون الانتماء إليها متدرّجا.

---

1 .Grammaticalization

وتقـــوم بعض المناويل العرفنيّة على أساس مجازيّ يسمح بقيام جزء أو عنصر من المقولة مقام المقولة كاملة، وبعض المقولات شعاعيّ أو انتشاريّ[1] إذ يتكوّن من مـــناويل مـــنطلقها مركـــز ومقولات طرفيّة مرتبطة بذلك المركز. وتتحدّد تلك التّرابطات إمّا بالشّبه أو المماثلة أو بمناويل عرفنيّة هي جزء من النّظام المفهوميّ.

وتنقـــسم المـــناويل العـــرفنيّة إلى أربعة أنواع: قضويّ وخطاطيّ واستعاريّ ومجـــازيّ، تـــتحدّد البنـــية بالمناويل القضويّة والخطاطيّة وتحدّد المناويل الاستعاريّة والمجازيّـــة عمليّات الإسقاط الّتي تتوسّل بتلك الأبنية في اشتغالها. واللّغة في أساسها محـــدّدة بمناويل رمزيّة تقوم على القرن بين معلومات لغويّة ومناويلها المناسبة لها في النّظام المفهوميّ.

وهذه المناويل مجسدنة بصفة مباشرة أو غير مباشرة بواسطة المفاهيم المجسدنة، وتجسدُن المفاهيم أساسه أنّ مضامين المفاهيم مبرّرة بالتّجربة الجسديّة والاجتماعيّة. وفي جمـــيع ذلك سعي من لايكوف إلى إقامة منطق طبيعيّ ولكن خارج الفلسفة الموضوعيّة.

---

1 Radial category.

نظريّة العرفنة المجسدنة
(الذّهن المجسدن)

توفّر الجسدنة الرّابطَ المبرّر (غير الاعتباطيّ) ما بين العرفنة والتّجربة.
(لايكوف 1987، 154)

تبلورت فكرة الجسدنة[1] واستقامت نظريّة متكاملة في المنطلق في ثالوث من الأطر فلسفيّ وعرفنيّ ولسانيّ، ثمّ توسّعت العناية بها في سائر العلوم العرفنيّة والعلوم العصبيّة العرفنيّة أساسا. وبين هذه الأطر من التّوازي والتّعاظل ما يجعل من الواحد منها صدى للآخر ينقسم في ضوئه إلى طورين يمثّل ثانيهما ثورة على سابقه، ولذلك يكون من الواجب أن يُرصد التّفاعل فيها جميعا في مستوى أوّل ثمّ الخلوص لمظاهر الجسدنة في اللّغة بنية ودلالة.

وهو تفاعل قلّما يولى العنايةَ الكافية في الدّراسات المتعلّقة بعلاقة الفكر بحامله أو بعلاقة الذّهن بالجسد في الأطر المعنيّة هنا. والمشترك بين هذه الأطر يتمثّل في جمع ما كان منفصلا في ثنائيّات العقل والمادّة أو الفكر والجسد أو التّجريديّ والمحسوس يتعالى فيها الطّرف الأوّل عن الطّرف الثّاني، وتتحوّل علاقة التّباين بينهما إلى علاقة يكون فيها الطّرف الثّاني وسيطا وأرضيّة يتجذّر فيها الأوّل، ويتحوّل البحث من السّعي إلى تحديد العقل/الذّهن/الفكر تحديدا في ذاته مطلقا من كلّ إطار يحلّ فيه إلى بحث في ما به يشتغل الذّهن في أرضيّة عصبيّة أوّلا وفي إطار جسديّ ثانيا وفي بيئة تضمّ الجسد المعرفن ثالثا.

وتندرج الجسدنة مبحثا في العرفنيّات واللّسانيّات في حركة فكريّة أوسع تتمثّل في العود بالعناية إلى موقع الجسد في الثّقافة وفي عودة الجسد الغائب إلى المباحث من حيث تصوّره وقيمته ودوره ومن حيث إدراكه.

---

1 Embodiment.

وجميع ذلك أثّر في توجيه التّناول في مباحث عديدة كالاجتماع والجندرة[1] وعلـوم الطّبّ والتّاريخ وفي الفنون من قبيل الرّسم والنّحت والموسيقى عامّة وفي الموسيقى الإثنية[2] خاصّة وفي علوم القانون والنّقد الأدبيّ وغيرها، وجميع هذا يمكن تلخيصه في كون الثّقافة بنية أُمّا[3] تعمّ جميع الأبنية قائمةً على بنية بيولوجيّة تتحدّد بها الكثير من المظاهر (فوكس 1999).

الجسدنة: عودة الجسد الغائب

يقوم الفكر الكلاسيكيّ - والعبارة للايكوف- على اعتبار العقل (أو الفكر) تجريديّا صرفا لا صلة له بالمادّة أو بالجسد، فالفكر متعال يتجاوز كلّ حدود المادّة أو الجسد، وقد يحدث أن تتجسّد المفاهيم (وهي مادّة العقل) في أجسام من الأحياء والأناسـيّ والآلات ومـا إليها ولكنّها تظلّ ذات وجود تجريديّ مستقلّ عن كلّ حامل جسديّ.

وأمّـا الفكـرة الحديـثة فقائمة على خلاف ذلك إذ ترى أنّ للعقل أسسا جسديّة، فهو يمثّل كلّ ما له صلة بالذّوات المفكّرة، بل هو وظيفتها، فيصبح، على هـذا، الجسدُ المفكّر بما له من طرق وأدوات في العيش في المحيط مركزا للمباحث المهتمّة بالعقل.

والجـسد، في الرّؤية الموضوعيّة، أداة يتوصّل بها إلى المفاهيم المجرّدة من حيث كـان مجرّد أداة بيولوجيّة تحاكي أنماطا من الفكر المتعالي، وهو فوق ذلك يفرض بحكـم طبيعته حدودا على المفاهيم والفكر. وهو الأساس الّذي قامت عليه رؤية الفكر سجينا للمادّة مطلقا وللجسد على وجه الخصوص.

أمّـا في التّجريبيّة فدور الجسد يتحوّل إلى أداة تمكّن من التّفكير وليس مجرّد تحقّـق للفكـر فيه، فالفكر ينبت في الجسد في بعديه الفرديّ والجماعيّ من حيث تكـوّنه الوراثـيّ الجينيّ ومن حيث طبيعة المجال الّذي يعيش فيه ومن حيث طبيعة اشتغاله في ذلك المحيط، فالفكر ينبُت وينشأ ويتبلور في ذلك جميعا، على حدّ عبارة لايكوف (1987).

---

1 Gender studies.

2 Ethnomusicology.

3 Super-structure.

وتنطلق فكرة الجسدنة، في المباحث اللّسانيّة العرفنيّة، من قضيّة أساسيّة قديمة تهمّ المعنى: كيف يكون للعبارة اللّغويّة وللمفاهيم الّتي تعبّر عنها، من معنى؟

وجـــواب ذلـــك في المقاربـــة الكلاسيكيّة الموضوعيّة يتمثّل في أنّ العبارات والمفاهـــيم الّـــتي تعبّر عنها أبنية رمزيّة لا معنى لها في ذاتها وإنّما تستمدّ معناها من علاقتها المباشرة بالأشياء في العالم الحقيقيّ أو العوالم الممكنة، وهذه المقاربة – عند لايكـــوف– لا تذكـــر الكائن البشريّ ولا تعتمد طبيعة الكائنات في تفكيرها وفي التّواصل ما بين أفرادها.

وعلـــى خـــلاف ذلـــك تقوم المقاربة التّجريبيّة على تحديد المعنى باعتماد طبيعة الكائـــنات المفكّرة من حيث تجربتها والتّواصل ما بين عناصرها سواء كانت أفرادا أو مجمـــوعات أو شـــعوبا. والتّجربة مفهوم يتجاوز ما يحدث للفرد إلى كلّ ما يحدث للمجموعة كاملة وللنّوع بالاستتباع فهي مأخوذة في معناها الواسع الشّامل لكلّ ما له دور فـــيها وكـــذلك طبيعة الأجسام من حيث بنيتها البيولوجيّة ومن حيث طاقاتها الموروثة جينيّا، واشتغالها في المحيط وانتظامها الاجتماعيّ (لايكوف 1987، 266).

وفي العلـــوم العـــرفنيّة مظاهـــر القطيعة ما بين الفكر والحامل الفكري (أو الوســـيط[1]) إذ اعتُبرت العرفنة معزولة عن كلّ وسيط مادّيّ في طور أوّل، ولكن توسّع ذلك ليثبت أمران مهمّان جوهريّان في اشتغال العرفنة هما:

الجسد–في–الدّماغ[2] والجسد–في–العالم[3] (روهرر2007، 343).

أمّا الجسد–في–الدّماغ فقوامه ما به تتشكّل[4] العرفنة بحكم كونها نتاجا لدماغ مـــادّيّ تـــتفاعل مكوّناته (مراكز، موصّلات، خلايا) وتترابط فيكون لها بنية من طبـــيعة البنـــية الدّماغيّة، ولكنّ هذا المظهر ينصبّ على العرفنة في الدّماغ منغلقة وخارج كلّ الأوضاع، وهو مواصلة للقطيعة الّتي أشرنا إليها.

وأبـــرز ما توسّع به مفهوم الجسد–في–الدّماغ ما ثبت من تشكّل العرفنة في الـــدّماغ بمـــا يكون للجسد من تفاعلات مع المحيط أو العالم الخارجيّ وذاك هو الجسد–في–العالم.

---

1 Medium.

2 The body-in-the-brain.

3 The body-in-the-world

4 Shape(d).

فالجسد-في-الدّماغ (الذّهن المجسدن[1]) لا يشكّل بالجسد فقط وإنّما يتشكّل كــذلك بمــا يكون للجسد من تفاعل بمحيطه، فيكون الحاصل من جميع ذلك أنّ العرفنة تتشكّل بالجسد-في-الدّماغ-في-العالم: (العالم (الجسد (الدّماغ))).

ومــن دلائــل ذلــك التّجريبيّة المخبريّة ما أثبتته أبحاث كوسلين[2] (2001) وفينقرهوتس[3] (2002) في التّصوير الذّهنيّ:

فقد ثبت أنّ المواضع الّتي تنشط في الدّماغ عند تحريك الأشياء المادّيّة من قبيل الأدوات المعهــودة أو تقليــبها في اتّجاهات مختلفة، تنشط كذلك في تصوّر تلك الحــركات نفــسها تصوّرا ذهنيّا، فمعناه أنّنا نمسك "ذهنيّا" بتلك الأدوات باليد نفــسها الّــتي بها نمسك تلك الأدوات إمساكا مادّيّا فيزيائيّا. وإذ يثبت أنّ الذّهن يتــشكّل بالجــسد وبالمحــيط الّذي يتفاعل فيه ذلك الجسد نشأت فكرة الجسدنة المتموضــعة (جوردان زلاتاف 1997) الّتي تضمّ التّجربة الجسديّة وما اتّصل بها من الإطــار الثّقافيّ، وهذه بدورها تندرج في ما يسمّى بالعرفنة المتموضعة[4] (شلانقار 1990)[5].

الجسدنة والاستعارة المفهوميّة

نــشأت فكــرة الجسدنة أو تجسّد الذّهن موازية لفكرة الاستعارة المفهوميّة، فالاســتعارة تمثّلٌ لمجال على أساس مجال آخر والجسدنة تمثّل للمفاهيم المجرّدة على أساس الجسد من قبيل الغضب والفرح والخوف والحزن والقلق، إلخ.

ومــن فروع هذا المجال البحث في الاستعارة الجسديّة[6] أي تلك الاستعارات الجارية في تمثّل أجزاء الجسد على أساس مفاهيم أخرى أو في تمثّل الأشياء الأخرى على أساس أعضاء الجسد، ومن قبيل استعارة الجسد وانفعالاته في مجال الآلة عموما والإعلامــيّة خصوصا أو في مجال المؤسّسات أو المجموعات البشريّة وغير هذا من الميادين كثير.

---

1 Embodied Mind.
2 Kosslyn.
3 Vingerhoets.
4 Situated Cognition.
5 Schlanger.
6 Body metaphor(s).

ولكنّ الجسدنة تتجاوز مجال الاستعارة المفهوميّة من حيث وفّرت مجالا أوسع لدراسة الذّهن مطلقا بتبيّن مظاهر تجسدنه في سائر الأنشطة والتّصوّرات غير الاستعاريّة من قبيل الإسقاطات المفهوميّة كالقياس والمزج[1] وما إلى ذلك من الأدوات والصّناعات. ولكن تظلّ الاستعارة المفهوميّة خير مورد لفكرة الجسدنة من حيث مظاهرها وانتظامها واشتغالها. فالجسد - مأخوذا من هذه الزّاوية- يمثّل، في آن، المجال الهدف في تمثّل الأحاسيس، والمجالَ المصدر في تمثّل مفاهيم أخرى عديدة.

وتنقسم الاستعارة في ضوء ذلك إلى نوعين:

أوّلهما متّصل بتمثّل مجالات أو مفاهيم تجريديّة على أساس الأجساد أو الأعضاء الجسديّة وفيها يكون الجسد مجالا مصدرا، وذلك من قبيل المجموعات والفرق والجماعات والمدن والأمم والآلات:

(1) أ. المؤمنون كالجسد الواحد إذا اشتكى عضو تداعت له سائر الأعضاء.

ب. الأمازون رئة الأرض.

ج. باريس قلب أوروبا النّابض.

د. حلق الوادي شريان التّجارة في تونس.

هـ. هو يحشر أنفه حيث لا ينبغي.

و. الفيروس والمضادّ للفيروس في البرمجيّات الحاسوبيّة.

ز. ساق الزّهرة طويلة.

أمّا النّوع الثّاني فقوامه تمثّلُ الجسد أو أعضائه على أساس مجال آخر، وفيه يكون الجسد مجالا هدفا. يجري ذلك في تمثّل الجسد أو أبعاضه أو ما يكون من أحواله على أنّه إنسان أو آلة أو نبت أو شيء مصنوع أو ما يكون لها من أحوال:

(2) أ. القلب مضخّة والأوردة سواق.

ب. للجدران آذان.

ج. الجسم قلعة حصانتها التّلقيح. والمرض هزيمة والشّفاء انتصار.

د. الجسد تراب والرّوح نور.

هـ. الجهاز العصبيّ شبكة مترابطة من الموصّلات العصبيّة ذات محطّات وأسلاك ومركز تحليل وتوجيه.

---

1 Blending.

وتمــثّل التّجريبيّة الإطار الحاضن للجسدنة والاستعارة المفهوميّة عند لايكوف (1987). فالنّظام المفهوميّ البشريّ نتاج للتّجربة البشريّة، والتّجربة تتشكّل بتوسّط الجــسد. فــلا وجــود لعلاقة مباشرة بين اللّغة البشريّة والعالم الخارجيّ كما هو موجود خارج التّجربة البشريّة، فاللّغة قائمة على مفاهيم بشريّة هي بدورها مبرَّرة بالتّجربة البشريّة (لايكوف1987، 206).

فالمفاهــيم تقــوم دوما على التّجربة الّتي للجسد ما كان منها مباشرا أو غير مباشــر، ولايكــوف مساير في ذلك لما أثبتته بوتنام (1975) من أنّ المعنى شيء والذّهن شيء آخر[1]. فمن المعاني ما يتحدّد اجتماعيّا، تحدّده مجموعة من الخبراء – مثلا– تكون لها سلطة تحديد بعض المفاهيم من قبيل ما يجري في المجالات المختصّة الّــتي لا تتوفّر في تجربة الأفراد جميعا بصفة مباشرة، من ذلك أنّنا نعرف الكثير من الأشــياء كالذّرّة والمعادن والكواكب ولنا عن الواحد منها فكرة عامّة تمكّننا من تحديده بوجه من الوجوه وذلك باعتماد ما يقوله عدد من النّاس درسوه أو لاحظوه أو جرّبوه، فشرط حصول التّجربة للمعرفة ليس ضروريّا في هذه الحال (لايكوف 1987، 206-207)، فكــلام الخــبراء الّذين عاشوا تلك التّجربة يؤخذ به فيكون المعــنى ناشئا بواسطة اجتماعيّة في ذهن من لم يجرّب. فالمعنى، على هذا، متأسّس دومــا على التّجربة، هي تجربة الفرد المباشرة أو تجربة أخرى غير مباشرة هي تجربة الخبراء عند من يسمع به منهم.

وإذ يــتحدّد المعنى على أساس التّجسدن في الواقعيّة التّجريبيّة عند لايكوف (1987، 267) تكون العرفنة مستويين هما البنية وتجسدن البنية:

تنتظم المفاهيم في بنية من زاويتين انتظاما داخليّا ذاتيّا في المفهوم الواحد كما تنتظم في ما بينها انتظاما خارجيّا. وهذا الانتظام هو ما به نتمكّن من التّفكير ومن الفهم ومن اكتساب المعرفة ومن التّواصل، وهو ما تنهض به المناويل العرفنيّة (انظر **المــناويل العــرفنيّة** قبل هذا). ولكنّ مفهوم الانتظام في بنية بمفرده لا يفسّر ما به تكــون تلك البنية ذات معنى. فيكون للبنية المفهوميّة معنى لأنّها متجسدنة أي أنّها نابعــة مــن التّجربة الجسديّة ما قبل-المفهوميّة[2] وترتبط بها وثيق الارتباط. فالبنية المفهوميّة قائمة على الأبنية ماقبل- المفهوميّة.

---

1 Meaning is not the mind.

2 Preconceptual bodily experience(s).

ويفتـــرض لايكـــوف قـــيام نـــوعين مـــن الأبنـــية في التّجربة ما قبل-المفهوميّة:

أبنية أساسيّة دنيا تتحدّد فيها المقولات الأساسيّة الدّنيا على أساس التّركّز[1] في الإدراك الجـــشطلتيّ وقـــدرة أجسادنا على الحركة وعلى ملكة تكوين صور ذهنيّة متنوّعة متعدّدة.

وأبنـــية خطاطـــيّة جامعة هي أبنية بسطى ممّا يتواتر عاليا في تجارب أجسادنا اليومـــيّة، مـــن قبـــيل المسالك، والحاويات والرّوابط والقوى والتّوازن ومن قبيل الاتّجاهـــات والعلاقـــات المخـــتلفة المتنوّعة بما فيها فوق-تحت وصعود-نـــزول وأمام-خلف وجزء-كلّ ومركز-أطراف، إلخ (لايكوف1987، 267).

وتنـــشأ البنـــية المفهوميّة المجرّدة من التّجربة الجسديّة بمستوييها مستوى البنية الأساسيّة الدّنيا ومستوى البنية الخطاطيّة بطريقتين:

- أولاهمـــا الإســـقاط الاستعاريّ من مجال الأشياء المادّيّة على مجالات تجريديّة (راجع قسم الاستعارة المفهوميّة أعلاه).
- ثانيـــتهما الإسقاط من مستوى المقولات الدّنيا الأساسيّة على المستويات العليا من المقولات العامّة (لايكوف 1987، 268).

فالتّجربة لا تحدّد البنية المفهوميّة ولكنّها تبرّرها (لايكوف 1987، 310).

والجسدنة عند لايكوف نوعان مفهوميّة ووظيفيّة:

تتمـــثّل الجسدنة المفهوميّة[2] في كون خصائص بعض المقولات نتيجةً لطبيعة الجـــسم البـــشريّ من حيث هو كائن حيّ ذو طاقات معلومة وهي نتيجة كذلك لتجربة العيش في بيئة مادّيّة ومحيط اجتماعيّ. وهذا خلافا للمعتقد الّذي يسلّم بقيام المفاهيم قياما ذاتيّا مستقلاّ عن طبيعة الجسد في الذّات المفكّرة وعن تجربتها الجسديّة في المحيط (لايكوف1987، 12).

أمّا الجسدنة الوظيفيّة[3] فقوامها أنّ بعض المفاهيم لا يُتمثّل تمثّلا تجريديّا وإنّما يـــستعمل بصفة آليّة غير واعية ودون عناء أي جزءا من اشتغال الجسد (لايكوف 1987، 12-13).

---

1 Convergence of gestalt perception.

2 Conceptual embodiment.

3 Functional embodiment.

مفهوم الجسدنة

يمكن أن نجمل الجسدنة في تنضّد المفاهيم في النّظام المفهوميّ وفي اللّغة بالاستتباع على أساس بعض الخصائص الجسديّة واشتغال الجسد في الحياة اليوميّة العاديّة.

فالجسدنة جملة "الآليّات العصبيّة والعرفنيّة الّتي تمكّننا من الإدراك ومن التّنقّل في مـــا يحيط بنا، وهي الآليّات نفسها الّتي تُنشئ أنظمتنا المفهوميّة وطرق التّفكير عندنا" (لايكـــوف وجونسون1999، 4). وإذ كان ذلك يكون من الضّروريّ فهم النّظام البصريّ والنّظام الحركيّ والنّظام العصبيّ بترابطاته، فهما دقيقا لكي نفهم الذّهن.

وللجسدنة أبعاد عديدة يمثّل الواحد منها ركيزة من ركائز المفهوم الأمّ الّذي تـــسعى الدّراسات الجسدنيّة إلى إقامته، ويمثّل البعد الواحد منها مفهوما جاريا في مجال بعينه من العلوم العرفنيّة في معناها الشّامل مقترنا بمظهر من مظاهر الجسدنة في ذلك المجال (روهرر2007)[1].

فمنها بعد فلسفيّ تعبّر فيه الجسدنة عن موقف ضديد للتّصوّر الدّيكارتي للذّهن، وقـــد ســـبق النّظر فيه، ومنها بعد متّصل بالتّموضع الثّقافيّ الاجتماعيّ عامّة وفيه تعبّر الجسدنة عن مظاهر السّلوك الاجتماعيّ والثّقافيّ الّتي يتموضع فيها الجسد. ومنها البعد الظّواهريّ من حيث تتضمّن الجسدنة إدراكَ الجسد من حيث دوره وموقعه في تحديد الهـــويّة والـــثّقافة من خلال عمليّات فكريّة واعية قصديّة أساسها الاستبطان. ومقابل ذلـــك تقوم الجسدنة على تمثّل للجسد على أساس روتين عرفنيّ يطلق عليه لايكوف وجونـــسون "اللاّوعـــي العرفنيّ" (1999) ومفاده أنّ الذّهن توجّهه عمليّات آليّة غير واعية على غاية من السّرعة بوجه يجعل الوعي بها غير متوفّر.

ومـــن الأبعـــاد ما تجري فيه الجسدنة على زاوية النّظر الذّاتيّة الّتي من خلالها تتأسّس الرّؤية الشّخصيّة الفرديّة الذّاتيّة، وفي ذلك خروج عن المألوف القائم على رؤية عامّة ومعرفة شاملة موضوعيّة موقعها زاوية نظر محايدة تَرى منها الذّات ولا تُـــرى[2]. وهـــو الأساس الّذي قامت عليه فكرة نمط التّناول عند لانقاكر في النّحو العرفنيّ وآليّة المقْولة عند ماك لوري (نظريّة زاوية النّظر[3] (ماك لوري 1997)) من جملة نظريّات كثيرة.

---

1 Rohrer.

2 Panoptic vantage point.

3 Vantage Theory (VT).

ومـــن أبعـــاد الجـــسدنة مـــا يهمّ تجسّد النّشاط العرفيّ في حامله العصبيّ (الفيزيولوجيا العصبيّة) من حيث قيس النّشاط بالوسائل المعلومة في الخليّة العصبيّة الـــواحدة وفي شبكاتها وذلك في مستويين العمليّات العرفنيّة الدّنيا أو البسطى من قبيل إدراك المكان أو العمليّات العرفنيّة العليا من قبيل حلّ المسائل والتّذكّر والتّخيّل والمظهرالزّمنيّ في اللّغة وغيرها.

وممّـــا ثـــبت في هـــذا المجال ما يطلق عليه ظاهرة "الخليّة العصبيّة المرآة"[1] أو الـــنّورون المـــرآة (جاليّزي وجماعته 1996، ريتزولاتّي وكريقير و2004)[2] في علم الأعـــصاب العرفيّ، وقوامها أنّ بعض الأنظمة العصبيّة الحركيّة الكائنة في القشرة ماقبل الحركيّة[3] من الدّماغ (عند القردة) تنشط عند قيام القرد الواحد بحركة ذاتيّة بواســـطة عـــضو من أعضائه كما تنشط عندما يشاهد ذلك القرد الحركة نفسها بالعضو المعنيّ يؤدّيها واحد من أبناء جنسه.

ومـــن الأبعاد المهمّة في الجسدنة ما يتوفّر في الرّوبوتيّة، حيث يقتضي الذّكاء (الاصـــطناعيّ) حـــاملا اصطناعيّا من معدن أو غيره يمثّل جسدا، هو ما به يكون التّفاعل بين الآلة الذّكيّة ومحيطها. وتنصبّ العناية على الجسدنة خاصّة في فرع من الـــرّوبوتيّة مجاله صناعة الرّوابيت المتآدمة[4] بما يجب أن يكون، من التّناسب بين ما تقتـــضيه العملـــيّات العرفنيّة الصّرف من أعمال، من جهة، وبنية الجسد الآليّ من أعـــضاء أو مكـــوّنات تتحقّق بها تلك الأعمال في المحيط، من جهة ثانية. فنشاط الرّوبوت وسلوكه يعتمدان شكل الجسد فيه.

مظاهر الجسدنة

تتجلّـــى الجسدنة في نماذج عديدة نورد في ما يلي بعضها وهي على مراتب مـــنها العـــاديّ البسيط ممّا يعيشه الكائن البشريّ في أبسط مظاهر الحياة ومنها ما يتعلّق بأعلى الوظائف العرفنيّة تصوّرا وتخيّلا ومفهمة واستحضارا. فإذا ما اعتبرت الجسدنة عودة الجسد إلى المباحث المتّصلة بالذّهن والفكر وقد غاب منها في بعض الأزمـــنة الماضية، فإنّه في الحياة اليوميّة يعود إلى الوعي، وعي الذّات بجسدها، في

---

1. Mirror neuron(s).
2. Gallese & alee, Rizzolatti & Craighero.
3. Premotor Cortex.
4. Humanoid(s).

بعض المقامات وقد غاب عنه في ما قبلها ثمّ لا يلبث أن يغيب من جديد ليعود مرّة أخرى.

فمن نماذج التّجسدن في تجارب الحياة اليوميّة ما يورده روهرر (2007، 339) في حال انقطاع التّيّار الكهربائيّ وانطفاء مصابيح الإنارة وما يكون للفرد من تلمّس للطّريق وتحسّس للأثاث في الغرفة أو بحث عن الأشياء أو نزول في السّلّم وما إلى ذلك، وفي هذه الحال يحضر الجسد، من حيث هو كلّ أو أعضاء، وقد غاب الوعي به في حال الإنارة العاديّة. فما كان من المشاكل، والنّور موجود، يجد حلاّ له في ما دون الوعي أي بوجه آليّ مباشر يصبح طاغيا غامرا للجهاز العرفنيّ عند الذّات، في حال الظّلام.

ومن نماذج التّجسدن ما يكون في توجيهات الطّريق عند إرشاد من لا يعرف وجهته فيسأل في شأنها، وفيها نلاحظ ما يفعله الشّخص الّذي يقدّم توجيهات للآخر للوصول إلى موقع دقيق من خلال كثير من المعالم المتداخلة ونلاحظ كيف يستدير أو يحوّل اتّجاه جسده في الفضاء ليكون -مثلا- الموقع المعنيّ مواجها له و/أو لسامعه وفي ضوء ذلك تتوزّع المعالم إلى ما قبل وما بعد وإلى يمين أو يسار، إلخ.

وفي ذلك الكثير من مظاهر الإسقاط الّتي تكون ما بين توجّهات أجسادنا وتوجّهات الأشياء ومن ذلك أمام السّيّارة والشّجرة والدّار أو الجامع وأمام المغازة وما إليها. والمشكل المطروح -هنا- عندما تتعدّد الأبواب أو المخارج من الجهات كلّها، فتصوّر مركزا تجاريّا مربّع الشّكل في كلّ جهة من جهاته مداخل فما هو الأمام والخلف فيه مثلا؟ ومن الموضوعات المهمّة في هذا دراسة التّوجيهات في كتب الرّحلات والجغرافيّين العرب وما به يكون تحديد المواقع في المكان عامّة وفي تعديد الأوصاف باعتماد الجسد وتوجّهه. وهو موضوع يذهب بنا بعيدا.

ويتّسع مفهوم الجسدنة ليشمل نماذج من الآلات والمصنوعات الأدوات الّتي تمثّل تجسّدا لمعرفة أو مهارة أي حلولا لها في حامل مادّيّ، ومن ذلك الأسطرلاب (هاتشنس1995) من حيث هو جملة من الصّفائح المعدنيّة الدّائريّة تجسّد العلاقات ما بين الأجرام السّماويّة في منازلها المختلفة في الفضاء بوجه يفوق دقّةً استحضارَها باعتماد الذّاكرة عند البحّارة.

ويرى هاتشنس في الأسطرلاب بمكوّناته المادّيّة وما تحمله من أشكال (خطّ الأفق، توزيع الزّمن على السّلّم المرقوم...) تجسّدا لأعمال اجتماعيّة ثقافيّة بوجهين:

أوّلهمـــا يكون به الأسطرلاب امتدادا للجسد، جسد البحّار أو النّوتيّ الّذي يـــستعمله استعمالا مادّيا فيزيائيّا بإدارة الصّفائح وقراءة المواقع فيها لمعرفة أوضاع الأجرام وحركاتها.

وثانيهما يكون به الأسطرلاب من حيث كان أداة مصنوعة تتجسّد فيها عن طريق التّرسّب أعمال فلكيّة متكرّرة على امتداد أجيال كثيرة من البحّارة وغيرهم. فيكون الأسطرلاب تجسّدا مادّيا لكلّ ذلك كما يكون مستعمله وريثا لمهارات من سبقه وقد صوّرت في حامل مادّيّ (هاتشنس1995، 96-97). فيمثّل الأسطرلاب، ومـــا شاكله من المصنوعات أو الحوامل المادّية، نوعا من المشدّ المادّيّ تتجسّد فيه المفاهيم والأفكار.

وقريب من هذا تجسّد الوحدات الزّمانيّة ودورها في أدوات قيس الزّمن (عند هاتـــشنس)، وهـــو ما يعتمده فوكونياي ليثبت جريان الإسقاط ما بين فضاءين ذهنيّين هما فضاء المكان وفضاء الزّمان، فيكون تمثّل الزّمان على أساس المكان (انظر **الأفضية الذّهنيّة** من هذا العمل).

ومن مظاهر الجسدنة ما يتوفّر في بعض اللّغات من تمثّل المواقع الفضائيّة على أســـاس أجـــزاء الجسد وفيها يجري الإسقاط ما بين الجسد والأشياء. ومنها لغات تجـــري فيها أسماء لأعضاء الجسد أدوات نحويّة (حروفا) تدلّ على مواقع في المكان (لايكوف 1987، ماك لوري[1] 1989).

ففـــي بعـــض لغات المايا الأصيلة في المكسيك الغربيّة[2] يكون التّعبير عن كون الحَجَـــر -مثلا- تحت الطّاولة بما معناه حرفيّا "الحجر موجود عند بطن الطّاولة"[3] وكذلك 'كون الشّيء فوق الجبل" يعبّر عنه حرفيّا بكونه على رأس الجبل، وكون الـــشّخص مـــستلقيا على الفراش بما معناه حرفيّا هو على وجه الفراش (لايكوف 1987، 313-314).

وقـــريب مـــن هذا تسمية بعض الأماكن برأس كذا (وهو ما دخل في البحر مـــسافة من الأرض) من قبيل: رأس أنجلة، رأس زبيب، رأس سرّات وما إليها في تونس، أو تسمية المجرّدات من قبيل 'رأس البلاء" أو 'رأس القوم' وما إلى ذلك.

---

1 MacLaury, Robert.

2 Chalcatongo Mixtec (Otomanguean language of Western Mexico).

3 Yuù wǎ hìyà čìì-mesá (stone the be-located belly-table).

ومــن نماذج الجسدنة أيضا ما يتّصل بالاكتساب اللّغويّ في الثّقافات المختلفة ما قام على مقارنة بين أطفال من الدّانمارك وإنجلترا من جهة وأطفال يتكلّمون اللّغة الزّابوتيّة[1] (واحدة من لغات المايا) من جهة أخرى.

فقــد أثبت يانسن دي لوباز وسِنها[2] (2000، 2002) أنّ الأطفال المتكلّمين بالــزّابوتيّة يكتسبون أسماء الأعضاء من الجسد في البداية على أنّها أدوات تعبّرعن علاقــة فــضائيّة ثمّ يجرونها في مرحلة لاحقة أسماءً على أجزاء الجسد كما أثبتا أنّ الأطفال الدّانماركيّين والإنجليز يكتسبون الأسماء على أنّها جارية على أجزاء الجسد ثمّ يجرونها في العلاقات الفضائيّة في وقت لاحق.

وتفــسير ذلك قائم -عندهما- على فرضيّة تدعم تجسدن الذّهن على أساس ممارســات ثقافيّة اجتماعيّة بالإضافة إلى قيامه على أسس عصبيّة-فيزيولوجيّة. فقد ذهــب الباحــثان إلى أنّ لنمط التّربية علاقة بذلك، فالأطفال الزّابوتيّون يقضّون العــامين الأوّلــين محمولين على ظهور أمّهاتهم فيكون إدراكهم للفضاء (المكان) وتمــثّلهم إيّــاه من زاوية نظر أمّهاتهم وهن يحملنهنّ على ظهورهنّ، وعلى خلاف ذلك ينشأ الأطفال في الثّقافتين الدّانماركيّة والإنجليزيّة مستقلّين في المكان يتحرّكون فيه معتمدين على أنفسهم، فيدركون الفضاء ويتمثّلونه بناء على مواقع أجسادهم فــيه. فمن تمثّل من الأطفال المكان من زاوية جسم الأمّ تمثّله في البداية على أنّه في علاقــة بأعضاء الجسم (جسم الأمّ) وهي تتّجه فيه فأسماء الأعضاء جارية أدواتٍ على العلاقات الفضائيّة ثمّ بعد ذلك يستقلّ عنده مفهوم الجسم جزءا جزءا ليجري جريان الاسم، وعلى خلاف ذلك، من يتمثّل من الأطفال المكان من زاوية جسمه وهــو يتّجه فيه تعلّم الأسماء جاريةً على أجزاء الجسد أوّلا ثمّ أجراها في التّعبير عن العلاقات الفضائيّة لاحقا.

ومــن نماذج الجسدنة تمثّل المفاهيم التّجريديّة على أساس جسديّ فيزيولوجيّ، ومــنها مفهوم الغضب. فقد كانت تُعتَبر الانفعالات أحوالا ذهنيّة (عرفنيّة) صرفا ولا اختلاف بينها من زاوية فيزيولوجيّة (شاشتر وسنجر[3] 1962)، ولكن ذلك غير ثابت إذ تبيّن أنّ سرعة دقّات القلب وارتفاع درجة الحرارة السّطحيّة في الجسم متواتران في

---

1 Zapotec.

2 Jensen de lopez & Sinha.

3 Schachter and Singer.

الانفعـــالات المختلفة (ليكمان وليفنسان وفريزن[1] 1983). ويتّخذ لايكوف من هذه الحقيقة رافدا يسند تجسدن الانفعال بتوسّط النّظام العصبيّ الفيزيولوجيّ، ويسند كون الاستعارات والمجازات المعبّرة عن الانفعال مبرَّرة فيزيزلوجيّا أي جسديّا، وبذلك يفسّر قـــيام الاســـتعارات الجاريـــة في الغـــضب على مفهومي الحرارة والضّغط الدّاخليّين (لايكوف 1987، 380وما بعدها) فيكون تمثّل الغضب إجمالا كما يلي:

الجـــسد حاويـــة **والغضب نار** والدّم ماء والنّار تفعل فعلها في الدّم فتحرق، وتسخّن وتغلّي وتفجّر، وتقاوَم بالإطفاء أو التّهدئة أو يمكن أن تؤدّي إلى الانفجار بزيادة الضّغط والغليان فيكون الضّرر:

(3) غلى الدّم في عروقي.
فار الدّم في عروقي.
تركته يغلي وخرجت.
دمه سخن، فهو سريع الغضب.
دمه بارد، فهو لا يغضب سريعا.
برّد دمك، يا رجل.
سأنفجر من الغضب (ماش نطّرشق، أنا ماش نتفلق (تونسيّة)).
كان يرتعش من شدّة الغضب.
يتطاير الشّرر من عينيه.
احمرّ وجهه غضبا. أحمرّت عيناه غضبا. هو يحمّر عينيه عليه.
رأسه ساخن.
أعماه الغضب.
أخذ الدّجاج الأسود يدور بـــي.
أنا عندما أغضب، لا أرى شيئا.

فالغضب منوال عرفيّ منضّد تنتظمه بنية، هي بنية كامنة في اللّغة تتحكّم في جمـــيع النّماذج العباريّة الّتي يتحقّق فيها المفهوم، وهو منوال مجسدن تجسدن الكثير من المناويل المتعلّقة بالمشاعر والانفعال وغير ذلك.

وتقـــوم الاســـتعارات الواردة في (3) على نوعين من التّناسبات أنطولوجيّة وإبستيميّة:

---

1 Ekman, Levenson and Friesen.

تجري التّناسبات الأنطولوجيّة ما بين المجال المصدر (حرارة السّوائل في حاوية) والمجال الهدف (الغضب): فالحاوية تناسب الجسد، وتسخين السّائل عمليّةَ الغضب، ودرجة السّخونة في السّائل درجةَ الحدّة في الغضب، وحرارة الحاوية حرارةَ الجسد، والضّغط في الحاوية الضّغطَ الدّاخليّ في الجسد، غليان السّائل واضطرابه غليانَ الدّم واضطراب الجسد، والانفجار غيابَ السّيطرة والتّحكّم في الجسد، وهكذا إلى أن تستقصى وجوه التّناسب المختلفة بما فيها أنّ برودة السّائل تناسب غياب الغضب، كما في قولنا "دمه بارد، له دم الإنجليز... فهو لا يغضب".

وتجري التّناسبات الإبستيميّة على أساس التّناسب بين المعارف العامّة المتعلّقة بكلّ من المجالين (الهدف والمصدر)، وذلك من قبيل أنّ كلّ ارتفاع في حرارة سائل محبوس في حاوية مآله الانفجار تناسب ارتفاعا في حرارة الجسد بفعل الغضب يكون له الاضطراب والخروج عن السّيطرة والتّحكّم، وأنّ الانفجار يضرّ بالحاوية وبما يحيط بها وكذلك الانفجار في الغضب يضرّ بصاحبه وبمن معه في محيطه (لايكوف 1987، 387).

خاتمة

تمثّل الجسدنة عودة للجسد الغائب منذ قرون إلى مباحث الذّهن - على حدّ عبارة روهرر (2007)- وعودة بالذّهن (العقل) إلى حامله الجسديّ (المادّة) منتجا له مباشرة أو وسيطا بينه وبين العالم ييسّر تمثّله واستيعابه. فيكون الذّهن على هذا مجسدنا والعرفنة كذلك بما لها من مناويل مجسدنة رأسا من حيث مضامينها ومناويل متّصلة بصفة آليّة ومباشرة بالأولى.

وتظلّ نظريّة الجسدنة في حاجة إلى إثبات الأرضيّة النّفسيّة لتحقيق الكفاية النّفسيّة باعتماد حقائق يسطّرها علم النّفس العرفنيّ، وأمام هذا الطّريق طويلة من المفروض أن تتجاوز مباحث اللّغة.

الفصل الخامس

الأفضية الذّهنيّة

مثّل اكتشاف التّرابطات العرفنيّة أو إعادة اكتشافها في منتصف السّنوات 1970 منطلقا لأبحاث عديدة في طبيعة الدّلالة اللغويّة وفي علاقتها بانتظام الفكر. فكان التّخلّي تدريجيّا عن التّناول المنطقيّ الشّكليّ للدّلالة ليقوم الدّرس الدّلاليّ على الأبنية العرفنيّة الّتي تساهم العبارة اللّغويّة في تشكّلها من قبيل الإسقاط الاستعاريّ[1] وانتظام الأطر[2] والأدوار[3] وتشكّلات الرّسم-الأرضيّة[4] والدّالاّت التّداوليّة في المجاز المرسل[5] وترابطات الأفضية الذّهنيّة والخطاطات العرفنيّة[6] والمناويل الثّقافيّة[7]. وفي هذا الإطار تندرج أعمال فوكونياي الّتي تكوّن نظريّة الأفضية الذّهنيّة[8].

تنضوي أعمال فوكونياي في تيّار يدحض مسلّمة منطقيّة يعتقد أصحابها أنّ الدّلالة اللّغويّة يمكن الإحاطة بها باعتماد أدوات من المنطق الشّكليّ، فهو يرى أنّها أدوات قاصرة في تفسير الكثير من الظّواهر اللّغويّة، ويسعى إلى إقامة بديل نظريّ لها يقوم على طاقة الذّهن البشريّ عوضا عن طاقة الحسابات الرّياضيّة الّتي يستعملها المناطقة.

كما يرفض ما دأبت عليه الفلسفة والأنحاء التّقليديّة من الاكتفاء بالجملة معزولةً موضوعا أساسيّا للدّراسة. ويفسّر ذلك بما كان سائدا من قبيل البداية بدراسة الجزئيّ البسيط النّموذجيّ لتحديد قوانين بنائه الجيّد من حيث بنيته

---

1 Metaphoric projection.

2 Frame organization.

3 Roles.

4 Figure-ground configurations.

5 Metonymic pragmatic functions.

6 Cognitive schemas.

7 Cultural models.

8 Mental Spaces.

الإعــرابيّة ودلالــته ثمّ الإلمام بالبنية اللّغويّة العامّة في مرحلة تالية بنوع من التّعميم يــنقاس فــيها المعقّد الغريب الشّاذّ من الأبنية على البسيط النّموذجيّ. ولكنّ هذا الــتّوجّه مُوقِــع في الكثير من المغالط والمزالق- في رأي فوكونياي- إذ قلّما يكون الجزئيّ المحدود المتواتر متضمّنا الأحوال العامّة، ثمّ إنّ هذا يؤدّي إلى إساءة توزيع في المعطيات وصفا وتحليلا.

وتنطلق تساؤلات فوكونياي من ظاهرة متواترة في الخطاب تحيل فيها العبارة على معناها أو مرجعها إحالة غير معهودة إذ لا يمكن تفسيرها بمداخل معهودة:

مــن ذلــك ما يمكن سماعه في بعض المطاعم من تسمية الزّبون بما طلب من المأكل أو المشرب من قبيل:

صحن السّمك يريد بعض اللّيمون.

حيث يطلق 'صحن السّمك' على شخص يتناول السّمك.

وهــذه الظّاهرة وقريب منها كثير إنّما تسمح بها عدد من العناصر المترابطة منها المكان والخدمة المقدّمة ودور الواحد في ذلك من طبّاخ ونادل وزبون وعمليّة التّبادل القائمة على تقديم الأطعمة بمقابل وما إلى ذلك ممّا يمكن أن يجتمع في إطار "خدمة المطاعم".

ومــن الأمثلة كذلك ما يجري في تونس - مثلا- في محطّات غسيل العربات مــن تــسمية الزّبون بنوع سيّارته في عبارات من قبيل "المرسيداس على عجل" أو "الفــورد جاء قبل الفيات" أومن قبيل ما يُسمع من شرطيّ المرور يخاطب زميلا له موضّــحا سبب تعطّل المرور في نقطة محدودة من الطّريق "الفورد يلزمو يخرج" أو "الفورد داخل في اتّجاه ممنوع" وما إلى ذلك.

ونظريّة الأفضية الذّهنيّة منوال في العلاقة بين الدّلالة والعرفنة ينطلق من تفسير الظّواهر المتواترة من قبيل ما ذكر منذ أسطر، سعيا إلى إقامة نظريّة أوسع في علاقة اللّغــة بالعــرفنة يكون فيها الكشف عن الاتّصال ما بين النّحو والتّجربة في جميع المــستويات وما يكون به بناء الواقع والتّجربة والتّعبير عنهما عند الإنسان باعتماد العبارة اللّغويّة.

ومــن منطلقات فوكونياي أنّنا نستعمل اللّغة للحديث عن الأشياء الموجودة كمــا هي في حال الكون والتّجربة، وعمّا يمكن أن يوجد، وعمّا سيوجد، وعمّا نعتقد أو نتصوّر وجوده، وعمّا نتمنّاه أو نفترضه كائنا وعمّا نراه رؤية العيان وعمّا

بـــه نُقنع وما نتخيّله في القصص والرّوايات وعمّا كان وعمّا كان من المفروض أن يكـــون وغير ذلك. ولئن اختلفت هذه المظاهر في طبيعتها بما تقوم عليه من تقسيم للـــزّمن ومن العوالم الممكنة والعوالم المستحيلة ومن أحوال القصد وأحوال المعرفة بالأشـــياء والكون وغير ذلك من مظاهر الاختلاف، فإنّها تجتمع في مستوى يكون لها فيه نفس الأدوات في تكوين الأبنية العرفنيّة، وكلّ ما يجب فعله هو البحث في مـــا بـــه تشتغل هذه الوجوه اشتغالا واحدا من زاوية دلاليّة منطقيّة ونحويّة لغويّة.

ومن أهمّ الأفكار والمبادئ عند فوكونياي، مفهوم الإطار والتّحليل الإطاريّ ومـــا يـــستتبع ذلك من مفهوم الدّور والقيمة وهو في جميع ذلك مواصل لمبادئ وظيفيّة في التّحليل اللّسانيّ والدّلاليّ ولكنّه موظّف إيّاها في مستوى تصوّريّ ذهنيّ يجد له مظاهر عديدة في النّشاط اللّغويّ الخطابيّ.

ويتمـــثّل برنامج البحث عند فوكونياي في الانتظام المفهوميّ الكامن في انبناء المعنى عن طريق الخطاب بوجه تستطيع به الأطراف فيه متابعة الخطاب في ديناميّته قـــصد تحقيق الغايات التّواصليّة والفكريّة. وإذ مثّلت اللّغة واحدا من تجلّيات ذلك الانـــتظام يكـــون مـــن الطّبيعيّ أن تعكس بنيتها بنية الفضاء الذّهنيّ، ويكون من الطّبيعـــيّ كذلك أن نجد في أنحاء اللّغات الطّبيعيّة أدوات بها يتمكّن المتخاطبون من تبـــيّن عدد من المظاهر كلّما كان ذلك مفيدا أثناء انبناء المعنى في الخطاب من قبيل نقطـــة الانطـــلاق في الخطاب وهي الفضاء الأساس، ومن قبيل الفضاء الّذي يمثّل موطن البؤرة أي ذاك الّذي يمثّل مادّة الوعي في لحظة ما وإليه ينضاف شيء جديد، ومن قبيل التّرابطات بين الأفضية المختلفة ومن قبيل التّشكّلات الدّاخليّة في الفضاء الـــواحد. وقـــوام هذه العمليّات جميعا -عند فوكونياي- هو مبدأ الاهتداء[1] كما يكون بيانه لاحقا.

الرّوابط العرفنيّة

ثـــبت في الدّراسات العرفنيّة أنّ البشر يهتدون إلى نفس المعلومات ويعالجونها بطـــرق مختلفة في سياقات ومقامات مختلفة وفرضيّة "آثار الأولنة"[2] في علم النّفس

1 Access, access principle.

2 Priming effects.

دليل قاطع على ذلك. ولكنّ الدّلالة الموضوعيّة[1] تركّزت أساسا في المظاهر المعنويّة الّتي تقبل التّحليل بصرف النّظر عن المقام أو السّياق، ملقية بما تجاوز ذلك من المظاهر إلى التّداول. ولكن بات من الثّابت أنّ الوظيفة الأساسيّة للبنية اللّغويّة إنّما تكمن في تحديد قابليّة الاهتداء الاختلافيّة وفي استغلالها من زاوية عرفنيّة. فالبنية اللّغويّة في أساسها متشكّلة تشكّلا سياقيّا مقاميّا.

ويجد فوكونياي في ذلك مدخلا يثبت ضرورة البحث في ما يمكن للذّهن أن يقيمه من عمليات ربط في مختلف السّياقات وفي ما يكون للسّياقات المختلفة من آثار في انبناء المعنى. ومن مظاهر الرّبط ما بين مجال[2] وآخر أن يجري اللّفظ الواحد أو العبارة الواحدة المنتمية إلى مجال ما قادحا[3] يحيل على وحدة هدف[4] من مجال عرفنيّ آخر. يجمل فوكونياي بعضا من أنواع الرّبط في بعض الدّالاّت[5] التّداوليّة والمجاز المرسل والاستعارة والقياس وربط الدّور بالقيمة والاهتداء إلى التّطابق والعلاقات الرّابطة بين العالم المتصوّر ونظيره في الواقع.

ومن أمثلة الدّالّة التّداوليّة الرّابطة ما بين مجال وآخر أن يترابط المؤلّفون والكتب بواسطة دالّة تجمع المؤلّف بكتابه أو أعماله. فيجري في هذا اسم المؤلّف أو صفاته – وهو القادح هنا– ليحيل على الكتاب – وهو الهدف. كما تربط نفس الدّالّة ما بين مجال الزّبائن ومجال البضاعة فتحيل البضاعة على الزّبون أو بين مجال المالك وما يملك فيحيل الشيء المملوك على صاحبه:

(1) أ. يشغل ابن خلدون رفّا كاملا في المكتبة.

ب. ربع الدّجاج يريد بعض الهريسة.

ج. المرسيداس على عجل فالأولى تبجيله.

ومن ذلك أن يترابط التّمثيل بما يمثّل له:

(2) في الصّورة، الفتاة ذات العينين الخضراوين، عيناها زرقاوان. (عن جاكندوف 1975)

---

1 Objectivist semantics.

2 Domain.

3 Trigger.

4 Target.

5 Pragmatic function(s)

وفي ضوء ذلك يقيم فوكونياي مبدأ عامّا نصّه:

كــلّ مفهوم يقتضي في تمثيله فضاءين ذهنيّين، يكون الواحد منهما أوّليّا[1] والآخر تابعا له.

وتمثّل هذه العلاقة قادح–هدف جزءا من الأبنية العرفنيّة الّتي تحكم تمثّلنا للعالم الّذي نعيش فيه، وهي ما يسهّل إجراء عبارة مقترنة بوحدة من مجال ما على وحدة مربوطة بها من مجال آخر.

ومــن خصائص العرفنة البشريّة قيامها على التّطابق[2] وهو أن تُجري روابط بين وحــدتين في ســياقات متباعدة في الزّمان أو في المكان وتَعتبر الوحدتين متطابقتين أو تمثّلان الشّيء نفسه. فقد يذكر الواحد منّا شخصا عرفه منذ زمن بعيد ورغم الفوارق الزّمنيّة وما تجرّه من تغيّر في القسمات أو الشّكل بفعل الزّمن والتّقدّم في السّنّ وما إلى ذلــك ثمّ يلقاه فيعرفه بعد مدّة طويلة أي في سياق زمانيّ أو مكانيّ آخر، وجميع ذلك قائم على ربط على أساس التّطابق بين الشّخص في السّياقين. فالشّخص عند التّأمّل قد تــبدّل فلم يعد هو نفسه الّذي كان فهو في الواقع شخص آخر ولكنّ بعض الملامح المشتركة بين صورتيه أو تمثيلَيه (صغيرا في زمن بعيد، وكبيرا في زمن لاحق) تمثّل رابطا عرفنيّا بين شيئين من مجالين مختلفين على أساس أنّهما متطابقان.

ويمكن أن ينضاف إلى هذا أمثلة كثيرة من قبيل التّعرّف على الأماكن عند العود إلــيها بعد الغياب الطّويل أو التّعرّف على الأماكن وقد عرفها الشّخص في زمن من الأزمنة، انطلاقا من صورة لها أخذت في زمان متقدّم، فمن يعرف منطقة باب الخضراء في تونس–مثلا– في مطلع هذا القرن بما هي عليه من الهيأة يمكنه أن يتعرّفها من خلال صــورة أو صور فوتوغرافيّة كانت لها قبل العشرات من السّنوات وذلك بناء على ما يجد فيها من معالم كبرى يكون بها التّطابق وإن تغيّرت الجزئيّات وتبدّلت.

العلاقات الرّابطة بين العالم المتصوّر ونظيره في الواقع

مــن القــدرات العرفنيّة أن يكون لنا تمثيل لرؤية الذّات للكون ورؤية الآخر (ين) له من نفس الزّاوية أو من زوايا أخرى. هو ما يجري التّعبير عنه في المحاورات اليوميّة البسيطة بعبارات من قبيل:

---

1 Primary.

2 Identity.

(3) أ. اجعل نفسك مكاني فما عساك تفعل؟

ب. لو كنتُ مكانك لفعلت كذا وكذا.

ج. مكانك أنا أفعل كذا وكذا.

وفي جميعها تمثّل لعالَمين ثانيهما مبنيّ على الأوّل من حيث كانت الذّات قد تمثّلت رؤية الذّات الأخرى لذلك العالم من زاويتها هي ثمّ أقامت على تلك الرّؤية رؤية أخرى هي لها لذلك العالم ولكنّها أضافت ما هو من زاويتها هي بأن يكون منها ما لم يكن من الأولى من فعل أو قول أو تصرّف.

ومن رؤى الكون، ما ننشئه من عوالم متصوّرة تقابل العالم الواقع. يكون ذلك في التّمنّي أو التّرجّي وفي أبنية الشّرط وكلّ ما عبّر في اللّغة عن الإمكان عموما. يقوم ذلك على الرّبط بين حالين للعالم واحدة منهما واقعة والأخرى متخيّلة بناء على الأولى تطابقها في الكثير من الخصائص ولكنّها تختلف عنها في بعض منها:

فالتّمنّي مثلا قوامه عالم واقعيّ – أو متصوّر على أنّه كذلك– منطلقا وعالم متخيّل هدفا، مع فارق في حضور شيء في المتخيّل وهو مفقود في العالم الواقع. ففي مما يلي على سبي المثال:

ليت زيدا يصل الآن.

ليت هندا أنجزتنا ما تعد.

يتوفّر عالمان الأوّل منهما عالم الأشياء زمن القول بما فيه من أشخاص وأوضاع وأحداث والثّاني عالم آخر هو نفس الأوّل في كلّ أحواله ويُبنى عليه حال جديدة هي شخص زيد أو إنجاز الوعد. فيكون الرّبط بين فضاءين ذهنيّين واقعيّ وممكن، يرث الممكن منهما سمات الواقعيّ وفق مبدإ الوراثة[1].

علاقات المجاز المرسل

يمثّل المجاز المرسل منذ القديم دلالة اللّفظ على معنى ليس له في الأصل بعلاقات متنوّعة أساسها الانتماء أو الاحتواء. وهذا الأمر مرتبط بالتّجربة وبما يقوم فيها من ترابطات بين الأشياء بعضها طبيعيّ من قبيل علاقة الجزء بالكلّ (يد–جسم، عين–جسم...) أو الأثر بآلته (العطايا– اليد، النّبات – المطر...) وبعضها ثقافيّ مؤسّسيّ (زبون– بضاعة، مملوك – مالك، كتاب– كاتب...) وما إلى ذلك.

---

1 Inheritance.

وإذ تـــندرج الوحدات من زاوية تصنيفيّة مقوليّة في مجموعات أو مفاهيم أكـــبر يمكـــن أن تكون الواحدة منها قادحا يحيل على وحدة هدف تنتمي إلى الإطـــار نفسه. فدلالة" يد" على 'العامل' تقوم على رابطين ثابتين في التّجربة – حسب فوكونياي (1996، 4)- أوّلهما يتمثّل في أنّ البشر والبشر فقط لهم أياد وثانـــيهما أنّ العمـــل البشريّ قائم على استعمال اليد. وهذا ما جعل 'يد' صالحة لتحيل على العامل. ويمكن أن ينضاف إلى هذا المثال كثير من العربيّة جميعها يدعم مـــا يـــذهب إلـــيه فوكونياي ولكنّ بعضها يفتح الباب لإمكانيّة في الرّبط تكون للـــوحدة الواحدة بوحدات أخرى لا تنتمي إلى الإطار نفسه بالضّرورة كما يظهر في ما يلي:

(4) أ. له عليّ أياد كثيرة.
ب. أُسقط في يده.
ج. اليد العاملة كثيرة في المدينة.
د. تدوم السّيّارة إذا كانت على يد واحدة.
هـ. اليد الواحدة لا تصفّق.
و. من أمسك بالإصبع أمسك اليد كلّها.
ز. كان فلان جالسا بين يديه.
ح. دُهن ثلاثه ايدين.[1]
ط. فلان يده خفيفة.[2]
ي. هو بيده.[3]

تحـــيل "اليد" على وحدات تنتمي إلى أطر مختلفة منها إطار" النِّعَم" في (4. أ) وإطـــار "الحيرة" حالا ذهنيّة في (4. ب) وإطار "العامل" في (4. ج) وإطار "قيادة العربات" في (4. د) وإطار "العائلة" في (4. و) وإطار "المجموعة" في (4. هـ) في تعاونها وإطار "الاتّجاه" في (4. ز) بدلالتها على الأمام وإطار "الطّلاء" في (4. ح) مفردا أو متعدّدا وإطار "السّرقة" في (4. ط) وإطار "توكيد الهويّة" في (4. ي) وإن أمكن عدم اعتباره في سياقنا هذا لاتّصاله بعمل التّوكيد.

---

1 عبارة تونسيّة للطّلاء على ثلاث طبقات.
2 عبارة تونسيّة لوصف شخص بكونه سارقا.
3 عبارة تونسيّة لتوكيد الذّات: هو عينه.

ولــئن استقام مبدأ الرّبط وقيامه على أساس التّجربة فإنّ الهدف متعدّد وإن كــان القــادح واحدا. وفي ضوء هذا يمكن أن نتصوّر في تعدّد الأهداف وتعدّد الأفــضية الذّهنــيّة وتعــدّد الأطر بالاستتباع تعدّدا في مسالك الرّبط بين القادح والهــدف. وتعدّد مسالك الرّبط أساسه تعدّد التّجربة الّذي يمثّل تعدّدا للأطر الّتي يدخل القادح في تكوينها وبنائها. ويسهل تعدّد المسالك هذا بما بين الأطر العرفيّة مــن تقاطع وتداخل تكون بمقتضاه الوحدة الواحدة مشتركة بين أطر عديدة تمثّل نقطــة مــن نقاط تقاطع أخرى تكون بفعل التّجربة وتمثيلها وفق أنماط مخصوصة. فالانــتماء إلى الإطــار شــرط أساسيّ لتحقّق الرّبط بين فضاءين عرفيّين ولكنّه غيركــاف بمفــرده إذ تنــضاف إلــيه التّجربة في تنوّعها الّذي تتنوّع به مسالك الرّبط. ومثل هذه المعطيات داعم لما يقترحه فوكونياي (1996) من تناول لظاهرة المجاز المرسل باعتماد تحليل إطاريّ موسّع.[1]

الأدوار والقائمون بها

تعرَّفُ الأطر بكونها تمثّلات أو تصوّرات منظّمة لوجوه اشتغال الكون، وهذه الأطــر تمكّنــنا من استعمال كلّ ما يتوفّر من معطيات وإجرائها في وجوه عديدة ممكــنة تضمن التّفاهم على أساس واضح غير مكلف، حيث تحيل الوحدة الجارية علــى معــناها وتفهــم دون عناء ما كان الإطار الّذي تدخل في تكوينه ماثلا في الذّهن.

ويتضمّن الإطار إضافة إلى الوحدات الّتي تشارك في تكوينه دور الواحدة منها مفــردا كــان أو مــتعدّدا، فلا يكون تحديد الأدوار إلاّ في ضوء تأطير[2] للتّجربة الفيزيائيّة المادّيّة أو الثّقافيّة الاجتماعيّة:

فالدّور مهما كان نوعه إنّما يوجد في ضوء تصوّرنا لبنية الإطار الّذي تكون فــيه الــوحدة مشاركة، من ذلك أنّ دور الأبوّة أو البنوّة لا يُتصوّر إلاّ في إطار الأسرة، وكذا الرّئاسة والوزارة وما إليها في إطار مؤسّسة الدّولة.

وبين الدّور والقيمة[3] (أي القائم به) وجوه عديدة في الإسقاط:

---

1 Extended 'frame metonymy' analysis.

2 Framing.

3 Value (filler).

فالدّور أحاديّ القيمة بالأساس ذلك أنّ الدّور الواحد لا تؤدّيه إلاّ ذات مفردة، كأن يكون دور الأب في الأسرة لذات واحدة معلومة في إطار الأسرة، والمعرفة بهذا الدّور قد تسهّل الاهتداء إلى القائم به بحكم تلك الأحاديّة.

أمّا الذّات الواحدة فيمكن أن تكون متعدّدة الأدوار، فالذّات المعروفة في إطار الأسرة مثلا على أنّها الأب يمكن أن يكون لها أدوار أخرى في الإطار الواحد أو في أطر أخرى فقد يكون زوجا في إطار الأسرة النّوويّة وابنا وأخا وعمّا وما إلى ذلك في إطار العائلة الموسّعة وصديقا أو عدوّا في أطر أخرى، ومديرا أو سائق سيّارة أجرة في إطار العمل. ولذلك ليس من المفروض أن نهتدي بسهولة إلى الدّور باعتماد معرفتنا بالذّات.

ويعتبر فوكونياي أنّ بنية الأطر والأدوار تمثّل واحدا من أحسن ما يمثّل الاهتداء العرفنيّ الاختلافيّ[1]. ومن أمثلة ذلك قولنا: "للمدير أنف أفطس" حيث تنسب الصّفة إلى الشّخص في ذاته لا إليه قائما بدور المدير، أو تسند إليه صفتان أو أكثر بناء على تعدّد الأدوار كما في قولنا:

زيد أب ممتاز وزوج مخلص ولكنّه مدير أعمال فاشل.

ومن خصائص الدّور كونه مفهوما نسبيّا أي يكون في بعض الأحيان دورا لقيمة في مستوى ما وهو قيمة لدور في مستوى آخر أرقى في نفس الإطار: فعبارة 'الوزير الأوّل' – مثلا- يمكن أن تكون دورا لقيمة (القائم به) كما في: "زيد هو الوزير الأوّل" ويمكن أن تكون قيمة لدور أرقى في الحكومة كما في قولنا: "الوزير الأوّل هو رئيس الحكومة".

مبدأ الاهتداء

تعكس البنية اللّغويّة بكلّ دقّة مظاهر العرفنة البشريّة. وأحسن حجّة عند فوكونياي تتمثّل في قدرتنا على تسمية الأشياء باعتماد ترابطات عرفنيّة متّصلة بالتّجربة البشريّة تمكّن السّامع من الاهتداء إلى المرجع المقصود، وذلك عوضا عن تسمية الأشياء في ذاتها. والنّماذج الواردة في دراسة التّرابطات العرفنيّة بين المجالات المختلفة تثبت ذلك كمّيّا ونوعيّا.

---

1 differential cognitive accessibility.

يصوغ فوكونياي لمبدإ الاهتداء التّعريف التّالي:

يمكـــن لعبارة تسمّي أو تصف وحدة معلومة من مجال ما أن تجريَ للإحالة علـــى وحدة أخرى من مجال آخر، تسمّى الوحدة الأولى قادحا وتسمّى الثّانية هدفا وعمليّة الإحالة اهتداء.

والـــشّرط في قيام عمليّة الاهتداء أن يكون المجال الثّاني ممّا يمكن الاهتداء إليه عرفنيّا من المجال الأوّل، وأن يكون التّرابط بين القادح والهدف. يتحقّق التّرابط في أداة أو قرينة ظاهرة.

الفضاء الذّهنيّ

الفـــضاء الـــذّهنيّ هـــو جملة المعلومات المنظّمة المتعلّقة بالمعتقدات والأشياء. ويتكوّن من عناصر وليس من الضروريّ أن تكون لتلك العناصر مراجع (في المعنى الـــسّوسيريّ)، وقد يحدث أن يطابق فضاء ذهنيّ حالا من حال الأشياء في الكون (مطابقـــة كلّيّة أو جزئيّة) فيكون التّطابق بين عنصر من عناصره وشيء في الواقع، ويكـــون التّطابق بين خصائص ذلك العنصر وخصائص الشّيء الواقعيّة. ويمكن أن يمـــثّل الفضاء الذّهنيّ عالما متخيّلا منبنيا بوجه من الوجوه فليس من الضروريّ أن يكون خاضعا للتّقييم العقليّ المنطقيّ فيعتبر مستقيما أو غير منطقيّ.

يكـــون بـــناء الأفضية الذّهنيّة في جميع الأنشطة الرّمزيّة لعلّ أبرز ممثّل لها هو النّـــشاط اللّغـــويّ. فالمتكلّم إنّما ينشئ ما لا نهاية له من الأفضية الذّهنيّة في جميع الأقـــوال الّـــتي ينجـــزها من قبيل المحادثات والقصص والخرافات والشّعر والرّواية والمـــسرح ونشرات الأخبار ونشرات الأحوال الجوّيّة ودروس الرّياضيّات وما إلى ذلك، وكذا الكاتب والرّسّام في اللّوحات أو الصّور المتحرّكة أو الأشرطة المصوّرة وما إلى ذلك.

تنـــشأ الأفضية الذّهنيّة نشوءا فوريّا أثناء الكلام وتتعدّد وتتناسل، كلّ ذلك بـــوجه آن-قـــوليّ (فـــوريّ آنيّ)[1]. فالفضاء الذّهنيّ بنية عرفنيّة تُبنَى فيها المجالات وتنتظم وتترابط بأنواع من التّرابطات ما بين المجالات.

ففي قولنا مثلا:

يبدو زيد شابّا في هذه الصّورة.

---

1 Online

ينبني فضاءان ذهنيّان أوّلهما واقعيّ هو شخص زيد في العالم الحقيقيّ أي كما يعــرفه المــتكلّم والــسّامع على هيأته الواقعيّة وهي مستمدّة من التّجربة والمقام، وثانيهما فضاء ذهنيّ هو الصّورة الّتي تعرض ملامح الشّخص زيد، ففي كلّ واحد مــن الفــضاءين يوجد "زيد" وهما نظيران[1]. ويترابط الفضاءان عرفنيّا على أساس الــتّطابق ما دام المعروض في الصّورة شبيها بالمعلوم في الواقع وإن كان ذلك مجرّد اهتداء إذ لا سبيل إلى أن يكون زيد الحقيقيّ لحما ودما هو زيد في الصّورة بألوانها وظلالها.

بناة الأفضية

تمــثّل بــناة الأفضية[2] آليّات يستعملها المتكلّم ليجرّ سامعه إلى تأسيس فضاء ذهــنيّ جديــد. وهي العبارات المتحقّقة في الخطاب (مركّبات أو وحدات نحويّة) تؤسّــس فضاء ابنا لفضاء أساس يترابطان بوجه ما. ولا تحمل بناة الأفضية في ذاتها معلــومات عــن الفضاء الجديد، وتتكوّن من الأسماء والصّفات وكلّ ما يعبّر عن الزّمان والمكان وغيرهما من الأطر الافتراضيّة، وفي ما يلي نماذج من ذلك:

(5) عام 1959، كان هذا الكهل ذو الشّعر الأبيض شابّا يافعا.

تــبني العــبارة (عام1959) فضاء ذهنيّا يختلف عن الفضاء الأساس أي عالم الواقع الموافق للزّمن الحاضر (الآن)، وفيه (شاب يافع) نظيرا للكهل بشعره الأبيض. فالتّرابط كائن بتطابق هيأتين للشّخص الواحد.

(6) في الصّورة تبدو خولة أجمل.

الفــضاء الأساس هو عالم الواقع (ملامح خولة كما هي معروفة الآن) وعليه تــبني عــبارة "في الصّورة" فضاء ابنا هو عالم الرّسم المعروض في اللّوحة أو العمل الفوتوغرافيّ بما فيه من ملامح مدركة الآن، ويترابط الفضاءان تداوليّا بتطابق خولة في الواقع بنظيرها في الصّورة بتوسّط مبدإ الاهتداء.

(7) باب البحر، في تونس، بعيد عن البحر.

تبني عبارة "في تونس" فضاء ذهنيّا قد يختلف عن الفضاء الأساس وهو المكان الحاضر (هنا) فقد يكون تونس نفسها أو مدينة أخرى في الجمهوريّة التّونسيّة وقد

---

1 Counterpart(s).

2 Space builder(s)

يكون بلدا آخر في الخارج، وتعيّن "باب البحر" الموقع المعروف ومن خصائصه في هذا الفضاء بعده عن البحر. ولكنّ باب البحر في تونس قد يكون نظيرا لباب آخر في مديـــنة أخرى - مثلا- من خصائصه ما به يكون الاهتداء إليه نظيرا من قبيل الكينونة قبالة البحر والانبناء على مخطّط الباب حجما وشكلا ولكنّ الفارق يكمن في المـــسافة مـــا بين البحر وموقع الباب فهو في الفضاء الأساس قريب من البحر ولكنّه في الفضاء الابن بعيد عنه.

ويمكن أن تتعدّد بناة الأفضية فيكون المكان والزّمان بانيين للفضاء كما في (8):

(8) في تونس، اليومَ، باب البحر بعيد عن البحر.

حـــيث تـــشترك كلّ من "في تونس" و"اليوم" في بناء فضاء ذهنيّ جديد من جهـــتي المكـــان والـــزّمان، وفيه ما في السّابق من التّرابطات الممكنة بين الأفضية والنّظائر. ولكنّ "اليوم" تضيف بعدا آخر ليس في ما سبق يتمثّل في استدعاء فضاء ذهـــنيّ مقتـــضى قوامُه موقع في القديم (منذ قرون) كان الباب المعنيّ فيه أي نظير الباب الحاليّ قريبا من البحر، جميع ذلك بما يصاحبه من افتراض التّطابق بين البابين (الباب الحاليّ والباب كما كان منذ قرون) واعتبارهما شيئا واحدا كما ينصّ على ذلك مبدأ التّطابق الّذي يقود عمليّة الاهتداء.

ومن بناة الأفضية ما يدلّ من العبارات على الظّنّ والتّرجّي والتّمنّي والشّرط وغيرها من أدوات الاعتقاد. وجميعها يبني أفضية افتراضيّة أساسها الممكن:

(9) يظنّ زيد أنّ باب البحر في تونس يفتح على البحر.

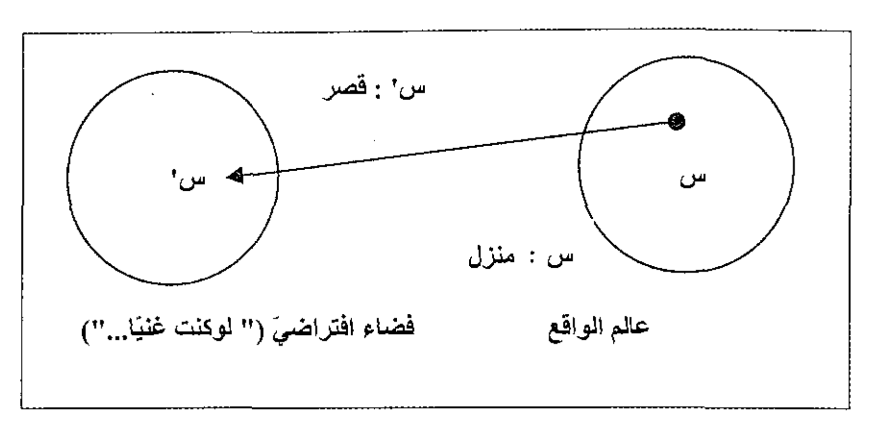
تـــبني "يظـــنّ" فضاء ذهنيّا سليلا لفضاء أساس "واقعيّ" قد يتنوّع: فهو واقع الأشياء في تونس أو في غيرها ممّا يكون فيه زيد. ففضاء الظّنّ فضاء افتراضيّ يتوفّر فـــيه نظير لباب البحر يشاركه جميعَ خصائصه ما عدا موقعه بعيدا في الواقع خلافا لقربه في العالم المتصوّر.

كمـــا تتوفّر أدوات تنبني بها أفضية ممكنة في المطلق أو النّسبيّ من قبيل كلّ ما يعبّر عن الإمكان كالتّمنّي والتّوقّع والالتماس وما إليها وعن الشّرط وما يحايثه من الظّـــرف. ففي حال الشّرط تبني (إن ق ف) و(لو ق ف) فضاء ذهنيّا جديدا يقوم فيه كلّ من ق وف. وتمثّل 'إن ق' و'لو ق' بانيي الفضاء، من ذلك (10):

(10) أ. لو كنت غنيّا لاشتريت سيّارة.

ب. لو كنت غنيّا لكان منـــزلي قصرا.

في (10. أ) يـــوجد المتكلّم في عالم الواقع ومن خصائصه الفقر- اقتضاءً- ولا وجـــود لـــسيّارة، وفي الفضاء الافتراضيّ يتوفّر نظير للمتكلّم يقود عمليّة الاهـــتداء وبه تقترن صفة الغنى وتحضر السّيّارة. أمّا في (10. ب) فيتضمّن عالم الواقـــع منـــزلا (عاديّا أو متواضعا) وله نظير في الفضاء الذهنيّ الافتراضيّ هو القـــصر، كمـــا يبيّنه الرّسم التّالي، حيث يشير السّهم إلى الاهتداء على أساس التّطابق:



ومـــن بناة الأفضية ما يسمّيه فوكونياي (1994، 88) بناة الأفضية الثّنائيّة[1]، وهي أدوات تبني فضاءين بناء واحدا من قبيل "إمّا... وإمّا.." و"إمّا... أو..." وما إلى ذلك كما في (11):

(11) أ. تأخّر زيد عن الموعد، فهو إمّا مريض أو سيّارته معطّبة.

ب. تأخّر زيد عن الموعد، لا أدري أهو مريض أم سيّارته معطّبة.

ففـــي عالم الواقع فضاء مضمونه تأخّر زيد عن الموعد، وهو الفضاء الأساس ومـــنه ينشأ فضاء أوّل تنشئه الأداة الأولى وفضاء آخر تنشئه الأداة الثّانية ويستقيم الحكم الوارد فيهما واحدا واحدا.

ويمـــثّل بناء الأفضية بناء للأطر كذلك فالإطار يمثّل نوعا من الخطاطة المجرّدة الّتي تقود عمليّة الإسقاط ما بين الأفضية، ولذلك تكون العناصر الفاعلة في تصوّر المجال الجديد وتمثّله موروثة من مجال أو مجالات سابقة أو مستمدّة من عالم التّجربة والخلفيّة المعرفيّة. وتبعا لذلك تنشأ في المجال الجديد نظائر لجميع العناصر الّتي كانت في المجالات السّابقة.

---

1 "double" space-builder

الرّوابط بين الأفضية

وظيفة الرّوابط[1] الوصل ما بين المجالات والأفضية. وتضمن الرّوابط استمرار الإحالــة على نمط واحد مستقيم خلال الخطاب وتضمن خاصّة توزّع المعلومات بـــشكل يحقّق الفهم وذلك بأن يقترن كلّ عنصر بكلّ ما له من نظائر في المجالات المختلفة بما له من الخصائص والأطر.

وتتجلّـــى ديناميّة بناء الفضاء الذّهنيّ وديناميّة الرّبط بين الأفضية في درج الكـــلام أي أنّ الواحد منّا يتكلّم ويفكّر في آن، وباسترساله في الخطاب تنبني الأفـــضية الذّهنـــيّة وتنـــتظم وتترابط في ضوء القيود النّحويّة والسّياقيّة المقاميّة والثّقافـــيّة. فيكون الحاصل أن تنشأ شبكة من الأفضية نجول في ما بينها بتقدّمنا في الخطاب.

وتـــتعدّد وجـــوه الانتقال من فضاء إلى آخر. يكون ذلك بأن يحفظ أطراف الخطاب أثر كلّ فضاء من الأفضية المتعدّدة بترابطاته المتشعّبة ويتوفّر في النّحو ما به يكـــون ذلـــك من قبيل الزّمان والجهات وبناة الأفضية والمضمرات وأسماء الإشارة وغير ذلك من العوامل العرفنيّة.

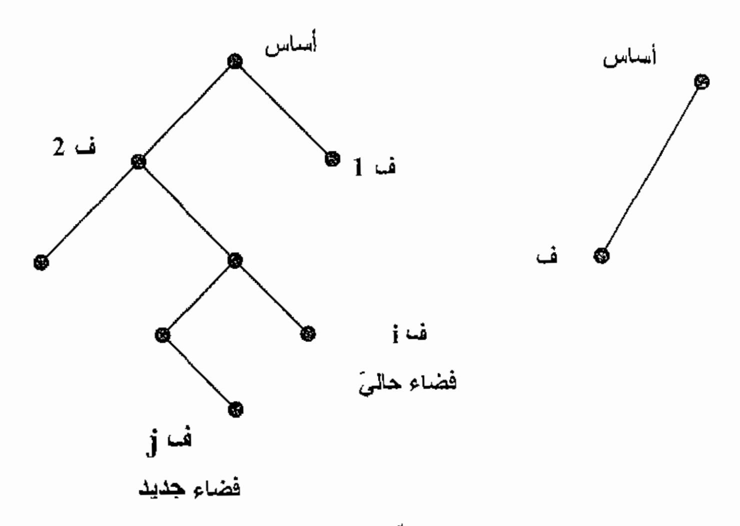
وإذ تتكاثـــر الأفـــضية بأن يتولّد كلّ فضاء من فضاء آخر يفرّخه، يطلق فوكونـــياي على الوالد- مجازا- "الفضاء الأب[2]" وعلى الفضاء المولود "الفضاء الابـــن[3]" مجـــازا. فالفضاء الأب يمثّل الفضاء الأوّل أو الفضاء الأساس، يفرّخ تفـــريخا أحاديّا أو متعدّدا كما هو الشّأن في الطّبيعة فيكون الحاصل شبكة من الأفضية ذات شكل متعرّش. فإذا ما انطلقنا من فضاء أساس وتولّد منه فضاء أو أكثـــر في مستوى أوّل أمكن للواحد منهما أن يولّد بدوره فضاء أو أفضية من مـــستوى ثان (جيل ثان) وهكذا دواليك وأمكننا الجولان نـــزولا من الأفضية العلـــيا إلى السّفلى وصعودا من هذه إلى تلك. تمثيل ذلك في (12) حيث حرف ف مختصر لفضاء:

---

1 Connector (s)

2 'parent'

3 'child'



ولـئن كانـت بنية الفضاء الذّهنيّ الواحد من أبسط ما يكون لأنّها بنية جـزئيّة لا تتـضمّن أيّ عامل منطقيّ فإنّها تتضمّن أطرا وتصوّرات خطاطيّة. فعناصـرها مـندرجة في مناويل عرفنيّة مصدرها الخلفيّات المعرفيّة العامّة الّتي تـشتغل في مظهـرها العامّ في جميع أنواع الخطاب. وقد يكون لعناصر الفضاء الذّهنيّ مراجع مخصوصة في الواقع وقد لا يكون ذلك، وفي جميع الأحوال تقترن الأفـضية بالكـون بـناء على افتراض عامّ أساسه أنّ المطابقة بين الوضعيّات 'الواقعـيّة' والأفضية الذّهنيّة القائمة في الخطاب يمكن أن تجريَ بوجوه آليّة عند بني البشر.

وبتـرابط الأفـضية الذّهنيّة تنشأ عمليّات منطقيّة فكريّة من مستويات عليا وتـتحدّد نـوعا وتشعّبا في ضوء تلك التّرابطات حيث يتوفّر في كلّ فضاء نظير للعناصر المشتركة بينه وبين سائر الأفضية الّتي يترابط معها في الخطاب وما يصاحب ذلك من ترابط بين الأبنية في مختلف الأفضية. فالعمليّات المنطقيّة من قبيل الاقتضاء والانفـصال لا تقـوم في الفضاء الواحد وإنّما تناسب ما يكون من ترابطات بين الأفضية وشروطَ التّطابق بينها.

ومن المظاهر المقترنة بانتظام الأفضية الذّهنيّة بناءً وتناسلا وترابطا ممّا لا يتّسع له التّناول المنطقيّ الشّكليّ الضّيّق، ديناميّة بناء المعنى والبعد الذّاتيّ في ذلك. ويختصر فوكونياي الانتظام المفهوميّ الكامن في انبناء المعنى في الخطاب في عدد من الآليّات قوامها أفضية في الخطاب مترابطة يتّخَذ الواحد منها منظورا أو بؤرة يُهتدَى منه إلى سائر الأفضية خلال الشّبكة وعليه تُبنى سائر الأفضية:

فإذا أخذنا خطابا ما وأخذنا منه نقطة ما وجدنا فضاء واحدا – على الأقلّ– أو أفضية عديدة قد قامت وترابطت عندها، وعند تلك النّقطة بالتّحديد، يمكن أن يجـــري إفـــرادُ فضاء ذهنيّ من جملة تلك الأفضية فيُجعلَ منظورا[1] أي يُجعَل ذاك الفضاء منطلقا، منه يمكن الاهتداء إلى سائر الأفضية أو منه تُبنى أفضية جديدة. كما يمكـــن في أيّ نقطة من الخطاب أن يتّخذ واحد مخصوص من الأفضية (وليس من الـــضّروريّ أن يكون الفضاء المنظور[2] وإن كان ذلك ممكنا) موطنا للبؤرة[3] أو محلّ التّبـــئير والعـــناية. وهذا الفضاء البؤرة هو ما ينضاف إلى بنيته شيء أو عنصر أو خصيصة أو ما يُهتدى إليه انطلاقا من الفضاء المنظور.

ويقـــوم التّنقّل في شبكة الأفضية الذّهنيّة على الانطلاق من فضاء أساس يوفّر المنظور المنطلق ثمّ تحدث الحركة بنقل[4] المنظور والبؤرة من فضاء إلى آخر بالتّوسّل بمـــا يناسب من الرّوابط بين الأفضية. وتترابط الأفضية بأن يُهتدى إلى الواحد منها انطلاقـــا من الآخر بتوفّر العنصر الواحد في الواحد منها وبتوفّر نظير له في الآخر. وبحدوث نقلة الانتباه من الفضاء الواحد إلى الآخر تتعدّد الأفضية الأساس فتتناءى الأفضية في الخطاب فتنقطع سبيل الاهتداء بينها.

الأفضية الذّهنيّة: خبر جحا والحمّال نموذجا

لعلّه من المفيد أن ننطلق من (13) سبيلا إلى توضيح ما ورد من أفكار ومبادئ:

(13)

اشترى جحا يوما دقيقا وحمله على حمّال فهرب بالدّقيق فلمّا كان بعد أيّام رآه جحا فاستتر مـــنه فقيل له: "ما لك فعلت كذا؟" فقال: "أخاف أن يطلب منّي كراه". (ابن الجوزيّ: أخبار الحمقى والمغفّلين ص 46).

يتمـــثّل الفـــضاء الأساس في عمل الشّراء (يوم، جحا، دقيق، وأمور أخرى تعـــرف من التّجربة كالبائع والكيل والدّفع إلخ)، والشّراء إطار كامل بما يقوم عليه مـــن الأسس والأطراف المعلومة وكذلك شخص جحا إطار كامل بما يصاحبه من الخصائص الّتي نسجتها الثّقافة العربيّة عنه.

---

1 Viewpoint.

2 The viewpoint space.

3 Focus.

4 Shift (ing).

بُـني هذا الفضاء الأساس بمحدّد الزّمان 'يوما'. ومن هذا الفضاء ينشأ فضاء ابـن هـو حمـل الدّقيق (الحمّال، جحا، دقيق، وأمور أخرى كالاتّفاق في الأجر والمسايرة أو المتابعة وما إلى ذلك)، ينشأ هذا الفضاء بعنصر جديد (الحمّال وما يصاحبه من إطار مفهوميّ كامل) ويرث هذا الفضاء الابن من الفضاء الأساس عددا من العناصر هي نظائر لما في ذلك الفضاء الأساس يجري التّعبير عن الواحد منها بالضّمير العائد على جحا والضّمير العائد على الدّقيق وتنضاف إليها عناصر أخرى. وهذا الفضاء بدوره يُبنَى منه فضاء جديد (هربُ الحمّال بالدّقيق).

تترابط الأفضية الثّلاثة بما توفّر في الواحد منها من نظائر لكلّ عنصر من العناصر المشتركة بينها، وهذا ما به يكون الاهتداء من الواحد منها -القادح- إلى الآخر-الهدف- عنصرا بعنصر فيكون انسجامها.

فالعنصر 'جحا' ورد ظاهرا في الفضاء الأساس ثمّ ضميرا في الفضاء الثّاني ولكنّ العنصر 'دقيق' ورد ظاهرا في الفضاء الأساس وضميرا في الثّاني' حمله' وظاهرا معرّفا في الثّالث 'الدّقيق'، وهذا الإظهار مردّه إلى ضمان التّرابط بين الأفضية لتباعد المسافة بين الفضاءين الأوّل والثّالث. وتصاحب هذا التّرابطَ حركة الانتباه من حيث نقلة التّبئير بنشوء الأفضية، فمن '<u>جحا</u> يشتري دقيقا' تنتقل العناية إلى '<u>دقيق</u> يحمله حمّال' ثمّ إلى '<u>حمّال</u> يهرب بالدّقيق'.

يـبنى الفضاء الرّابع (رؤية، جحا، الحمّال) بـ' بعد أيّام' بتحديد موقع زمانيّ يتلو ما سبق من الأفضية وله من العناصر نفسها ما يشار إليه بالاسم الظّاهر 'جحا' لتباعد ما بين الفضاء الأساس وهذا الفضاء الرّابع وما يشار إليه بالضّمير عائدا على الحمّال لقرب المسافة الذّهنيّة ما بين هذا الفضاء وسابقه مباشرة. وينشأ فضاء خامس (استتار، جحا) سليلا للرّابع. ويترابط الفضاءان الرّابع والخامس بالفضاء الثّالث عن طريق رابط عرفيّ هو التّطابق ما بين 'الحمّال' وقد هرب بالدّقيق و'الحمّال' وقد رآه جحا واهتدى إلى أنّه هو هو بملامحه وليس حمّالا آخر رغم تباعد الزّمن بأيّام، ويتجلّى هذا الرّابط لغويّا في شكل الضّمير العائد على الغائب المفرد المذكّر.

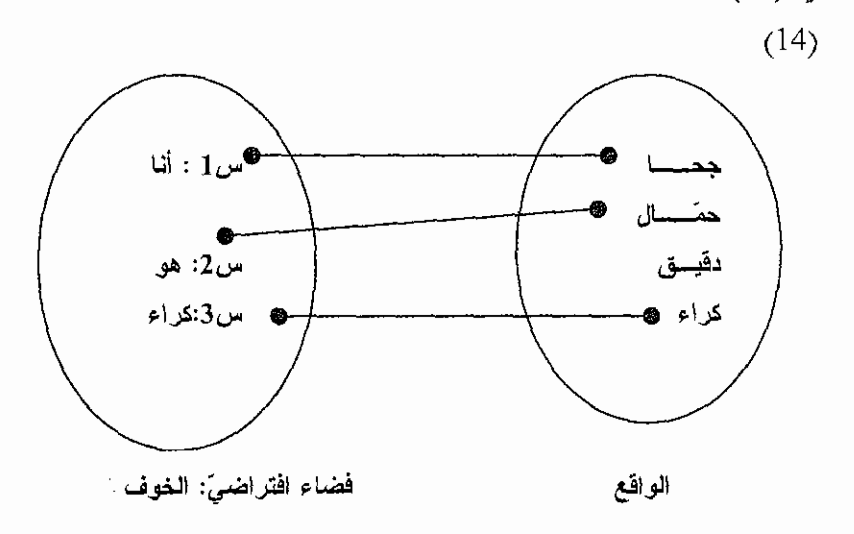
وينتقل الانتباه من الحمّال هاربا بالدّقيق في الفضاء الثّالث وقد خفتت صورته وخبت 'بعد أيّام' إلى حدث الرّؤية والتّعرّف عليه وما يصاحب ذلك من عمليّات عرفنيّة أساسها التّطابق ما بين صورة الحمّال ماثلة في الواقع وأثر له في صورة

كانت له في وقت سابق خزنتها الذّاكرة، ثمّ ينتقل محلّ البؤرة إلى حدث 'الاستتار' سريعا ولهذا الحدث مظهر عرفيّ سلوكيّ ومظهر لغويّ عبّرت عنه أداة الرّبط 'فـــ' بما تدلّ عليه من قصر المهلة.

ويبنى الفضاء السّادس بأداة الاستفهام مفتاحا إلى فضاء افتراضيّ يطلب به علـــم بخبر، وإذ ورد هذا الفضاء في فضاء محاورة يبنيه فعل القول، يستصحب إطـــارين همـــا مقـــام المحـــاورة (قائل، سامع، قول، موضوع) وإطار الفضاء الخـــامس (الاســـتتار)، ولكنّ إطار القول شفّاف فلا يمثّل موطن انتباه أو تبئير فينصبّ التّبئير على مضمون السّؤال أي سبب الاستتار. فالفضاء السّادس سليل للفـــضاء الخـــامس من حيث التّوالد المنطقيّ إذ كان سؤالا عن سبب الاستتار الّذي كان في ذلك الفضاء الأب، أمّا تداوليّا فالصّلة بعيدة جدّا إذ يمكن لفضاء القـــول أن يجري في زمن آخر ومكان آخر بعيدا عن السّوق وعن الحمّال وغير ذلك.

وأمّـــا الفضاء السّابع فافتراضيّ صرف إذ كان جوابا عن سؤال، ينبني بفعل الخوف الّذي مضمونه طلب الكراء، فهو يحيل على حال ذهنيّة عند جحا بها يبرّر سلوك الاستتار بنوع من الحجاج خاصّ به. والافتراض في فضاء الخوف قائم على الواقـــع الّذي توفّرت عناصره في جملة الأفضية السّابقة: فالواقع (حال الأشياء في الكـــون) يتضمّن جحا والحمّال والدّقيق صراحة ويتضمّن الكراء استصحابا وفق مبدإ الأطر العرفيّة، ولجميع هذه العناصر نظائر في فضاء الخوف الافتراضيّ، تمثيل ذلك في (14):

(14)



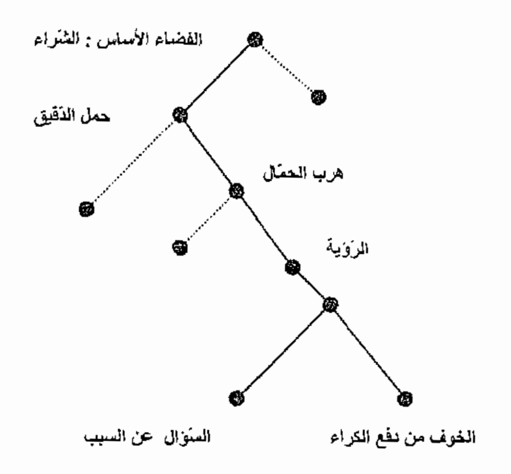
ولا يكمــن الأثــر الهــزليّ في عناصر الأفضية الذّهنيّة (الأحداث، الأشياء، الأشـــخاص، الأزمنة، إلخ) ولا في بنية الخطاب ذاتها وإنّما يكمن في ما بين الخلفيّة المعرفيّة بما تقتضيه من سير الكراء العاديّ يؤدّي الحمّال عمله بأن يحمل المحمول إلى حــيث يريد صاحبه ويأخذ أجرا مقابل ذلك، قيمته في العرف دون قيمة المحمول، وهــذا يقتضي معرفة بسيطة بقواعد الحساب لتبيّن الفارق في القيمة مطلقا أو بين قيمة الحمل عملا وقيمة المحمول بضاعةً، من جهة، و'منطق جحا' من جهة أخرى، من عدم التّناسب.

فقــد حدث خلاف ما تقتضيه الخلفيّة المعرفيّة إذ حمل الحمّال الدّقيق لنفسه وقــيمة المحمــول تفــوق بكثير قيمة الأجر، وبعبارة أخرى لا يتوفّر التّناسب بين الخطاطة العامّة (حمّال-مؤجّر، حمل-دفع الأجر، بضاعة-تسليم البضاعة للمؤجّر، قيمة الأجر < قيمة البضاعة) وخطاطة جحا (حمّال-جحا، حمل- Ø أجر، دقيق- Ø تسليم الدّقيق، قيمة الأجر= قيمة البضاعة). فجحا خاسر في العمليّة ويعتقد أنّه مطالب بدفع الأجر وقد فقد دقيقه، وعليه أن يعمد إلى الحيلة بالاستتار لتجنّب دفع الأجر وكأنّه لا يعلم أنّه خاسر منذ أصل العمليّة.

ويمكن أن نعرض تعريشة الأفضية الذّهنيّة المكوّنة للنّصّ (13) في التّمثيل (15) سندا لاستكمال عدد من المبادئ في نظريّة الأفضية الذّهنيّة يتوضّح اشتغالها باعتماد حامل بصريّ يعين على تمثّلها:

تمــثّل كلّ عقدة في (15) فضاء ذهنيّا يمكن الإشارة إليه بأرقام عدديّة أو بحــروف أو بأسماء مختصرة كما فعلنا، وهي تختزل كلّ المعلومات الّتي يتضمّنها الفــضاء مــا كــان منها حاضرا حضورا فوريّا في الخطاب وما كان منها من مــستلزمات الأطــر العرفنيّة الّتي لا تظهر فوريّا في الخطاب ولكنّها فاعلة فيه تصوّرا واشتغالا، ففضاء 'الشّراء' مثلا يختزل جملة المعلومات الفوريّة في النّصّ (13) وهي 'جحا' و'دقيق' وعمل 'الشّراء' وجميعها منتمٍ إلى إطار هو بنية عرفنيّة مؤمثلة تعمّ ما لا نهاية له من الوضعيّات المتماثلة في المطلق على أساس مكان فيه أشــخاص بعضهم يعرض بضاعة يبيعها وبعضهم يطلب بضاعة يشتريها والبيع والشّراء تبادل بالنّقد أو ما يقوم مقامه وكذلك فضاء 'حمل الدّقيق' وما إليه من سائر الأفضية في النّصّ.

(15)



وتمـــثّل العقـــدة من التّعريشة حالا من أحوال الخطاب في زمن ما مطلق من حـــيث تكاثـــر الأفضية ومن حيث مركز الانتباه والبؤرة فما كان أعلى موقعا في التّعريـــشة كان أسبق في التّصوّر وما كان دونه كان تاليا وتكون نقلة الانتباه على ذلـــك الـــتّدرّج. فالعقدة المسمّاة 'هرب الحمّال' مثلا تمثّل طورا من أطوار انبناء الخطـــاب تلي ما قبلها مباشرة وعندها ينصبّ الانتباه على عمليّة الهروب بالدّقيق بعـــد أن كانت على عمليّة الحمل، وعندها ينضاف الجديد فيكون الفضاء الذّهنيّ المعـــنيّ قد قام وهذه العقدة بدورها محطّة ينتقل منها الانتباه إلى ما بعدها بانضياف الجديد في ما يليها من الأفضية على درجات.

والتّعريشة تمثيل لتناسل الأفضية وترابطها، فيكون للواحد أفضية أبناء متعدّدة نظـــريّا وهو ما نشير إليه بالفروع المتقطّعة خطوطها في (15)، ولكنّ واحدا منها فقـــط يتحقّق في التّعريشة، ففضاء 'حمل الدّقيق' مثلا يمكن أن يتولّد منه فضاء آخر قد يكون خصاما بين جحا والحمّال وقد أوصلَ الدّقيق، في الأجر مثلا، تماما كما يتولّد فضاء 'الهرب'.

ولكـــنّ فـــضاء 'الاســـتتار' ولّد فضاءين أخوين 'السّؤال' و'الخوف'، وبين الفـــضاءين 'الاستتار' و'السّؤال عن السّبب' ترابط لتوفّر نظير في كلّ منهما لما في الآخـــر، فـــيكون الاهتداء من الثّاني إلى الأوّل وهما مجالان مختلفان بتطابق ما بين العناصر فيهما بتوسّط الضّمير واسم الإشارة:

ففـــي الجملة الّتي تتضمّن فضاء الاستتار "استتر منه" يتوفّر الفعل الدّالّ على الحـــدث وهي هيأة التّخفّي الّتي كانت لجحا في ذلك المقام بما يصاحبها من إطار

عرفيّ كامل يكون به تخفّي جحا تحقّقا أو نموذجا من التّخفّي مطلقا، ويتوفّر الشّخص المستتر في شكل ضمير الفاعل المستتر (مفرد مذكّر غائب) يطابق جحا وهي سمات موروثة في هذا الفضاء من الأفضية السّابقة بما يرتبط هذا الفضاء بتلك الأفضية، ويتوفّر شخص الحمّال في ضمير المفعول وظيفة والمجرور موقعا بعد حرف الجرّ 'منه'. ولهذه العناصر نظائر في الفضاء السّؤال منها ضمير الخطاب واردا في مستويين أوّلهما باني الفضاء 'ما لك' وثانيهما في نواة الفضاء مقترنا بالفعل 'فعلت'، ولحدث الاستتار نفسه نظير كان في شكل كناية في معناها الواسع متحقّقة في لفظ الفعل وفي اسم الإشارة 'فعلت كذا' وهي مكافئة لما ورد في الفضاء السّابق 'استتر منه'. فنظير الحمّال غائب في مستوى أوّل ولكنّه حاضر من حيث تضمّنته 'فعلت كذا'.

أمّا فضاء الخوف وهو أخ لفضاء السّؤال فمتضمّن لنظائر العناصر في الفضاءين. فبنيويّا يمثّل هذا الفضاء جوابا عن سؤال - قد يكون جرى في محاورة في مقام آخر كما أشرنا إلى ذلك- فمن المفروض اعتباره سليلا لفضاء السّؤال وتكون التّعريشة أحاديّة الاتّجاه أي دون أن يتفرّع فضاء الاستتار إلى الفضاءين الأخوين، ولكنّ فضاء الخوف يعود رأسا إلى فضاء الاستتار من حيث حمل عبارة عن سلوك أثارته رؤية الحمّال وعن حال ذهنيّة كانت لجحا عند ذلك ومن قرائن ذلك زمن الفعل الحاضر 'أخاف' وهو حضور مزامن لفعل الرّؤية والاستتار.

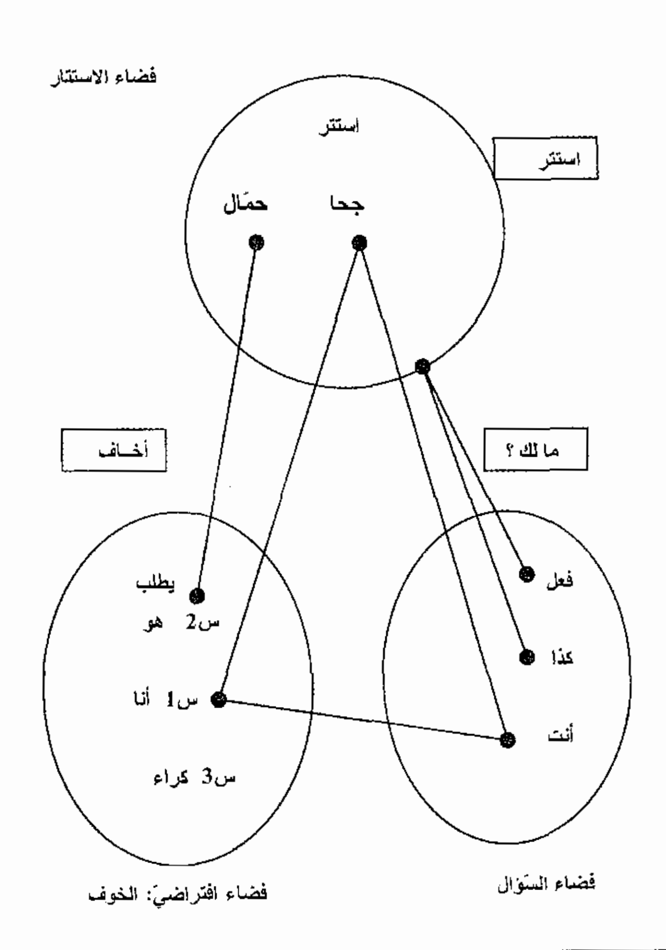
والمهمّ أنّ مفتاح الاهتداء حاصل بتوفّر القادح وهدفه متطابقين: (يطلب هو=الحمّال)، (منّي=أنا جحا). ونلاحظ أنّ فضاء الخوف يتضمّن عنصرا ما كان له من أثر في الأفضية السّابقة هو 'الكراء'، وهو يمثّل في الظّاهر جديدا ينضاف إلى مضمون الخوف الافتراضيّ. ولكنّه في الواقع نظير لعنصر لم يظهر بلفظه في الأفضية السّابقة إذ كان من مستلزمات الإطار إطار الحمالة الّذي يستصحب كما سبق بيانه الأجر أو الكراء من جملة ما يستصحب. ولعلّ تولّد فضاءين أخوين تولّدا واحدا من الفضاء الواحد ممّا لم نصادفه في ما اطّلعنا عليه من أعمال فوكونياي، ولكن نشير إليه وقد قادتنا المعطيات إلى تسطيره. وفي (16) تمثيل لذلك.

تمثّل الدّوائر في (16) الأفضية الثّلاثة بعناصرها وما ورد في صندوق يشير إلى بناة الأفضية والخطوط إلى ترابط العناصر ما بين الأفضية على أساس التّطابق بينها وفق مبدإ الاهتداء. ونلاحظ أنّ في فضاء السّؤال عنصرين في شكل كنايتين ('فَعَل' من حيث دلالته على كلّ حركة أو حدث أو سلوك، و'كذا' إشارة إلى كلّ ما

يمكـــن الإشارة إليه) ولذلك نجد ذينك العنصرين يطابقان فضاء كاملا وإذ طابقا الفضاء كاملا فقد طابقا عناصره الّتي يتضمّنها أي 'استتر' و'جحا' و'حمّال'. ولئن لم يـــرد في ما اطّلعنا عليه من أعمال فوكونياي ما يشير إلى قيام التّطابق بين عنصر أو أكثـــر مـــن فضاء ما وفضاء ذهنيّ كامل فإنّنا نعتقد في ضوء ما قادنا إليه تحليل الـــنّصّ (13) نمـــوذجا على اشتغال الأفضية أنّ منواله يسمح بذلك من مدخلين متّصلين بطبيعة الإحالة بالمضمرات وبالكنايات:

الأوّل مـــنهما أن يحيل الضّمير على عنصر من الفضاء وأن تحيل الكناية على عنـــصر من فضاء أو فضاء كامل. والثّاني منهما متّصل بالتّشارك الإحاليّ[1] ما بين كنايـــتين (همـــا في النّصّ فعَل وكذا) على مفسّر واحد هو في النّصّ (13) فضاء الاستتار كاملا في درجة أولى وعلى عناصره في درجة ثانية.

(16)



1 Coreference.

ويمكن أن نتابع مسالك التّرابطات صعودا من آخر سليل من الأفضية حتّى الفضاء الأساس ونزولا من هذا إلى ذاك، وهو أمر لا يسعنا التّمثيل له في هذا العرض المحدود، فتعريشة الأفضية شبكة في توالد الأفضية تترابط بمسالك ذهنيّة عرفنيّة بها يتبلور الخطاب وينمو على محطّات تتولّد الواحدة منها من سابقتها وتولّد لاحقتها. ويكون الاهتداء ما بين الأفضية المتقاربة والمتباعدة بتوفّر النّظائر في جميعها توفّرا يقوم على أساس التّطابق.

وممّا يمكن توسيع البحث به من المعطيات مدخل رواية السّدّ نموذجا للمسرحيّة مكتوبة أو منجزة على مسرح، حيث يفرد المؤلّف صفحة عنوانها 'الأشخاص' تعرض فيها شخصيّات المسرحيّة في شكل قائمة من الأسماء أمام البعض منها صفات وخصائص ولا شيء أمام البعض الآخر:

(17) الأشخاص

ميمونة: امرأة

غيلان: رجل، كائن زائف

مياري: خيال وطيف وحبّ وجمال

بغل ذكيّ

ذئب ذو عواء

أطياف وهواتف

وواد وجبل. (المسعدي: السّدّ ص 13).

يمثّل كلّ واحد من الأسطر فضاء ذهنيّا ينشأ بمجرّد قراءة الاسم والفارق بين فضاء وآخر توفّر خصائص للعنصر أو العناصر الواردة فيه، فتختلف الأفضية تخصيصا وتعميما. فأكثرها تخصيصا فضاء مياري، وأفقرها ميمونة. فميمونة عنصر في فضاء ذهنيّ كلّ ما لها كونها امرأة، وغيلان رجل مخصّص بالزّيف كيانا أمّا مياري فلها الخيال والطّيف والحبّ والجمال، بل إنّ البغل مخصّص بالذّكاء والذّئب بالعواء، يمكن أن نواصل هذا إلى أن تستكمل سائر الأفضية المنبنية في بداية المسرحيّة. وجميع هذه الأفضية أفضية أساس آباء سيتولّد منها مفردة أو مجتمعة على درجات أفضية سليلة لها في المسرحيّة. وفي كلّ فضاء منها إطار يستصحبه وهذا الإطار سيكون الرّكيزة الّتي يقوم عليها الرّمز في كامل الرّواية وهو يبنى شيئا فشيئا إلى منتهاها.

خاتمة

لعلّ خلاصة في الفرضيّات والمبادئ العاملة في نظريّة الأفضية الذّهنيّة تمثّل خاتمة مفيدة:

1- تشتغل في انبناء الأفضية الخلفيّة المعرفيّة في شكل أطر ومناويل عرفنيّة مؤمثلة ومناويل ثقافيّة وما إلى ذلك.

2- تنبني الأفضية الذّهنيّة بالتّأطير المحلّي والمعلومات التّداوليّة من قبيل قراءة رواية أو قصّة أو مشاهدة مسرحيّة أو في مقام حجاجيّ، أو في نقل لحكاية أو سرد لأحداث، أو بمكان الوجود والأشخاص الحاضرين وما يتوفّر في المقام عموما.

3- ينطلق بناء الخطاب من فضاء أساس (الفضاء الأصل، الفضاء الحاليّ في الخطاب) منه ينطلق التّعريش في الأفضية الذّهنيّة ويتوسّع.

4- تستعمل الأفضية لإقامة أبنية عرفنيّة ومعلومات تتعلّق بأنواع مختلفة من الأشياء: فترات زمانيّة، زوايا نظر، وضعيّات مفترضة أو متخيّلة، معتقدات، صور، رسوم، كمّيات وأحجام وأعداد، مواضع جغرافيّة، وأبنية ثقافيّة، وما إلى ذلك.

5- يوجد دائما في نقطة ما من نقاط انبناء الخطاب وتبلوره فضاء ذهنيّ وحيد في موطن البؤرة، ولتحويل البؤرة تشتغل الأدوات اللّغويّة والأدوات التّداوليّة.

6- تترابط الأفضية بطريقتين كبريين:

(أ)- **علاقة التّرتيب** بها تترتّب الأفضية في التّعريشة حيث ينشأ الفضاء الواحد من فضاء آخر (الفضاء الأب) ولا يفرّخ الفضاء فضاء جديدا إلاّ عندما يكون في موطن التّبئير.

(ب)- **علاقة التّرابط**: تكون بواسطة الرّوابط الّتي بها تترابط العناصر عبر الأفضية وفق مبدإ الاهتداء.

7- تتطابق الأفضية المترابطة في عدد من الخصائص والعناصر والأبنية تنتقل عبر الأفضية بطرق عديدة منها:

أ)- **النّشر**: يمثّل النّشر[1] آليّة تتحوّل بها خصيصة أو مقتضى (افتراض ما قبلي) أو أكثر من فضاء ذهنيّ إلى آخر، وهو نوعان حسب الاتّجاه الّذي

1 Spreading.

يحدّده موقع الفضاء في التّعريشة: نشر صاعد أو تصاعديّ يسمّيه فوكونياي الطّفاوة[1] ونشر نازل أو تنازليّ يسمّيه نقلا[2]. ويرى فوكونياي أنّ النّشر بوجهيه المذكورين يمثّل واحدة من أقوى الآليّات اللّغويّة الّتي تنتقل بها أجزاء كبيرة من البنية عبر الأفضية بطريقة ضمنيّة دون تصريح في العبارة.

ب)- **الطّفاوة:** يحدث هذا النّوع من النّشر عبر تعريشة الأفضية صعودا حيث ترقّى الخصيصة أو المقتضى من فضاء ذي موقع داخليّ في التّعريشة إلى موقع أعلى فيها إلى أن يصادف ما يوافقه أو ما يعارضه. ففي قولنا: "تعتقد ليلى أنّ ابن قيس أعرج" يطفو المقتضى 'لقيس ابن' في اتّجاه الفضاء الأساس حيث يصادف ما يثبته، ولكن في قولنا: "لوكان قيس أبا لكان ابنه أعرج" لا شيء يقتضي (مسبقا أو استنتاجا) أن يكون قيس أبا وأن يكون له ابن. وفي قولنا "لقيس ابن وتعتقد ليلى أنّ ابن قيس أعرج" تقتضي استنتاجا مضمونه أنّ لقيس ابنا.

ج) **النّقل القائم على الانتقاء:** حدث التّحويل حدوثا تنازليّا من الفضاء الأب إلى الفضاء الابن تبعا لموقع هذا الأخير في تعريشة الأفضية وهو ما بموجبه يرث الفضاء الابن البعض من خصائص الفضاء الأب: مثال "تمنّيت لو كان زوج زينب مهذّبا" يحوّل إلى الفضاء الابن (وهو فضاء التّمنّي هنا) عددا من الخصائص الثّابتة في الفضاء الأب الّتي يتّصف بها الزّوج بصرف النّظر عن خصيصة التّهذيب من قبيل المظهر وكونه زوجا لزينب وإن كان التّمنّي لا يشملها.

د) **الاهتداء:** قوامه إنشاء نظير لكلّ عنصر من عناصر الفضاء الأب في الفضاء الابن باعتماد مبدإ التّطابق. كما هو الحال في المثال "تمنّيت لو كان زوج زينب مهذّبا" حيث يكون في فضاء التّمنّي نظير لكلّ من زينب وزوجها.

هـ) **الإسقاط:** يجري إسقاط الإطار برمّته أو الأطر بما فيها إثر إنشاء الفضاء الابن في حال الافتراض وهو أمر يجري في الاستعارة خاصّة.

---

1 Upward floating.

2 Transfer.

و) **شــــروط التوافق**: تشتغل شروط التّوافق[1] خاصّة في الأفضية الافتراضيّة حتّى يتسنّى تحويل بنية إضافيّة على أساس توافق جزئيّ بين الفضاء الأب والفضاء الابن. ففي قولنا مثلا "لو أحبّت ليلى قيسا لكان سعيدا" ينشأ فـــضاء ذهنيّ افتراضيّ على أساس شرط التّوافق مع الفضاء الأساس في وجود الحبّ بين ليلى وقيس <**حبّ** (ليلى، قيس)>. وتوفّر هذا الشّرط في ذاتـــه يمثّل فضاء ذهنيّا يمكّن من تحويل البنية المتبقّية وهي سعادة قيس <**سعيد** (قيس)>.

ولنظـــريّة الأفـــضية الذّهنيّة مجالات عديدة تتنوّع فيها أشكال التّعبير ولكنّ جميعها قائم على آليّات عرفنيّة واحدة في جوهرها، فيمكن تناول الكثير من الفنون والأنشطة البشريّة العاديّة في إطارها، من ذلك أنّ فوكونياي يفسّر توهّم الحركة في وميض مصباحين أو عدد من المصابيح بالتّناوب على أساس وجود فضاءين ذهنيّين واحـــد في الواقع (الفضاء الواقعيّ) والآخر في ما يُرى (فضاء الإبصار): يوجد في فـــضاء الإبـــصار ضوء متحرّك مسترسل وفي فضاء الواقع مصباحان أو مصابيح تـــومض بالتّـــناوب، وتوجد روابط تقرن ما بين الضّوء الوحيد المتحرّك في فضاء الإبـــصار مـــن جهة والمصابيح المتعدّدة في فضاء الواقع من جهة أخرى. وهي من الـــنّماذج الّتي لا يمكن أن تجد حلاّ لها في المقاربات الدّلاليّة الكلاسيكيّة (نقلا عن لايكوف 1987، 214).

1 Matching.

نظريّة المزج

المزج ملكة عرفنيّة

ترتبط نظريّة المزج بنظريّة الأفضية الذّهنيّة (فوكونياي وتورنر 1994، 1998) ولها أسماء عديدة جارية منها 'المزج'[1] أو 'المزج المفهوميّ'[2] أو "الإدماج المفهوميّ"[3].

تتأسّـــس هذه النّظريّة على خصيصة لغويّة مدارها أنّ لكلّ وضع، واقعيّا كان أو خيالـــيّا، ســـبيلا إلى استعمال بنية لغويّة تعبّر عنه وعن مجمل أفكارنا عموما. ويطلـــق علـــى هذه الخصيصة مصطلح الشّموليّة[4]. ومن أبرز ما تتجلّى فيه تلك الطّواعية ملكة المزج المفهوميّ - على حدّ عبارة تورنر (2000، 15)- وهي ملكة يختصّ بها بنو البشر تمكّنهم من بناء المعنى في شكل شبكات من التّمازج المفهوميّ يكون فيها خلق لمعان جديدة ومفاهيم جديدة ومناويل ذهنيّة جديدة.

ويذهب فوكونياي وتورنر (1998) إلى أنّ المزج ملكة قائمة برأسها تماما قيام ملكـــات القـــياس[5]، والتّكـــراريّة[6] والـــنّمذجة الذّهنـــيّة[7] والمقْـــوَلة المفهوميّة[8] والتّأطير[9]. وهي من الملكات ذات الغايات العرفنيّة المتعدّدة، هي ملكة حركيّة مرنة عاملـــة زمن التّفكير (آن-قوليّة) بصفة غير واعية، فهي جزء من العرفنة الخلفيّة[10] (الباطنة) تشتغل من وراء السّتار فتفلت من الوعي حيث تقيم شبكات واسعة من الأفـــضية الذّهنيّة في مستوى اللاّوعي فتنشأ لذلك أعمال عرفنيّة في مستوى الوعي

1. Blending Theory (BT).
2. Conceptual blending.
3. Conceptual integration.
4. Equipotentiality, (Fr: équipotentialité).
5. Analogy.
6. Recursion.
7. Mental modelling.
8. Conceptual categorization.
9. Framing.
10. Backstage cognition.

تبدو أنّها بسيطة مباشرة لا إشكال فيها ولكنّها في الواقع ناتجة عن قوانين على غاية من التّعقيد تشتغل في العرفنة الخلفيّة (فوكونياي 2001، 2).

فأساس نظريّة المزج هو الفضاء الذّهنيّ وهو تلك البنية التّمثيليّة الّتي يبنيها الأشخاص أثناء الحديث أو التّفكير عن المدركات والمتخيّلات وعن جميع الأوضاع الماضية أو المعيشة أو الآتية. تُنشئ ملكة المزج المفهوميّ مفاهيم وصورا تتحوّل إلى أشياء متجذّرة في البنية المفهوميّة عند البشر وفي النّحو (الملكة اللّغويّة) كذلك وهي تشتغل على ما سبق أن تجذّر منها بفعلها لتتّخذ منه دخلا تحدث منه مفاهيم أو أفضية جديدة. ويمكن الاهتداء إلى المزج في حالات بارزة لافتة ولكنّه جار في الأغلب جريانا آليّا عفويّا. فخلال المزج، تنعكس البنية من أفضية ذهنيّة دخل على فضاء مزيج مستقلّ بذاته، والانعكاس عمليّة انتقائيّة، تنشأ بمقتضاها في الفضاء المزيج بنية مفهوميّة لا توفّرها الأفضية الذّهنيّة الدّخل، وذلك عن طريق الإكمال والبلورة. ويشتغل المزج وفق عدد من المبادئ البنيويّة الحركيّة يوجّهها عدد آخر من المبادئ الأفضليّة.

من قضايا المزج

ومن القضايا الأساسيّة الّتي قامت عليها نظريّة المزج (تورنر 2000) ما به يمكن للبشر تمثّل المعاني المختلفة المتداخلة المعقّدة والاهتداء إليها والتّصرّف فيها بما يكتنفها من ترابط بعضها ببعض في شبكات مفهوميّة متبدّلة ديناميّة، ومنها ما يتّصل بالوجوه الّتي يمكن للبشر بها معالجة تلك المعاني بطريقة فضلى ناجعة وبالوجوه الّتي يتكوّن بها الحدس الجامع للإلمام بتلك المعاني في تشابكها المعقّد. ومن القضايا ما يتعلّق بما به يمكن للذّاكرة أن تحفظ تلك المعاني ذات التّشابك المعقّد وأن تظهرها عند الحاجة، وبعبارة أخرى كيف يمكن لنا أن نستعمل الشّبكات المفهوميّة المترابطة وهي تتضمّن أفضية ذهنيّة متعدّدة مترابطة؟ فنظريّة المزج المفهوميّ مقترح نظريّ في تفسير ذلك.

المزج: الأركان والآليّات

لعلّ خير ما تتّضح به الأشياء هو الانطلاق من مثال يعرضه أعلام النّظريّة أساسا يبنون عليه فرضيّاتهم وتتبلور به الإشكاليّات شيئا فشيئا. وخير الأمثلة ما توفّر نظير له في عدد من اللّغات ولذلك نعتمد مثالا متداولا في الأبحاث المزجيّة يعرف بمثال حفر القبر (كولسن1997، فوكونياي وتورنر 1998، تورنر 2000):

(1) أنت تحفر قبرك بنفسك.[1]

وهي عبارة كثيرة الجريان في سياقات التّحذير ممّا يُتصوّر حدوثه نتيجة لعمل ما وليكن في مجال المضاربة في البورصة (فوكونياي وتورنر (1998، 166) تورنر (2000، 2)). ويقـــوم اســـتعمال هذه العبارة على شبكة مزج مفهوميّ يتوفّر فيها فضاءان ذهنيّان دخلان وفضاء مزيج:

أ- فضاء ذهنيّ أوّل يتضمّن عناصر عديدة منها القبور والموتى (الجثث) والدّفن.

ب- فـــضاء ذهنيّ ثان يتضمّن إطارا للمخاطرة (السّلوك المحفوف بالمخاطر) عامّة وبـــشراء الأســـهم وبـــيعها على وجه الخصوص وما يتّصل بذلك من إطار البورصة بما في ذلك الشّخص المضارب فيها والمعنيّ في السّياق.

ج- الفـــضاء المزيج: تقوم بين الفضاءين (أ) و(ب) عمليّة إسقاط جزئيّ تحدث بها المناســـبة بينهما، فيناسب المُخاطر (المضارب في البورصة) الحفّارَ، ثمّ يُعكَس ذلك في الفضاء المزيج فيكون الشّخص المضارب في البورصة هو الحفّار حيث يـــتمازج الشّخـــصان وينصهر الواحد منهما في الآخر فيحلّ فيه وتتراكب صـــورتاهما تراكبا لا ينفكّ له الواحد من الآخر. فيكون المزج في هذه الحال مـــزجا ثنائيّا[2] يجتمع فيه ما افترق في الفضاءين الدّخلين: فلا توافق بين فضاء الحفر وفضاء البورصة ولكنّ الفضاء المزيج يستعير- والعبارة لتورنر- من كلّ واحـــد مـــنهما جزءا يجري في تكوين بنيته المركزيّة. فينشأ بذلك في المزج الثّنائيّ إطار مفهوميّ جديد حادث. وهذا الإطار ليس مجرّد توسيع للإطارين المفهوميّين في الفضاءين الدّخلين.

ولـــئن كان الفضاءان الدّخلان (حفر القبور والمخاطرة) مختلفين بل متناقضين في عـــدد من الأبعاد فإنّ الفضاء المزيج يستعير من الواحد منهما أبعادا تكون فيه متـــناغمة منسجما بعضها مع بعض. ومن تلك الأبعاد نجد العلّيّة (السّببيّة) والأبنية القصديّة وأدوار المشاركين والانتظام الزّمانيّ والهويّة وانتظام الأحداث:

فمـــن فـــضاء المخاطرة يستعير الفضاء المزيج بُعدَ العلّيّة حيث يرتبط الخطر بالمخاطرة ارتباط النّتيجة بسببها وهو ارتباط لا يتوفّر في فضاء الحفر حيث لا يقود حفـــر القـــبر حتما إلى الموت، إذ يتبع الحفر عادة حدوث الموت باستثناء أحداث

1 You are digging your grave by yourself, (Tu creuses ta propre tombe).

2 Double-scope integration. (Integration bilatérale).

حفظهـــا التّاريخ يحفر فيها الأسير أو السّجين قبره بنفسه قبل أن يُقتل على حافّته ويُقبَـــر. ففـــي فضاء البورصة (وهو الفضاء المزيج) تسبّب أعمالُ المضارب هلاك صاحبها أي خسارته، وهو أمر متوفّر في فضاء المخاطرة دون فضاء حفرالقبر.

وبـــين الفضاء المزيج وفضاء المخاطرة تناسب آخر، فلئن كان عمق القبر أو اتّـــساعه غيرَ ذي صلة بخطر الموت فإنّ بين المداومة على المخاطرة والمداومة على المـــضاربة تناســـبا في حـــدوث الخطر من جهة والخسارة من جهة أخرى حيث التّناسب طرديّ إذ يزداد الخطر والخسارة بازدياد المخاطرة والمضاربة.

وفي فـــضاء الحفر يتوفّر القصد من المحدث حيث يعرف الحفّار أنّه يحفر قبرا لمواراة ميّت فيه أمّا فضاء المخاطرة فلا وعي للمُخاطِر بالنّتيجة ولا قصد عنده إليها بالاســـتتباع وذاك ما يستعيره الفضاء المزيج منه، فالمضارب في البورصة لا يعي أي لا يقصد إلى الخَسارة، وإنّما يأتي سلوكا يقود إلى خسارته دون قصد.

ثمّ إنّ المحدث والضّحيّة في فضاء الحفر مختلفان إذ الحفّار شخص ما والمحفور له شـــخص آخـــر، وهما متطابقان في فضاء المخاطرة والفضاء المزيج إذ يكون فيهما المُخاطـــر والمُضارب محدثا وضحيّة في آن. فالفضاء المزيج موافق في توزّع الأدوار لفضاء المخاطرة ومخالف فيه لفضاء الحفر.

كما يستعير الفضاء المزيج انتظام الأحداث من حيث ترتّبها زمانا و/أو تتابعا مـــن فـــضاء المخاطرة دون فضاء الحفر. فالحفر مطلقا لاحق على الموت في حين تكـــون المخاطرة سابقة على الخطر وكذا المضاربة في البورصة سابقة على الخسارة أي أنّ المحدثَ يأتي أعمالا قبل أن يكون ضحيّة لها.

وباكـــتمال الفـــضاء المزيج ينشأ معنى جديد فيه، فالحفّار في الفضاء الدّخل الأوّل ليس أحمق ولا المُخاطر كذلك في الفضاء الدّخل الآخر، حيث لا يكون من يشتري الأسهم في البورصة أحمق بالضّرورة، ولكنّ من يحفر قبره بنفسه في الفضاء المزيج أحمق لا محالة بل هو أكثر من ذلك مسؤول عن مآله.

المزج المجسدن

يمـــثّل المـــزج ملكة عرفنيّة عامّة وإذ كان كذلك يكون من الطّبيعيّ أن يتجاوز المظهـــرَ اللّغويّ فيجري في كلّ ما له صلة باشتغال الذّهن في إطار الجسد في محيطه. ومن النّماذج الّتي يتجلّى فيها المزج المفهوميّ في نشاط غير لغويّ ما يتواتر في الكتابات

المـــزجيّة في إطار الحديث عن المزج المجسدن من أمثلة متّصلة بوضعيّات مادّيّة، يكون فيها ناتج المزج حركة أو هيأة مزيجا لا فكرة أو مفهوما (فوكونياي 2001، 3).

مـــن ذلـــك مـــا يكون من مدرّب يعلّم شخصا التّزلّج على الجليد، فيسعى المدرّب إلى تلقين الشّخص هيأة مخصوصة تكون للذّراعين وللعينين آن الانحدار. أي النّظر إلى المنحدر عوض تركيز العينين على المزلاجين، فهذا فضاء ذهنيّ دخل أوّل. ليلقّنه الهيأة المطلوبة يقول له بأن يتخيّل أنّه نادل في بعض المقاهي يحمل طبقا عليه أكـــواب مليـــئة بسائل ما وبعض الحلويّات، وعليه أن يتنقّل بها دون أن يريق أو يسقط منها شيئا، وهذا فضاء دخل ثان. والنّتيجة أنّ الشّخص المتدرّب يأتي حركة أو هـــيأة قريبة من المطلوب في الانحدار هي حركة مزيج بين الفضاءين. فالفضاءان الدّخلان هما وضعيّة التّزلّج ووضعيّة النّادل وبينهما تناسب عن طريق الإسقاط في هيأة الذّراعين والنّظر بالعينين، والفضاء الجامع فيه هيأة الجسم والحركة مطلقا، أمّا الفـــضاء المـــزيج ففيه تمتزج هيأة النّادل بهيأة المتزلّج فيحمل المتزلّج الطّبق، فيكون الـــنّاتج حـــركة أو تنقّلا مادّيّا في المكان. فهذا نموذج به يبين اتّساع عمليّة المزج وشمولها لكلّ المجالات شمولا يجعل منها ملكة عرفنيّة عامّة.

المزج آليّة إنشاء للمعاني الجديدة

مـــن النّماذج المتداولة في الأبحاث المزجيّة نجد "الجرّاح جزّارا" في عبارات من قبيل (2):

(2) هذا الجرّاح جزّار.[1]

تمثّل العبارة (2) واحدة من كثير من العبارات الاستعاريّة لا تجد لها تحليلا في نظـــريّة الاستعارة المفهوميّة (لايكوف)، إذ لا أرضيّة عرفنيّة أو ذهنيّة عامّة تصوّريّة تتضمّن خطاطة تتحقّق في نموذج من النّماذج. فلا وجود لاستعارة مفهوميّة قوامها خطاطة "الجرّاح جزّار"، وإنّما تمثّل هذه العبارة جمعا اعتباطيّا بين مجالين متباعدين هما الجِزارة والجَراحة (براندت وبراندت[2]).

ويتمـــثّل المعنى الحاصل من العبارة في كون الجرّاح فاشلا لا كفاءة له، وهو معـــنى جديد حادث ولا يمكن تفسير بنائه باعتماد مبدإ الإسقاط ما بين فضاءين

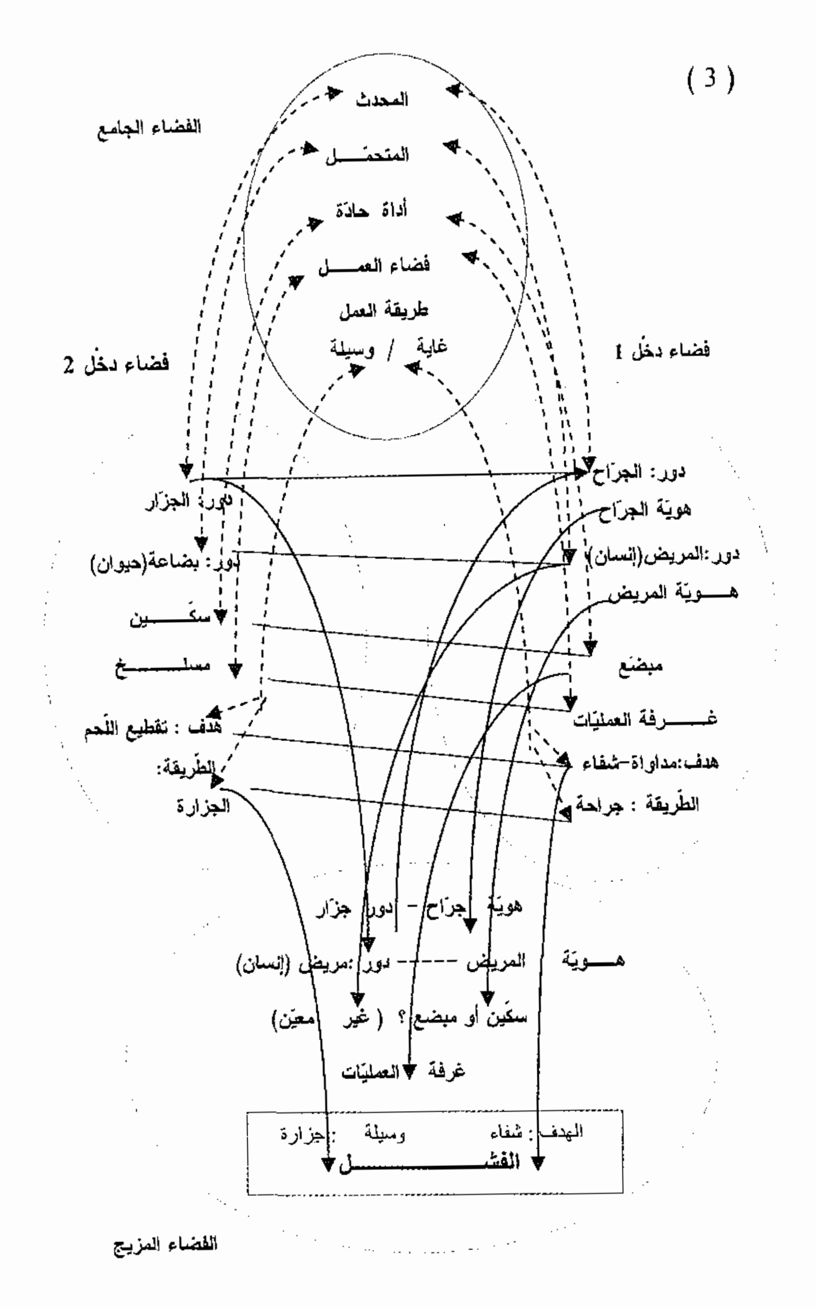
1 This surgeon is a butcher.

2 Brandt & Brandt.

مـــصدرٍ وهدف هما فضاء الجزّار وفضاء الجرّاح. فالإسقاط الثّنائيّ يكون رأسيّا ما بيـــنهماً عنـــصرًا بعنصر. فالجزّار يناسب الجرّاح، والحيوان (بقر، ضأن أو غيره) يناســـب الإنـــسان، والبضاعة (لحم) تناسب جسم المريض، والسّكّين أو أدوات الجـــزارة تناســـب أدوات الجراحة، والمسلخُ غرفةَ العمليّات وتقطيع اللّحم تشريح الأنسجة البشريّة.

ويتجلّـــى من خلال هذا أن لا أثر لمعنى الفشل وغياب المهارة عند الجرّاح في هـــذه المناســـبة بـــين الفضاءين. وهذا ما يمثّل مظهر النّقص في نظريّة الاستعارة المفهوميّة القائمة على ثنائيّة الفضاء والإسقاط المباشر بينهما عند لايكوف. فالفشل أو غياب المهارة معنى **ناتج** عن عمليّة استدلاليّة يمكن إظهارها بوسائل التّحليل في نظريّة المزج القائمة على الإسقاط متعدّد الأفضية.

وتمثيل ذلك في (3) حيث يتجلّى عدد من العمليّات تنشأ بها معان في الفضاء المزيج لم تكن في الفضاءين الدّخلين، فيكون بذلك للفضاء المزيج مضمون لم يرثه منهما. فكلّ ما يرث هو بنية جزئيّة من كلّ من الفضاءين الدّخلين ينشأ عن طريق المطابقة بينهما ذلك المضمون. فمن فضاء الجزارة مثلا تنعكس علاقة الغاية/الوسيلة بشكل غير ملائم لعلاقة الغاية/الوسيلة في فضاء الجراحة بأن تكون الوسيلة تقطيعا للّحـــم والغايـــة هي الشّفاء فيحدث التّوليف ما بين وسيلة الجزارة وغاية الجراحة والأشـــخاص فـــيها ومقامها في الفضاء المزيج فيكون حاصل ذلك معنى ناشئ هو 'الفـــشل'. يحـــصل ذلك عن طريق نوع من الاستدلال أساسه عدم التّناسب بين الوسيلة والغاية. فإذا كانت غاية الجرّاح الشّفاء وكانت وسيلته في ذلك الجزارة بما فيها، كان جرّاحا فاشلا كما يبين في التّمثيل (3).



شبكة المزج المفهوميّ

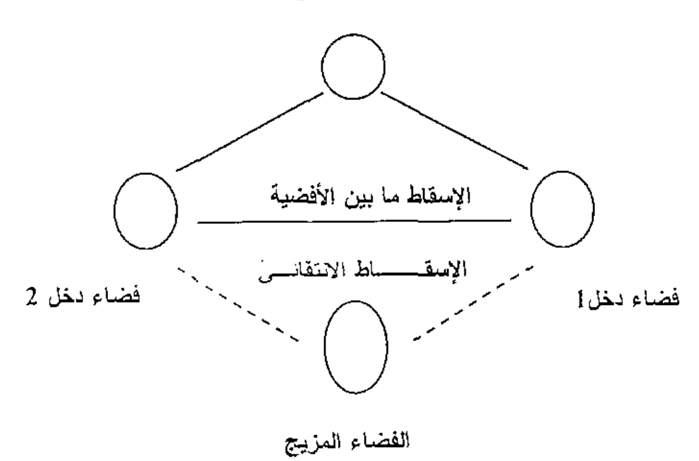
تقـــوم نظـــريّة المـــزج على تمثيل ما يجري من العمليّات العرفنيّة آن القول والـــتّفكير، وتجـــتمع تلـــك العملـــيّات في مـــا يـــسمّيه أصحابها شبكة المزج المفهومـــيّ[1]. وقـــوام هذا المنوال عدد من العناصر والعمليّات منها الأفضية الذّهنيّة

---

1 Network (Model) of Conceptual Integration.

والإسقاط ما بين الأفضية والفضاء الجامع[1] والمزج والإسقاط الانتقائيّ[2] والتّركيب والإكمال (الإتمام) والبلورة فالبنية النّاشئة.

أمّا الأفضية فأربعة: فضاءان دخلان وفضاء جامع وفضاء مزيج. يمثّل الواحد مـــن الفضاءين الدّخلين (حدثين كانا أو واقعتين أو مفهومين) مصدرين للإسقاط يمتـــزجان في الفـــضاء المزيج، ويربط بينهما إطار خطاطيّ يجمع العناصر المشتركة بينهما يمثّله الفضاء الجامع، والمزج عمليّة يتطابق بمقتضاها الفضاءان الدّخلان تطابقا جـــزئيّا وينعكس قسم من عناصر كلّ منهما عن طريق الانتقاء في فضاء رابع هو الفـــضاء المزيج. فيكون للمزج عناصر وعمليّات يجملها التّمثيل التّالي (فوكونياي وتورنر 1998، 137؛ فوكونياي2001، 3) حيث يوافق الفضاءان الدّخلان الفضاء المصدر والفضاء الهدف في نظريّة الاستعارة المفهوميّة (لايكوف) أمّا الفضاء الجامع فيتـــضمّن البنـــية المفهوميّة المشتركة بين الفضاءين الدّخلين. والفضاء المزيج فضاء تـــتوالف فيه مكوّنات مختلفة من الفضاءين الدّخلين لينشأ فيه عن طريق الاستدلال معان جديدة ما من أثر لها في الفضاءين الدّخلين.



ويقوم المزج على ثلاث عمليّات أساسيّة هي التّركيب[3] والإكمال[4] والبلورة[5]:

---

1 Generic space.

2 Selective projection.

3 Composition.

4 Completion.

5 Elaboration.

(أ)- التّركيب

يجـــري في المزج التّركيب بين عناصر من الفضاءين الدّخلين فيحدث لذلك علاقات لم تكن موجودة في ذينك الفضاءين منفصلين. فتتمثّل عمليّة التّركيب في إســـقاط مضامين من كلّ من الفضاءين الدّخلين إسقاطا رأسيّا في الفضاء المزيج. ويحدث أن ينصهر عنصران ينتمي الواحد منهما إلى فضاء دخل في عنصر واحد في الفضاء المزيج. من ذلك ما يحدث في مثال (2) ويتجلّى في التّمثيل (3) حيث يتّحد الجزّار بالجرّاح دورا وهويّة لوجود محلّ واحد تشغله ذات مفردة في الفضاء المزيج. وتُنـــشئ عملـــيّة التّـــركيب فضاء مزيجا قد يوافق الواقع وقد يخالفه، من ذلك أنّ اشتغال جزّار في قاعة العمليّات بأدواته وطريقته المعلومة أمر مستبعد، ولكنّ ذلك لا يمنع من تصوّر المشهد تصوّرا افتراضيّا.

(ب)- الإكمال

تتمـــثّل عملـــيّة الإكمال في إكساء النّموذج التّصوّريّ الّذي ينشأ في الفضاء المـــزيج بالتّركيب، أبعادا ما بالعود إلى المعارف العامّة المحفوظة في الذّاكرة طويلة المدى. وتجري عمليّة الإكمال دون وعي (فوكونياي وتورنر 1998، 144). فعمليّة الانعكاس ما بين الفضاءين الدّخلين والفضاء المزيج الّتي يتمّ بها التّركيب وينشأ بها المزيج توافق نماذج معلومة عند النّاس على درجات، هي ما يسهّل عمليّة الإكمال، يكـــون ذلك مثلا بإقامة تصوّرات أو استنتاجات لا يفي بها مجرّد الإسقاط فتنشأ معـــان لا يحملـــها منطوق الفضاء المزيج. ففي (3) بني الفضاء المزيج على أساس انصهار الجزّار في الجرّاح وهذا يقود إلى تخيّل جزّار في غرفة عمليّات - انطلاقا ممّا تحفظـــه الذّاكرة الطّويلة المدى من المعارف العامّة- وما يصاحب ذلك من تفاصيل تتعلّق به من حيث هيأته وأعماله وأدواته والمريض وما إلى ذلك، فتكتسب شخصيّة الجرّاح سمة غير منطوق بها هي 'الفشل'.

(ج)- البلورة

تمـــثّل الـــبلورة مواصلة للتّركيب والإكمال من حيث مثّلت مضيّا في تطوير المـــزيج تصوّرا وتخيّلا وتوسيعا. وهي بذلك تكشف عمّا يمكن أن يقود إليه المزيج مـــن إنشاء معان جديدة لا تتوفّر في الفضاءين الدّخلين بل لا أثر لها فيهما. فممّا يمكـــن تصوّره في الفضاء المزيج في (3)، استكمالا لصورة الجزّار وقد حلّ في مجال

الجراحة، أنّه يقطّع لحوم المرضى ويعرضها على الزّبائن ويزنها ويبيعها بمقابل و لَم لا يغشّهم فيزيّف تواريخ صلاحيّتها أو يفرز القطع فيحتفظ بالجيّد الصّالح منها ويلقي بالـــرّديء منها، فينشأ معنى جديد هو سمة تنضاف إلى هويّة الجرّاح هي التّجارة بما يتّصل بذلك من متاجرة في الأعضاء وما إليها.

ولـــئن كانت جميع الأبنية المزجيّة خاضعة للمبادئ والعمليّات المعروضة قبل هذا فإنّها متفاوتة في الجودة، وذلك في ضوء ما يسمّيه فوكونياي وتورنر (1998، 162-163) مـــبادئ الأفـــضليّة[1] وهي الإدماج[2] وثبات التّعالق[3] وشدّة الاتّصال[4] وقابليّة التّفكيك[5] والتّبرير[6]:

(أ)-الإدماج

يـــنصّ مـــبدأ الإدماج على أنّه من الواجب أن يكون المزيج مندمج العناصر بـــوجه يكون له وحدةً متكاملة تعالَج معالجة كلّيّة. ففي (3) يكون الفضاء المزيج وحدة متكاملة العناصر بما فيها الجرّاح الجزّار والمريض وغرفة العمليّات والأدوات، وجميعها متماسك بوجه يضمن استقامة الفضاء واستقلاله تصوّرا واشتغالا.

(ب)- ثبات التّعالق

مـــدار هذا المبدإ على أن يكون لكلّ عنصر في الفضاء المزيج نفس العلاقات الّـــتي لنظيره من العناصر المكوّنة للفضاء الدّخل. ففي (3) يكون لكلّ عنصر نفس العلاقـــة الّتي لنظيره في الفضاءين الدّخلين (الجراحة والجزارة) فيكون للجرّاح فيه بالمريض نفس العلاقة الّتي له به في فضاء الجراحة وكذلك المريض من حيث هويّته ودوره وكذا غرفة العمليّات بالجراحة كاملة وهكذا دواليك.

(ج)- شدّة الاتّصال

ينصّ هذا المبدأ على أنّه من الأفضل الحفاظ على الاتّصال مابين الفضاء المزيج

---

1 Optimality principles.
2 Integration.
3 Topology.
4 Web.
5 Unpacking.
6 Good Reason.

وكلّ من الفضاءين الدّخلين، بوجه يسهل به الاهتداء إلى التّناسب بين المضامين في كليهما وذلك مباشرة ودون جهد إضافيّ ولا استدلال. ففي (3) تقوم بين الفضاء المــزيج والفــضاءين الــدّخلين صــلة قويّة يسهل بها استحضار ذينك الفضاءين استحضارا آليّا ودون الحاجة إلى عبارة تتجاوز نصّ القول "هذا الجرّاح جزّار".

(د)- قابليّة التّفكيك

قــوام قابلــيّة التّفكيك أن يتضمّن المزيج ما به يمكن أن يعاد بناء الفضاءين الدّخلين أحدهما أو كليهما وما بينهما من إسقاط والفضاء الجامع كذلك وشبكة العلاقات الرّابطة بينها جميعا، كلّ ذلك انطلاقا من المزيج ليس غير. وبعبارة أبسط يتضمّن المزيج ما به يمكن تفكيكه وتحليله إلى مكوّناته بعلاقاتها الّتي ورثها من كلّ من الفضاءين الدّخلين وما لم يرثها.

(هــ)- التّبرير

يــتعلّق مبدأ التّبرير بأن يكون لكلّ عنصر يتضمّنه الفضاء المزيج سبب أو مبرّر لوجــوده بــأن يكون له معنى أو غاية أو سبيل به يكون تعليل وجوده فيه بوجه من الوجوه، ويمكن تلخيص ذلك في الإفادة[1] في مستويين من حيث تعلّقه بسائر العناصر الواردة في الأفضية الدّخل ومن حيث وظيفته في اشتغال الفضاء المزيج واستقامته.

ومــن المظاهر المهمّة والمعقّدة كذلك في عمليّة المزج – على ما يرى تورنر (2000)- ما يكون فيها من تكثيف للعلاقات الأساسيّة[2] الّتي تعمّ جميع الأفضية بما فــيها الأفــضية الدّخل ومن تحويل لها. تتضمّن العلاقات الأساسيّة الزّمان والمكان والقــياس والقــصديّة والــتّماثل وتطابق الهويّة وما إلى ذلك من المقولات العابرة للأفضية[3] الذّهنيّة والمنظّمة لها. فالفضاءان الدّخلان تعمّهما علاقات عابرة للأفضية تتحوّل إلى علاقات داخل الفضاء[4] المزيج، وإذ تندمج هذه العلاقات بفعل المزج في الفضاء المزيج تجري عليها عمليّات تكثيف[5] وتحويل[6] في آن.

1 Relevance.
2 Vital relation(s).
3 Extra-spatial.
4 Intra-spatial.
5 Compression.
6 Transformation.

يكـــون التّكثيف فيها بأن يعود المتفرّق المختلف المتعدّد المتكرّر من العلاقات إلى علاقـــة واحـــدة، من ذلك أنّ تعدّد الأزمنة والأمكنة والأشخاص والحيوانات والأدوات وتكـــرّر أعمـــال الجـــزّار والجرّاح كلاّ في مجاله وما إلى ذلك ممّا يعمّ الفـــضاءين الـــدّخلين (الجزارة والجراحة)، يتقلّص بفعل المزج فيندمج جميعها في بنية واحـــدة ليس غير وتتحوّل تبعا لذلك التّكثيف إلى علاقات داخل الفضاء (أو داخل-فضائيّة). ففي (3) يتضمّن الفضاء المزيج لكلّ علاقة أو عنصر نموذجا أو تحقّقا واحدا.

المزج في العربيّة: النّاقة سفينة الصّحراء نموذجا

لعلّه من المفيد بعد هذا تحليل نموذج من النّماذج المتداولة في العربيّة، من قبيل (4):

(4) النّاقة سفينة الصّحراء.

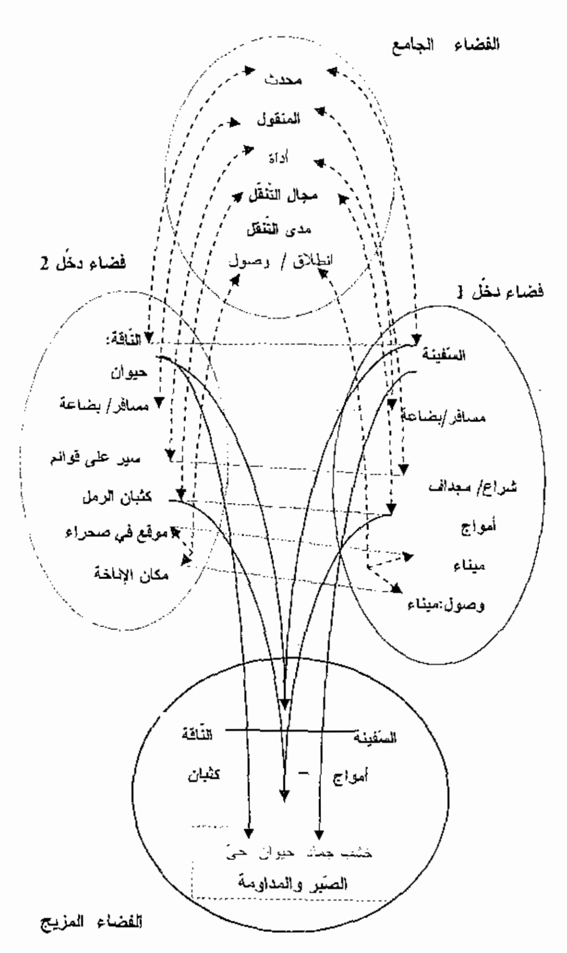
يتمـــثّل الفـــضاء الجامع في مجال التّنقّل عامّة بما فيه من محدث (هو النّاقة أو الـــسّفينة أو غيرهما من أدوات التّنقّل أو النّقل) ومنقول (إنسان أو بضاعة) ومجال (الجـــوّ أو البرّ أو البحر) وأداة (سير على قوائم) ومدى (انطلاق من مكان منقول منه فوصول إلى نقطة أخرى منقول إليها)، ويندرج كما هو معلوم في هذا الفضاء الجامـــع جميع ما يكون به النّقل مادّيّا في الفضاء أو معنويّا في المطلق. أمّا الفضاءان الـــدّخلان فهما فضاء السّفينة (فضاء دخل 1) وفضاء النّاقة (فضاء دخل 2). وفي الـــواحد منهما عناصر توافق إسقاط العناصر المكوّنة للفضاء الجامع، ويكون بين الفضاءين الدّخلين إسقاط على أساس التّناسب: تناسب السّفينة (بما يقترن بها من الـــسّمات والخصائص مادّة وصنعا ونوعا) النّاقة (بما لها من خصائص منها كونها كائنا حيّا آكلا شاربا عاشبا) ويتناسب المنقولان في كليهما عن طريق الإسقاط من حـــيث كانا إنسانا مسافرا أو بضاعة منقولة وكذلك مجال النّقل فهو أمواج البحر مـــن جهـــة وهو رمال الصّحراء من جهة أخرى، وما إلى ذلك حسب ما يبين في التّمثـــيل (5). ويكـــون حاصـــل المزج الفضاء الرّابع وهو المفهوم المزيج النّاشئ بانصهار الفضاءين الدّخلين وفق العمليّات العرفنيّة المحدثة للمزج:

فبالتّـــركيب تحدث علاقات لم تكن موجودة في الفضاءين الدّخلين منفصلين (الـــسّفينة والنّاقة) وذلك بإسقاط المضامين في كلّ منهما إسقاطا رأسيّا في الفضاء المـــزيج. فتـــتقارن العناصر في الفضاءين الدّخلين واحدا بواحد، فالسّفينة بالنّاقة، والتّزحلقُ على سطح الماء بفعل الشّراع أو التّجديف بالسّير على القوائم، والأمواجُ بكثبان الرّمل، وميناء الانطلاق بنقطة في الصّحراء تنطلق منها رحلة النّاقة، والمرسى

بمكـــان الإناخة. فتنصهر السّفينة في النّاقة انصهارا وتتّحد بها من حيث أدّت دور النّقل فيحدث لذلك معنى ليس من منطوق الفضاءين الدّخلين كما يأتي بيانه.

وبالإكمال – وهو عمليّة آليّة غير واعية عند أهل نظريّة المزج– يكتسي النّموذج المـــزيج النّاتج (النّاقة سفينةً) أبعادا تتّصل بالثّقافة وبالمعارف العامّة فيمكن أن نتصوّر ســفينة علـــى شكل ناقة (أو ناقة على شكل سفينة) تمخر عباب الرّمال وهي تصعّد وتـــصوّب في الكثبان محمَّلة بأثقال ما فيها ومن عليها في رحلة شاقّة طويلة، وينضاف إلى جمـــيع ذلك ما تخزّنه الذّاكرة 'الجماعيّة' من تصوّرات في طبيعة الصّحراء وطبيعة الظّروف والتّنقّل فيها فينشأ استدلال مؤدّاه استنتاج لا يحصل بمجرّد الإسقاط هو صبر الـــنّاقة وطول مراسها، فهي حيوان في حاجة إلى ماء وعشب ولكنّها لا تشترط ذلك كثيرا كما هو الأمر في شأن السّفينة تبحر طويلا ولا أكل لها ولا شراب.

(5) شبكة المزج المفهوميّ :'النّاقة سفينةً'.



وبالبلورة يكون تطوير المزيج الحاصل بالتّركيب وبالإكمال وذلك بالتّوسّع في التّصوّر والتّخيّل والتّوسيع. فممّا يمكن أن يتوسّع به الفضاء المزيج تصوّر الصّحراء بحـــرا مترامـــي الأطراف وصاحب النّاقة - فردا كان أو شعبا- بحّارا في الصّحراء يجوبها دون عائق ويكابد صعابها دون وهن فهو حرّ جلْد وإن عاش على الكفاف، فيقودنا هذا التّوسيع من مجال النّاقة إلى مجال موغل في التّجريد: الحرّيّة، وليس من قبـــيل الصّدفة أن تُتّخذ السّفينة رمزا للحرّيّة. وغير خفيّ ما لآليّة البلورة بما تختزنه من طاقة في التّجدّد والتّجديد من دور في إنشاء المعاني الحادثة المتناهية. وهذا مدار نظريّة المزج.

ومـــن مـــبادئ الأفضليّة العاملة في نشوء المزيج "النّاقة سفينةً" وفي ضمان دورانه وثرائه، الإدماج وثبات التّعالق وشدّة الاتّصال وقابليّة التّفكيك والتّبرير. ففـــي (4) يحـــدث الاندماج التّامّ بين الفضاءين الدّخلين في الفضاء المزيج كما يتجلّـــى من التّمثيل المعروض في (5) بوجه يكون له وحدة متكاملة متماسكة العناصـــر فيها النّاقة سفينة تبحر في أمواج الصّحراء تحمل البضاعة والمسافرين على مسافات طويلة ويعرض لها أن تتوقّف أثناء الرّحلة في محطّة أو محطّات وما إلى ذلـــك، ويثبت كذلك في الفضاء المزيج، للعنصر الواحد نوع التّعالق الّذي كـــان لـــنظيره في الفـــضاءين الدّخلين (السّفينة والنّاقة) فتكون له نفس البنية التّصوّريّة القائمة على أدوار النّقل والتّنقّل والقيادة والإطار وتدرّج الرّحلة من الانطـــلاق إلى الوصول وما إلى ذلك من الهويّات والأحداث والمحدثين، كلاًّ في مجالـــه. كمـــا تثبت شدّة الاتّصال مابين الفضاء المزيج (النّاقة سفينةً) وكلّ من الفـــضاءين الدّخلين (السّفينة والنّاقة) بوجه يكون به الاهتداء يسيرا مباشرا إلى التّناســـب بـــين المـــضامين في كليهما بأن تقرن العناصر الواحد منها بنظيره، فانطلاقـــا من الفضاء المزيج يُستحضر الفضاءان الدّخلان استحضارا آليّا واحدا آن-قوليّا وذلك دون الحاجة إلى ما زاد عن مضمون القول لفظا ودلالة. ويمكن تفكيك الفضاء المزيج إلى الفضاءين الدّخلين والفضاء الجامع - في ضوء ما ينصّ عليه مبدأ قابليّة التّفكيك- إذ يتضمّن ما به يمكن أن يعاد بناء تلك الأفضية وما بيـــنها من علاقات الإسقاط. كما نلاحظ أنّ كلّ عنصر يرد في الفضاء المزيج مبرّر وجوده من حيث وظيفته أو دوره فيه ومن حيث تعلّقه بنظيره في كلّ من الفضاءين الدّخلين.

ومن مظاهر التّكثيف والتّحويل في مزيج" النّاقة سفينةً" أن تجتمع العلاقات الأساسيّة بعد افتراقها وتتحوّل إلى علاقات داخل فضائيّة بعد أن كانت بين الفضاءين الدّخلين، فما كان مكانا مختلفا باختلاف المجال في كلّ من السّفينة والنّاقة بين البحر والصّحراء يصبح واحدا بفعل التّكثيف وداخل الفضاء بفعل التّحويل وما كان عابرا للفضاءين كنمط التّنقّل - مثلا- وهو تزلّج على صفحة الماء وغوص جزئيّ فيه من الجزء المعلوم من السّفينة من جهة وانتقال القوائم من النّاقة بالتّناوب وغوص الخفّ منها قليلا في الرّمال من جهة ثانية، يتحوّل بفعل التّكثيف إلى عمل واحد في الفضاء المزيج فالنّاقة سفينة وقوائمها صدر السّفينة والرّمال أمواج، وعلى هذا تنقاس سائر العناصر بدقائقها الّتي يمكن أن يطول الحديث في شأنها.

وممّا يمكن تناوله في إطار نظريّة المزج من العربيّة كثير، ما كان منها جاريا على ألسنة النّاس يوميّا وما مثّل منها عيون الشّعر، من ذلك قول المتنبّي في هجاء كافور"وكان يُبرى بظفره القلم" أو قوله "أرانب غير أنّهم ملوك مفتّحة عيونهم نيام." ونترك أمر تحليلها لمن شاء ذلك.

مجالات المزج

ممّا يسطّره أعلام نظريّة المزج أنّ أبسط الأشياء والمفاهيم المعهودة في الحياة اليوميّة وفي تفكيرنا إنّما هي ناتجة بفعل العمليّات المزجيّة، كما تمثّل ثمرة لتلك العمليّات متكرّرة متتابعة متواصلة على مرّ الزّمن يكون لها التّراكم في المستوى الثّقافيّ العامّ. فيكون على هذا المزج ملكة تنتج المعنى وتجدّده. ويذهب فوكونياي (2001) إلى أنّ ملكة المزج ممّا يتميّز به بنو البشر في صناعة المعرفة العلميّة والفنّيّة والتّقنيّة بما تتضمّنه جميعا من اكتشافات واختراعات ما كان منها ذهنيّا صرفا أو ذهنيّا عمليّا مادّيّا. من ذلك أنّ الشّعوب والثّقافات تصنع أشياء مادّيّة تمثّل حاملا مادّيّا للمفاهيم المزجيّة من ذلك آلات قيس الزّمن والنّقود ومنه تجلّيات للمزج في ميادين عديدة كالتّعلّم والصّور المتحرّكة والكاريكاتور والإشهار بما فيه من تركيب للصّور تكون بها المزيج بصريّا مفهوميّا (فوكونياي 1996). فالمزج المفهوميّ عند فوكونياي (2001، 6) "ليس شيئا نفعله بالإضافة إلى عيشنا في العالم، إنّما هو على خلاف ذلك أداة من الأدوات الأساسيّة الّتي نتوسّل بها في الإمساك بعالمنا وفي بنائه".

خاتمة

ممّا تتوافق فيه نظريّة المزج ونظريّة الاستعارة المفهوميّة (لايكوف وجونسون 1980) قيامُهما على المجالات المصدر والمجالات الهدف ومبدأُ الثّبوت وكونُ الإسقاطات أسسا لتحليل الاستعارة. كما يشترك التوجّهان في عدد من الخصائص منها كون الاستعارة ظاهرة ذهنيّة مفهوميّة وليست مجرّد بنية لغويّة ومنها أنّ عمليّات الإسقاط ما بين المجالات المفهوميّة تشمل اللّغة والتّصوير والاستدلال. ولكنّ بينهما اختلافات جوهريّة منها أنّ نظريّة الاستعارة المفهوميّة تفترض وجود إسقاط ما بين تمثيلين ذهنيّين ولكنّ نظريّة المزج توسّع ذلك ليشمل كلّ المجالات ما كان منها صناعيّا ماديّا وما كان منها عقليّا تجريديّا، ومنها أنّ عمليّة الإسقاط اتّجاهيّة في نظريّة الاستعارة المفهوميّة وهي غير ذلك في نظريّة المزج، ثمّ إنّ الإسقاط يقوم في نظريّة الاستعارة المفهوميّة (لايكوف) على علاقات مفهوميّة متجذّرة في الذّهن خلافا لنظريّة المزج الّتي ترى أنّ الإسقاط عمليّة آن-قوليّة[1] (تجري آن القول) وهي دون شكّ تستجيب لتلك العلاقات المتجذّرة وتحقّقها ولكنّها في الآن نفسه يمكن أن تحدث استعارات أو تصوّرات جديدة تنضاف إلى الوجوه المتجذّرة.

ومهما يكن من مظاهر الاختلاف بين الاستعارة المفهوميّة ونظريّة المزج فإنّ الأسس المشتركة بينهما كثيرة وبينهما من التّكامل الشّيء الكثير. فبعض الباحثين (منهم قرايدي وجماعته[2] 1999) يذهب إلى أنّهما متكاملتان من حيث تنهض الواحدة منهما ببيان وجه من وجوه بناء الاستعارة. فمحطّ العناية في نظريّة لايكوف الاستعارات الثّابتة المتجذّرة في اللّغة (الذّاكرة طويلة المدى) ومحطّ العناية في نظريّة المزج (فوكونياي وتورنر) ما به تنشأ الاستعارات الحادثة الجديدة من حيث حركيّتها واشتغالها آن القول والتّفكير.

1 On-line process.

2 Grady et al. (1999).

ثبت المصطلحات الواردة في الكتاب

المصطلح العربيّ	المصطلح الأجنبيّ

A

الإنشاط والفحص — Activate and check

نظريّة الاهتداء المعجميّ: الإنشاط هو البحث عن جملة من الوحدات تترشّح للعبارة ثمّ تعرض تلك الوحدات على آليّة الفحص للتّأكّد من صلاحيّتها وفيها يكون اختيار أفضل المترشّحين. ومنطلق عمليّة الإنشاط المظهر الشّكليّ في الوحدة المعجميّة أمّا المظهر الدّلاليّ المقاميّ فذو دور ثانويّ فيه وإن كان دوره أهمّ في نهاية طور الاختيار.

إنشاط — Activation

مفهوم لسانيّ نفسيّ عصبيّ عامّ، قوامه عمليّة تكون بها إثارة الوحدة المعجميّة في الذّاكرة طويلة المدى، وممّا به يكون ذلك إشارة من الذّاكرة الصّوتميّة العاملة إلى البنية الصّوتميّة المحفوظة للوحدة المعجميّة، كما يكون بالتّداعي عن طريق الإنشاط الانتشاريّ ما بين الوحدات المعجميّة المترابطة.

كفاءة — Adequacy

صفة (صفات) — Adjective(s)

مبنيّات (ظروف) — Adverbials

تمثيل مثيل — Analog representation

نظريّة التّصوير الذّهنيّ: تمثيل مطابق للموضوع في عدد من الخصائص.

قياس — Analogy

مُقطِّع — Articulator

نظام نطقي–إدراكيّ — Articulatory-perceptual system

عدد من المراكز العصبيّة والعضلات تمثّل ما به تتحوّل التّمثيلات الصّوتميّة إلى أصوات أو العكس.

Artificial Intelligence (AI) الذّكاء الاصطناعيّ

Associative ترابطيّ

Atemporal لازمانيّة

Autosegmental phonology الصّوتميّة التّفريعيّة

Nonlinear Phonology

B

Backstage cognition عرفنة خلفيّة

العمليّات العرفنيّة غير الواعية أو الجارية في مستوى أعمق من الوعي.

Base أساس

Basic domain(s). مجال أساسيّ، مجالات أساسيّة

Binarity principle مبدأ الثّنائيّة

binary branching تفرّع ثنائيّ/تفريع ثنائيّ

Binding (copying) ربط

في المعالجة اللّغويّة: استحضار الوحدة المعجميّة من الذّاكرة طويلة المدى عن طريق إحداث نظير منها أو نسخة منها.

Blending Theory (BT) نظريّة المزج

Body metaphor(s) استعارة جسديّة

Boucle <perception-décision-action> دائرة الإدراك والقرار والعمل

دائـــرة تـــضمّ ثالـــوثا مـــن الوظائف: وظائف الإدراك بآليّاته واتّخاذ القرارات باســـتراتيجيّاته والفعل أوالعمل ببلورته وتنفيذه، من جهة، ومن حيث ما به يكون الاندماج والتّجانس ما بين تلك الوظائف الثّلاث، من جهة أخرى.

Building-block structure بنية لبنة

C

Canonical structural realization تحقّق بنيويّ قياسيّ

Case marking وسم إعرابيّ

Categorial feature(s) سمة (سمات) مقوليّة

علاقة المقولة بالمحوّر	Category-to-modifier
جعل (جعْل (يّة))	Cause (causation)
خطاطة المركز والأطراف	CENTER-PERIPHERY schema
فضاء ابن	Child space
مناويل مجمّعة	Cluster model(s)
عرفنة	Cognition
عرفنيّ	Cognitive
النّحو العرفنيّ	Cognitive Grammar
الأنتروبولوجيا العرفنيّة	Cognitive Anthropology

البحث في اشتغال الفكر البشريّ في سياقات ثقافيّة مختلفة بما في ذلك من بيئات مادّيّة واجتماعيّة مخصوصة. ومدار البحث فيها التّمثيلات الّتي يقيمها البشر في الثّقافات المختلفة عن محيطه وعن علاقته به حيث تكون الثّقافة نظاما عرفنيّا جماعيّا له بسائر النّظم الثّقافيّة علاقات شبه وعلاقات تميّز واختلاف. والأنتروبولوجيا العرفنيّة بحث في العلاقة بين الثّقافة والذّهن. هي بحث في ما به يدرك الإنسان الأشياء والأحداث والتّجارب الجارية في محيطه ويتمثّلها وفي ما به ينضّدها ويجعل منها نظاما ذا معنى.

التزام عرفنيّ	Cognitive commitment

يتمثّل الالتزام العرفنيّ في اللّسانيّات العرفنيّة في السّعي إلى إقامة حقائق لغويّة توافق الحقائق العرفنيّة الثّابتة في سائر العلوم العرفنيّة.

مجال عرفنيّ، مجالات عرفنيّة	Cognitive domain(s)
وقائع عرفنيّة	Cognitive event(s)
لسانيّات عرفنيّة	Cognitive Linguistics

تسمية عامّة تجري على تيّار أو حركة تجمع عددا من النّظريّات تشترك في الأسس والمنطلقات ولكنّها مختلفة متنوّعة متداخلة في بنائها ومشاغلها وتوجّهاتها ومجالات العناية فيها، وهي تنقسم في المطلق إلى اتّجاهين كبيرين - متصارعين- الأنحاء العرفنيّة والنّحو التّوليديّ في آخر تطوّر له (البرنامج الأدنويّ أو الأدنويّة). وللّسانيّات العرفنيّة صلات بالعلوم العرفنيّة من حيث برنامجها ومفاهيمها العاملة ونقضها لما ليس عرفنيّا في المطلق وفي اللّسانيّات الشّكليّة بوجه خاصّ. نهضت

اللّسانيّات العرفنيّة على نقض تيّارات سابقة نقضا منهجيّا بالأساس، فكان الخروج عن المنهج الإجرائيّ القائم على الوصف البنيويّ والتّوزيعيّ وعلى المنهج الشّكليّ بما في ذلــك الأنحاء المركّبيّة والتّحويليّة والمقوليّة الرّياضيّة وعلى المنهج المنطقيّ القائم علــى شروط الصّدق أو الشّروط الضّروريّة والكافية. فقوام برنامج الأنحاء العرفنيّة علــى تناول اللّغة من حيث طبيعتها ووظيفتها الأساسيّتان: فهي نشاط عرفنيّ في ذاتهــا وحامل لتمثيلات عرفنيّة ولذلك وجب تناولها من زاوية خصائصها الدّلاليّة العــرفنيّة ومــن زاوية تفاعلها وسائر الملكات العرفنيّة من قبيل الإدراك والتّذكّر والتّصوير والعمل والتّجسدن وتمثيل البيئة والسّياق وما إلى ذلك. ويمكن أن يختزل برنامج اللّسانيّات العرفنيّة في دراسة الأبعاد العرفنيّة في التّواصل اللّغويّ.

معالجة عرفنيّة — Cognitive processing

علم النّفس العرفنيّ — Cognitive Psychology

يمــثّل علم النّفس العرفنيّ قلب العلوم العرفنيّة ومحرّكها على اختلاف بين الدّارسين تــنظيرا وعمــلا. ويعتبر البعض أنّ علم النّفس العرفنيّ هو علم النّفس مطلقا يضمّ جمــيع الفروع وبعضهم يعتبره فرعا من علم النّفس. ومجال الدّراسة في علم النّفس العرفنيّ عمليّات العرفنة وأبنيتها من قبيل الإدراك والانتباه والذّاكرة واللّغة والقصد والنّــشاط الفكــريّ واللّغويّ وما إلى ذلك من مباحث تهمّ الانفعال والشّخصيّة وغيرها ممّا له تفاعل مع سائر الملكات العرفنيّة. وقد اقترن ظهور علم النّفس العرفنيّ بما يسمّى "الثّورة العرفنيّة".

نظام عرفنيّ — Cognitive system

عرفن، يُعرفن — Cognize (to)

مُعَرْفِن — Cognizer

مبادئ التّوليف — Combinatorial principles

التّوليفيّة — Combinatoriality

من أبرز خصائص اللّغة البشريّة إذ لا تتوفّر في سائر النّظم التّواصليّة. تسمح في آن بــتكوين عدد غير محدود من الأقوال وفهمها في عدد غير محدود من الموضوعات. يعود ذلك إلى خصيصة أساسيّة فيها قوامها الانطلاق من عدد محدود من العناصر يجري التّوليف بينها بوجوه غير محدودة، وهي عماد النّظريّة التّوليديّة. وإذ لا يسع الــدّماغ البــشريّ حفظ ذلك العدد اللاّنهائيّ وجب أن يكون فيه أدوات محدودة

وطاقــة علــى توليد اللاّمحدود، فالأدوات وحدات تمثّل مادّة التّوليف هي المعجم بعناصــره والطّاقــة هي قواعد التّوليف متمثّلة في النّحو تركيبا واشتقاقا وتوسيعا وتضمينا وإدراجا وتحويلا ونقلا وما إلى ذلك.

القصد التّواصليّ	Communicative intention
إكمال	Completion
المستوى المكوّنيّ	Component level
تركيب	Composition
تكثيف	Compression
نظام حوسبيّ	Computational system
النّظريات الحوسبيّة في الاهتداء المعجميّ	Computational theories of lexical access
الاستعارة الحاسوبيّة	Computer metaphor
استعارة الذّهن حاسوبا	Mind-as-computer metaphor
الصّرف التّرصيفيّ	Concatenative Morphology
الزّمان المتصوّر	Conceived time
المزج المفهوميّ (التصوريّ)	Conceptual blending
نظريّة الاستعارة المفهوميّة	Conceptual Metaphor Theory(CMT).
المقْوَلة المفهوميّة	Conceptual categorization
مركّب مفهوميّ	Conceptual complex
الجسدنة المفهوميّة	Conceptual embodiment
سلّميّة مفهوميّة	Conceptual hierarchy
إدماج مفهوميّ	Conceptual integration
إسقاط مفهوميّ	Conceptual mapping(s)
المفهمة (التّصوّر)	Conceptualization
المتصوِّر	Conceptualizer
نظام مفهوميّ قصديّ	Concepual-intentional system (CIS)

نظام يكون فيه تأويل الأبنية اللّغويّة وغيرها إلى مفاهيم أو العكس.

مناويل ترابطيّة	Connectionist models

Connector (s)	رابط، روابط
Constituency	مكوّنيّة
Constructing	بناء
Constructional schemas	خطاطات بنائيّة
Construe, construal(s)	نمط التّناول/زاوية التّناول

النّحو العرفنيّ: للبشر القدرة على تناول الوضع الواحد (وصفا ونقلا وتمثّلا) بطرق عديدة مختلفة، تمثّل الواحدة منها زاوية يتناول منها ذلك الوضع. يطلق على تلك القدرة تسمية نمط التّناول أو زاوية التّناول. وتتحدّد دلالة العبارة اللّغويّة بالمضمون التّصوّري المدلول عليه بها وبزاوية التّناول الّتي يصوَّر من خلالها ذلك المضمون.

Container	حاوية
CONTAINER schema	خطاطة الحاوية
Convergence	تراكز/معالجة متراكزة
Conversion	تحوّل/تحويل التّمثيلات
Coreference	تشارك إحاليّ
Correspondence rule(s)	قواعد التّناسب
Count noun(s)	اسم يقبل العدّ
Counterpart(s)	نظير (قرين)، نظراء (قرناء)
Cross-domain mapping(s)	إسقاط عابرللمجالات
Cultural Anthropology	الأنتروبولوجيا الثّقافيّة
Cultural model(s)	منوال ثقافيّ

D

Declarative	إثباتيّ
Declarative knowledge	معرفة إثباتيّة
Deep structure (D-structure, DS)	بنية عميقة
Dimension(s) of imagery	بُعد (أبعاد) التّصوير
Directionality	اتّجاهيّة
Domain(s)	مجال (مجالات)

كـــلّ تجربة إدراكيّة وكلّ مفهوم أو مركّب مفهوميّ وكلّ نظام معرفيّ قائم، وما إلى ذلـــك. المجالات الأساسيّة وهي عبارة عن تمثيلات للأفضية البسطى أو الحقول المفهومـــيّة المفردة الّتي لا تقبل القسمة أو التّقسيم عرفنيّا، ومن نماذج ذلك التّجربة الـــزّمنيّة مـــن حيث الإحساس به أو إدراكه، ومنها الفضاء من حيث القدرة على التّعامل معه ومع تشكّلاته، ومنها ما يتّصل بالحواسّ كاللّون والانفعال وغير ذلك ممّا يمكن تصوّره من المجالات.

double space-builders	باني (بناة) الأفضية الثّنائيّة
Double-scope	ثنائيّ المدى
Double-scope integration (Intégration bilatérale)	مزج ثنائيّ (ثنائيّ المدى)
Dynamic system(s)	نظام حركيّ، نظم حركيّة

E

Ecological validity — المناسبة البيئيّة

Validité écologique

مـــبدأ ذو منابت نفسيّة عرفنيّة يعني أنّ النّتائج الّتي تحصل في الأعمال المخبريّة يجب أن تقبل الانطباق ضرورة على مظاهر السّلوك في الأوساط الطّبيعيّة اليوميّة العاديّة (كـــوهين 1989، وينوغـــراد 1993). وإذ كان الدّماغ أداة طبيعيّة كانت العرفنة وظيفته في ضمان الحياة للكائن المعرفن في بيئته، ولهذا الأمر اتّسعت دائرة العناية في العـــرفنة لتشمل موقع الجسد في العالم فتحوّلت العناية من رصد الأنشطة الذّهنيّة الصّرف إلى ما به يكون ممارسة المهارات والملكات العرفنيّة في عالم الأشياء والواقع، وهو ما يطلق عليه المناسبة البيئيّة.

Elaboration	بلورة
Embodied	مجسدَن
Emotion	انفعال
Encoding procedures	عمليّات التّشفير
Equipotentiality	شموليّة
Ethnomusicology	الموسيقى الإثنية
Event scenario(s)	سيناريو(هات) الحدث

Event structure metaphor	استعارة البنية الحدثيّة
Evolutionary engineering	هندسة تطوّريّة
Exception(s)	شاذّ، شواذّ (استثناء)
Experiential realism	واقعيّة تجريبيّة
Experientialism	تجريبيّة
Extended Standard Theory (EST)	النّظريّة النّموذجيّة الموسّعة
Extension	اتّساع
Externalized language	لغة مُظهرة

الـتّحقّق المادّيّ الفيزيائيّ للّغة المضمرة في مستويين فرديّ يكون به كلام شخص بعينه أو جماعيّ يمثّل لغة ما ممّا يسمح به النّحو الكونيّ عند شومسكي (1986، 19).

F

Feedback	ترجيع (استرجاع)
Figure	رسم
Figure-ground configurations	تشكّلات الرّسم-الأرضيّة
Focus (of attention)	محطّ العناية
Focus, focalization	بؤرة (تبئير)
Formal Linguistics	اللّسانيّات الشّكليّة
Formal Grammar	النّحو الشّكليّ
Formal Logic	منطق شكلي/منطق صوريّ
Formulator	معبّر
Frame organization	انتظام الأطر
Framing	تأطير
Full interpretation (FI)	تأويل تامّ
Functional categories	مقولات وظيفيّة
Functional embodiment	الجسدنة الوظيفيّة

G

Gender studies	راسات جندريّة(جنسنيّة) جندرة (جنسنة)، د
Generalization Commitment	الالتزام بالتّعميم

يتمـــثّل الالتزام بالتّعميم في اللّسانيّات العرفنيّة، في السّعي إلى أن يستوعب الدّرس اللّـــسانيّ العـــرفنيّ جميع المظاهر في النّشاط اللّغويّ، وليس لهذا المبدإ صلة مباشرة بالتّعمـــيم المعهـــود من سعي إلى إدراك الخصائص الكلّيّة، فممّا ترفضه اللّسانيّات العرفنيّة تناول اللّغة على أنّها منظومات مستقلّ بعضها عن بعض، وبدلا من ذلك تـــسعى إلى دراســـتها جميعا في تفاعلها وتكاملها واشتغالها معا، ببيان انبثاقها من الأرضيّة العرفنيّة العامّة وتفاعلها معها.

Generative semantics	علم الدّلالة التّوليديّ
Generic space	فضاء جامع
Global categorization relationship	علاقة المقْولة الشّاملة
Goal-directed	توجيه مقترن بالهدف
Good Reason	تبرير
Government and Binding theory	نظريّة العمل والرّبط
Gradation(s)	مدرج، مدارج
Grammaticalization	الإنحاء
Ground	أرضيّة
Grounded	متجذّر

H

Head-first	الرّأس أوّلا
Head-last	الرّأس آخرا
Head-position parameter	برامتر موقع الرّأس
Head-to-adjunct	علاقة الرّأس بالمضاف
Head-to-complement	علاقة الرّأس بالمتمّم
Head-to-specifier	علاقة الرّأس بالمخصّص
Humanoid(s)	روبوت متآدم (روابيت متآدِمة)

I

Icon	أيقونة
Iconicity	أيقونيّة
Idealized Cognitive Model(s) ICM.	منوال عرفنيّ مؤمثل

Identity	تطابق
Idiosyncratic	خصوصيّات لغويّة فرديّة
Image	صورة
Image-mapping(s)	إسقاط الصّورة
Imagery	التّصوير
Imagic	تصويريّ
Imaginative	تخيّليّ
Imaging	التّصوير
Immediate scope	مدى مباشر
Inclusiveness condition	شرط التّضمّن
Individual language	لغة فرديّة

هـــي فرديّة من حيث تعلّقت بالشّخص العينيّ المفرد دون سائر الأفراد المنتمين إلى مجموعته اللّغويّة والّذين يمتلكون نظائر أو أشباه ما يملك ويمكن أن تشمل المجموعةَ اللّغويّة عن طريق السّحب، سحب الفرديّ على الجماعيّ. وليس من المفروض أن يكون الشّخص واعيا بحصول تلك المعرفة عنده بل ليس من اليسير أن يُجعل واعيا بذلك.

Inference	استدلال
Information structure	بنية إخباريّة
Inheritance hierarchy	سلّميّة الإرث
Initial state	حال بدئيّة

حال عند الطّفل تتضمّن القدرة على اكتساب اللّغة المضمرة أي عددا من الوسائل الّـــتي يجهّز بها الذّهن فطريّا أو وراثيّا وتشتغل منذ بداية التّعرّض للأقوال والعبارات لاستخلاص النّحو من الكلام المسموع في المحيط الاجتماعيّ.

Input(s)	دخْل (أدخال، دخولات)
Instruction(s)	تعليمة، تعاليم
Integration	إدماج

في المعالجـــة اللّغـــويّة: عمليّة توليف بين الوحدة المعجميّة المستحضرة ووحدة أو وحدات أخرى في بنية أكبر وفق مقتضيات البنية الإعرابيّة.

مستوى الإدماج Integrative level

مفهوم/ذاتيّ نسبيّ Intension

المفهـــوم الذّاتيّ النّسبيّ كناية عن مجموعة الصّفات الّتي يمتلكها الفرد عن شيء أو موجود ما سواء كانت تلك الصّفات أساسيّة أو ثانويّة. وهذا المفهوم الذّاتيّ نسبيّ لأنّه يختلف باختلاف الأفراد والمكان والزّمان.

لغة مفهوميّة/ذاتيّة نسبيّة Intensional (language)

اللّغـــة المـــضمرة لغة مفهوميّة ذاتيّة نسبيّة – في المعنى المنطقيّ الصّناعيّ– من حيث كانت مخصّصة من زاوية المفهوم دون الماصدق– والعبارة لشومسكي (1995، 15).

ترابطـــ (ات) Interconnection(s)

منظومة (منظومات) تصافحيّة Interface module(s)

تصافح، (صفيح) تصافحات Interface(s)

مـــستوى افتراضيّ نظريّ يكون فيه الاتّصال ما بين منظومتين في الحاسوب أو في الذّهن تحوّل الواحدة منهما المعطيات من قرينتها نوعا من التّحويل ضمانا للتّوليف والتّناسب بينهما واشتغال الجهاز كاملا. ويمثّل الصّفيح الواحد منظومة من النّظام كـــاملا, والتّـــصافح مستوى أوعلاقة بين مكوّنين يكون بموجبها تأويل عنصر أو عناصـــر من المكوّن الواحد إلى عنصر أو عناصر من المكوّن الآخر. ويمثّل التّصافح واحدا من أبرز الأدوات التّمثيليّة الّتي تقوم عليها هندسة النّحو (اللّغة) في البرنامج الأدنويّ (شومسكي).

مضمر (لغة/نحو) Internal(ized) Language

Internalized (Grammar)

I-Language

اللّغـــة المضمرة أو النّحو المضمر (الدّاخليّ) بمعنى باطنة من حيث هي قدرة مخزونة تمـــثّل حالا في الذّهن/الدّماغ موجودة في ذاتها وجودا مستقلاّ عن سائر الأشياء في الكون.

جمعيّة اللّسانيّات العرفنيّة العالميّة International Cognitive Linguistics Association

مكوّن تأويليّ، مكوّنات تأويليّة Interpretive component (s)

Intra-spatial	علاقات داخل الفضاء
Intrinsic	ذاتيّة
Invariance principle	مبدأ الثّبات

K

Kinaesthesis — الحاسّة الكينيستيّة

هي ما به يكون إدراك أوضاع العضلات وحركاتها ودرجة الإجهاد فيها باعتماد مجسّات عصبيّة كائنة في نسيج العضلات وفي عصبها تُصدرإشارات كينيستيّة هي الإشارات التّابعة من العضلات أو المفاصل عند أداء حركة أو عمل ما. كما تتضمّن الحاسّة الكينيستيّة ما به يكون إدراك أوضاع الرّأس وحركاته واتّجاهاته بمجسّات خاصّة به كائنة في الدّماغ هي أعضاء الحسّ الدّهليزيّة (Vestibular sense organs) (قريقوري 1987، 727).

Kinesthetic image schema(s) — الصّورالخطاطات الكينيستيّة

L

Landmark (Lm) — مَعْلَم

Language Acquisition Device — آليّة الاكتساب اللّغويّ

ما به يتمكّن الطّفل في طور الاكتساب اللّغويّ، من بناء نحو ذهنيّ يستخلصه من الأقوال الخليط بأن يهتدي إلى البنية الكامنة فيها جميعا ويستبطنها لتستوي في ما يسمّيه شومسكي "اللّغة المضمرة."

Language faculty	ملكة لغويّة
Language-invariant	ثابت في اللّغات/ثابتة لغويّة
Language-particular	مخصوص في اللّغات
Least effort	مجهود أدنى
Lemma Theory	نظريّة اللّمّات انظر الفصل الثّالث من القسم الأوّل
Lemma(s)	لّمة (لّمات)
Level of specificity	درجة التّخصيص
Lexical access	الاهتداء المعجميّ
Lexical hypothesis	الفرضيّة المعجميّة

Lexical insertion	إدراج معجميّ
Lexical pointer	مشير معجميّ
Lexical entry	مدخل معجميّ
Lexical gap	فراغ معجميّ
Lexical head(s)	رأس معجميّ
Lexical item	وحدة معجميّة
Lexicon (mental)	معجم (ذهنيّ)
License	أجاز، يجيز، إجازة
LINK schema	خطاطة الرّبط (الوصل)
Local categorization	مقْولة محلّيّة
Locative	محلّيّة مكانيّة
Logical form (LF)	شكل منطقيّ (ش م)
Logogen system	نظام اللّوغونات
Logogen Theory	نظريّة اللّوغونات
Long-term memory (LTM)	ذاكرة طويلة المدى

M

Macroplanning	مخطّط أكبر
Mapping (projection)	إسقاط
Matching	توافق
Maximal scope	مدى بعيد
Medium	حامل فكري (وسيط)
Mental experience	تجربة ذهنيّة
Mental Imagery	التّصويرالذّهنيّ
Mental modelling	نمْذجة ذهنيّة (منْولة ذهنيّة)
Mental organ(s)	عضو ذهنيّ، أعضاء ذهنيّة
Mental Space(s)	فضاء ذهنيّ (أفضية ذهنيّة)
Merge	صهر
Metaphoric processing	معالجة استعاريّة

Metaphoric projection	إسقاط استعاريّ
Microplanning	مخطّط أصغر
Mind/brain	ذهن/دماغ
Minimalism	أدنويّة (اختصاريّة)
Minimalist Program	برنامج أدنويّ (مختصر، اختصاريّ)
Mirror neuron	خليّة عصبيّة (نورون) مرآة
Modelling (Modélisation)	نمذجة (مَنْولة)
Modularity	المنظوميّة
Morphophonological form	الشّكل الصّرفصوتميّ
Motor schemata	خطاطة حركيّة

N

Naturalness — الطّبيعيّة

مفهوم جار في نظريّة النّحو العرفنيّ (لانقاكر): الطّبيعيّة غاية تطلبها النّظريّة اللّسانيّة وأساس يقوم عليه تقييمها، فالوصف الطّبيعيّ وصف قائم على معالجة المعطيات في ذاتها وانطلاقا منها بأن يكون تناولها من حيث ثراؤها وتنوّعها ومن حيث لطافتها ودقّتها ومن حيث بساطتها وتركّبها دون خرق لانتظامها الطّبيعيّ ولا فصل لمظهر منها عن آخر باصطناع حدود لا وجود لها في واقع الأشياء.

Necessary and sufficient condition(s)	شرط ضروريّ وكاف
Network (Model) of Conceptual Integration	شبكة (منوال) المزج المفهوميّ
Nonconcatenative Morphology	الصّرف التّفريعيّ
Non-processual.	لاعمليّة

O

Objectivism	الموضوعيّة
Objectivist semantics	الدّلالة الموضوعيّة
Objectivist view	رؤية موضوعيّة
One-shot metaphor(s).	الاستعارة أحاديّة اللّقطة
Online	آن-قوليّ

التّناسب الأنطولوجيّ	Ontological correspondence
أفضل تشفير (أمثل تشفير)	Optimal coding

في البرنامج الأدنويّ: يتمثّل التّشفير الأفضل في أن يقدّم المعجم من المعلومات ما يحتاج إليه النّظام الحوسبيّ بأفقر ما يكون أي دون إطناب وفي أفضل صياغة أو تشفير. معنى ذلك أنّ كلّ وحدة معجميّة (أو مدخل معجميّ) تحمل أقلّ ما يكفي من الخصائص اللّغويّة الّتي بها تندرج في علاقة بسائر الكلمات في الجملة عند التّركيب.

مبادئ الأفضليّة (مبادئ الأمثليّة)	Optimality principles
توجيه	Orientation
خرْج (أخراج، خروجات)	Output(s)

P

الاهتداء المتوازي	Parallel access
المعالجة المتوازية الموزّعة	Parallel Distributed Processing

قوام المعالجة المتوازية الموزّعة أنّ العمليّات العرفنيّة متوازية لا سلسليّة وأنّ العمليّات العصبيّة الّتي تصاحبها موزّعة ممتدّة على القشرة الدّماغيّة ولا تنحصر في موقع واحد بعينه وتتشكّل في عقد مترابطة (ماك للآند وروملهارت 1986).

المعالجة المتوازية	Parallel processing
منوال الشّبكة المتوازية المتفاعلة	Parallel-interactive-network model
فضاء أب	Parent space
مشارك (ون)	Participant(s)
مشتقّات (صفات)	Participles
نحو خاصّ (مخصوص)	Particular grammar

النّحو الخاصّ (المخصوص) نظريّة في لغة مخصوصة تصف ما به يكون الاقتران بين تمثيل ذهنيّ وعبارة لغويّة ويكون به تحديد الشّكل والمعنى فيها.

خطاطة الكلّ والجزء	PART-WHOLE schema
مسلك	Path
نمط (قالب)	Pattern(s)

Perception	إدراك
Performance	إنجاز
Perspective	منظور
PF-LF pairing(s)	تزاوجات ش ص- ش م
(Phonological Form-Logical Form pairing(s))	(تزاوجات شكل صوتميّ-شكل منطقيّ)
Phonological feature(s)	سمة (سمات) صوتميّة
Phonological form (PF)	شكل صوتميّ (ش ص)
Phonological pole	قطب صوتميّ
Polysemy	اشتراك دلاليّ (مشترك معنويّ)
Pragmatic function(s)	دالّة تداوليّة (دالاّت)
Predicate-to-Argument	علاقة المسند بمتعلّقاته
Predictability	قابليّة التّكهّن
Preposition(s)	حرف (حروف)
Preverbal message	رسالة ما قبل-كلاميّة
Primary	أوّليّ
Priming	أولنة

التّرابط بين كلمتين كلّما جرت الواحدة استحضرت قرينتها كما في 'حرب' و'موت' وما من علاقة دلاليّة مباشرة بينهما. فكلّما جرت الأولى في سياق ما واردتها الأخرى عن طريق الأولنة دون أن يكون موضوع الحديث مقتضيا إيّاها ضرورة.

Priming effects	آثار الأولنة
Primitives	أوّليّات
Principles & Parameters (P&P)	مبادئ وبرامترات
Procedural memory	ذاكرة تراتيبيّة
Procedural knowledge	معرفة تراتيبيّة
Process	عمليّة
Processing	معالجة

Processing Metaphor	معالجة الاستعارة
Processing time	زمان المعالجة
Processor(s)	معالِج (معالِجات)
Profile	معروض
Profile determinant	محدّد المعروض
Profiling	عرض
Protolanguage	اللّغة الأولى
Prototype	الطّراز، المقولة الطّرازيّة

Q

Qualia structure	البنية المواصفيّة
Qunatifier-to-bound variable	علاقة المسوّر بالمتغيّر المحدود

R

Radial category	مقولة انتشاريّة (شعاعيّة)
Recall	استحضار
Recursion	تكراريّة
Redundancy	إطناب (إفادة)
Referential opacity	ثخونة الإحالة
Region	منطقة
Relational	علائقيّ
Relational unit	وحدة علائقيّة
Relational level	مستوى علائقيّ
Relative salience/relative prominence	بروز نسبيّ
Relevance	إفادة
Repeated reproduction	الاستحضار المتكرّر
Repository	خزّان (رصيد)
Representation	تمثيل
Representational module(s)	منظومة تمثيليّة
Resolution	ضبط التّناسق

في المعالجــة اللّغــويّة: هي عمليّة تجميع لكلّ الإمكانيّات الّتي يمكن أن يكون بها الإدمــاج ومقارنة بعضها ببعض، وإلغاء ما لا يصلح منها بإبطال جميع العمليّات الــسّابقة. كمــا يكون بها التّثبّت من حدوث الإدماج على أحسن وجه في جميع المــستويات بــوجه يكــون به التّناسق فيها جميعا. وهي ثالث مرحلة بعد الرّبط والإدماج.

حافظة الاستجابة — Response buffer

استحضار — Retrieving

الرّوبوتيّة — Robotics (fr: robotique)

صناعة الآلات الذّكيّة ذات التّحكّم الذّاتيّ تتفاعل مع الواقع أو المحيط المتغيّر بما فيه مــن العناصر والأشياء والتّضاريس والآلات الأخرى عند الاقتضاء. وليكون ذلك وجب أن تكون هذه الآلة مزوّدة بأدوات إدراكيّة تستقي بها المعلومات من محيطها وأدوات تفكير تحلّل بها تلك المعلومات وتعالجها وأدوات تنقّل أو حركة يتحقّق بها تفاعلها مع محيطها.

دور، أدوار — Role(s)

S

بروز — Salience Prominence

السّلّم — Scale

مسح — Scanning

نظريّة الخطاطة — Schema Theory

خطاطة (خطاطات) — Schema(s)

خطاطيّ — Schematic

المدى — Scope

خَطيطَة، خطائط — Script(s)

قطَع صوتيّة — Segment

انتقاء — Selection

سمة (سمات) انتقائيّة — Selectional feature(s)

إسقاط انتقائيّ — Selective projection

سمات دلاليّة — Semantic feature(s)

Semantic pole	قطب دلاليّ
Semantic primitive(s)	أوّليّات دلاليّة
Semantic selection	انتقاء دلاليّ
Sequential scanning	مسح تتابعيّ
Serial reproduction	استحضار تتابعيّ
Shape(d)	شكّل، متشكّل
Simplex	بسيطة
Simultaneous mapping	إسقاط تزامنيّ (متزامن)
Single-scope	أحاديّ المدى
Situated cognition (cognition située)	العرفنة المتموضعة

نهج في البحث العرفنيّ صاحَب النّقلة من الحاسوب-نموذجا إلى الدّماغ في المباحث العرفنيّة، إذ تبيّن أنّ الدّماغ نفسه لا يكفي بذاته أساسا للعرفنة وحيدا فوجب اعتماد العرفنة في علاقتها بالمحيط والجسد حالاّ في ذلك المحيط ووسائط العرفنة وتوزّعها بما فيها من مظاهر التّفاعل بين الدّماغ والمحيط إطارا عامّا يمثّل نظاما إطارا للعرفنة. وهذا ما يطلق عليه الوضع العرفنيّ.

Social interaction(s)	تفاعل اجتماعيّ
Source domain	مجال مصدر
SOURCE-PATH-GOAL schema	خطاطة مصدر-مسلك-غاية
Space builder(s)	باني الفضاء (بناة الأفضية)
Speech-comprehension system	نظام فهم الكلام
Spell-out	تهجية
Spoken response	استجابة منطوقة
Spreading	نشر
Spreading activation	إنشاط انتشاريّ
Stand-for relation	علاقة "يقوم مقام" (ينوب عن)
Structural description(s)	وصف بنيويّ

هي جملة الخصائص الصّوتيّة والإعرابيّة والدّلاليّة الّتي تكون لعبارة ما.

Substantive categories	مقولات مليئة

Summary scanning | مسح مجمل
Superfluous element(s) | عنصر زائد
Super-structure | البنية الأُمّ
Symbolic thesis | الفرضيّة الرّمزيّة

تقوم الفرضيّة الرّمزيّة على كون اللّغة تقارنا بين الصّوت والمعنى وعلى كون النّحو تنظيما لذلك التّقارن الرّمزيّ على درجات مختلفة من التّركيب والبناء، وهو جليّ ظاهر في نظريّة النّحو العرفنيّ عند لانقاكر (Langacker) وفي أعمال طالمي (Talmy).

Symbolic unit | وحدة رمزيّة
Symbolization | ترميز
Syntactocentricity | مركزيّة الإعراب
Syntactocentrism

تقوم النّظريّة التّوليديّة في مختلف أطوارها على اعتبار الإعراب المكوّن التّوليديّ الأساسيّ أمّا المكوّنان الآخران (الصّوتميّ والدّلاليّ) فتأويليّان. وقوام هذه الرّؤية تصوّر النّحو على أنّه خوارزميّة تولّد الجمل النّحويّة. ولكن تبيّن منذ السّنوات 1980في الحاسوبيّة وما قاربها من العلوم العرفنيّة أنّ الخوارزمات يمكن أن تشتغل بشكل متزامن متواز، ويمكن أن تكون نموذجا مقبولا في تمثيل الاشتغال الذّهنيّ. فنشأ السّعي إلى إلغاء مركزيّة الإعراب (جاكندوف 1997، 15).

T

Target domain | مجال هدف
Task(s) | مهمّة (مهامّ)
The body-in-the-brain | الجسد-في-الدّماغ
The body-in-the-world | الجسد-في-العالم
Thematic properties | خصائص محوريّة
Thematic role | دور محوريّ
Threshold | عتَبة الإثارة
Tip-of-the-tongue word | الكلمة الّتي على طرف اللّسان
Topic | محور

topicalization	مَحورة
Topology	ثبات التّعالق
Trahumara language	لغة التّراهومارا
Trajector (Tr)	منتقل
Transfer	نقل
Transformation(s)	تحويل (تحويلات)
Trigger	يقدح/قادح
Tripartite Parallel Architecture	الهندسة الثّلاثيّة المتوازية
Truth-conditions	شروط الصّدق

U

Universal Grammar (UG) — النّحو الكونيّ

النّحو الكونيّ نظريّة في المبادئ الثّابتة الّتي تحكم الملكة اللّغويّة البشريّة وفي برامترات التّغيّرالمقترنة بتلك المبادئ. والنّحو الكونيّ هو الملكة اللّغويّة (شومسكي 1988، 61) غايـــته تحديد المبادئ الّتي تقود اشتغال تلك الملكة. فهو رصد للحال البدئيّة في الملكة اللّغويّة قبل تعرّضها لأيّ من المعطيات والتّجربة. ويتضمّن النّحو الكونيّ من حـــيث هو ملكة لغويّة فطريّة نظاما ثابتا من المبادئ الكونيّة ومجموعة محدودة من البرامترات تفرض قيودا على التّنوّع البنيويّ في ما بين اللّغات.

Unpacking	تفكيك
Upward floating	طفاوة
Usage-based thesis	الفرضيّة القائمة على الاستعمال

قـــوام فرضـــيّة الاستعمال أنّ النّحو الذّهنيّ عند الفرد إنّما هو تجريد لاستعمالات عديـــدة في الواقـــع فلا مجال للفصل بين المعرفة والاستعمال، وذلك خلافا لما هو مـــتداول في التّوليديّة (النّحو المضمر/النّحو المظهر أو القدرة والإنجاز). فالمعرفة هي الاســـتعمال والعكس قائم إذ العارف باللّغة هو العارف بما به يكون استعمالها. ولهـــذه الفرضيّة حضور كبير في ما تعلّق بالاكتساب اللّغويّ (طوماسلّو2000) وبالتّغيّر اللّغويّ عامّة والإنحاء خاصّة في أعمال ويليام كروفت (1996) وهايني وجماعـــته (1991) مـــثلا، وإن لم تنـــتف في سائر النّظريّات اللّسانيّة العرفنيّة جميعها.

V-W

Vantage(s), vantage point(s)	زاوية النّظر/زاوية التّناول
Vestibular sense organ(s)	أعضاء الحسّ الدّهليزيّة
Vital relation(s)	علاقات أساسيّة
Web	شدّة الاتّصال
Well formedness	البناء الجيّد
Working Memory	ذاكرة عاملة



قائمة المراجع

المراجع العربيّة

- ابــن الجوزيّ (510-597هـــ): أخبار الحمقى والمغفّلين، دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1980.
- ابــن جنّي، أبو الفتح عثمان (942هـــ): الخصائص، الجزء الرّابع، تحقيق محمّد علي النّجّار، بيروت: دار الهدى للطّبع والنّشر، د. ت.
- فــضل اللّـــه، مهدي: مدخل إلى علم المنطق (المنطق التّقليديّ)، دار الطّليعة، بيروت، (ط1: 1977) الطّبعة الرّابعة، 1990.
- المسعديّ، محمود: السّدّ، الدّار التّونسيّة للنّشر، ط2، 1974.

المراجع الأجنبيّة

- Andler, D. (ed.). 1992. Introduction aux sciences cognitives. Paris: Gallimard.
- Bartlett, Frederik. 1932. Remembring: A Study in Experimental and Social Psychology. London.
- Bechtel,W. & Graham. G.(eds.). 1998. A Companion to Cognitive Science. Oxford: Blackwell Publishers..
- Bickerton, Derek. 1990. Language and Species. Chicago: University of Chicago Press.
- Brandt, Line & Brandt Per Aage. 2005. Making Sense of a Blend: A Cognitive-semiotic Approach to Metaphor. Annual Review of Cognitive Linguistics 3, 216-249.
- Brewer,W.F. and Treyens, J. C. 1981. Role of Schemata in Memory for Places. Cognitive Psychology 13,207-230.
- Bruner, J. & Oliver, R. & Greenfield, P. 1966. Studies in Cognitive Growth. New York: Wilay.
- Butterworth, Brian. 1989. Lexical Access in Speech Production. in Marslen-Wilson, William,(ed.) 1989, 108-135.

- Calvin, William H. 1990. The Cerebral Symphony: Seashore reflections on the structure of consciousness. New York: Bantam Books.
- Chomsky, N. 1979. Language and Responsibility. Based on conversations with Mitsou Ronat, translated from French by John Viertel. New York: Pantheon Books.
- Chomsky, N. 1986. Knowledge of Language: its Nature, Origin and Use. New York: Praeger.
- Chomsky, N. 1988. Language and Problems of Knowledge, The Managua Lectures, Cambridge, Mass: MIT Press.
- Chomsky, N. 1993. A Minimalist Program for Linguistic Theory, in Hale K. and Keyser, S. J. (eds.): The View from Building 20, Cambridge, Mass: MIT Press. (reprinted in Chomsky 1995, chap.3)
- Chomsky, N. 1995. The Minimalist Program. Cambridge. Mass: MIT Press.
- Chomsky, N. 1998. Minimalist Inquiries: the Framework, MIT occasional Papers in Linguistics, no 15.
- Chomsky, N. 1999. Derivation by Phase, MIT occasional Papers in Linguistics, no 18.
- Chomsky, N. 2001. Beyond Explanatory Adequacy, unpublished ms, MIT.
- Chomsky, N. 2002. On Nature and Language, Cambridge: Cambridge
- Chomsky, N. and Howard Lasnik. 1993. The Theory of Principles and Parameters, in: Syntax: An International Handbook of Contemporary Research, edited by Joachim Jacobs, Arnim von Stechow, Wolfgang Sternefeld and Theo Vennemann, Berlin and New York: de Gruyter,1993. Reprinted in Chomsky (1995: 13-127).
- Cohen, G. 1989. Memory in the Real World. London: Erlbaum.
- Cole, M., Gay, J. and Sharp, D. 1971. The Cultural Context of Learning and Thinking. New York: Basic Books.
- Corballis, Michael C. 1991. The Lopsided ape: Evolution of the Generative Mind. New York: Oxford University Press.

- Coulson, S. 1997. Semantic Leaps: Frame-shifting and Conceptual Blending. UCSD Ph.D. dissertation.
- Croft, W. 1996. Linguistic Selection: An Utterance-based Evolutionary Theory of Language. Nordic Journal of Linguistics, 19, 99-139.
- D'Andrade, R. 1995. The Development of Cognitive Anthropology. Cambridge: Cambridge University Press.
- Edelman, Gerald M. 1992. Bright Air, Brilliant Fire, New York: Basic Books.
- Ekman, P.; Levenson, R.W.; and Friesen, W.V. 1983. Autonomic Nervous System Activity Distinguishes among Emotions. Science 221: 1208-1210.
- Fauconnier, G. and Sweetser E. (edr). 1996. Spaces, Worlds and Grammar, Chicago: The University of Chicago Press.
- Fauconnier, Gilles and Sweetser, Eve. 1996. Cognitive Links and Domains: Basic Aspects of Mental Sapce Theory in: Fauconnier. G. and Sweetser E. (eds.) 1996.
- Fauconnier, Gilles and Turner Mark. 1995. Conceptual Integration and Formal Expression, Metaphor and Symbolic Activity, 10: 183-204.
- Fauconnier, Gilles and Turner, Mark. 1998. Conceptual Integration Networks, Cognitive Science, Vol. 22 (2): 133-187.
- Fauconnier, Gilles and Turner, Mark. 2000. Compression and Global Insight. Cognitive Linguistics, Vol. 11 (3-4): 283-304.
- Fauconnier, Gilles and Turner, Mark. 2002. The Way We Think: Conceptual Blending and The Mind's Hidden Complexities. New York: Basic Books.
- Fauconnier, Gilles. 1994. Mental Spaces Aspects of Meaning Construction in Natural Language, Cambridge: Cambridge University Press (first published by MIT 1985).
- Fauconnier, Gilles. 1996. Analogical Counterfactuals in Fauconnier, G. and Sweetser, E. (edr.) 1996, 57-90.
- Fauconnier, Gilles. 2001. Conceptual Integration, Emergence and Development of Embodied Cognition (EDEC 2001).

- Fauconnier, Gilles. 2005. Compression and Emergent Structure. In S. Huang (ed.). *Language and Linguistics*. 6.4: 523-538.
- Fillmore, C. 1982. Frame Semantics. In Linguistics Society of Korea (ed.): Linguistics in the Morning Calm,pp111-138. Seoul: Hanshin.
- Forster, Kenneth I., 1989. Basic Issues in Lexical Processing, in Marslen-Wilson, William (ed.), 1989, 75-109.
- Fox, Nick. J. 1999. Beyond Health. Postmodernism and Embodiment. London.
- Gallese,V.; Fadiga, L.; Fogassi, L. and Ritzolatti,G. 1996. Action Recognition in the Premotor Cortex. Brain 119: 593-609.
- Garnham, A., Shillcock, R. S., Brown, G. D. A., Mill, A. I. D.& Cutler, A. 1982. Slips of the Tongue in the London-Lund Corpus of Spontaneous Conversations. In A.Cutler (ed.), Slips of the Tongue and Language Production. Berlin: Mouton.
- Goldsmith. J. 1979. Autosegmental Phonology. New York: Garland Press.
- Goldsmith.J. 1990. Autosegmental and Metrical Phonology. Oxford: Blasil Blackwell.
- Goschler, Juliana. 2005. Embodiment and Body Metaphors, metaphorik.de 09.
- Gould, Stephen Jay. 1980. Our greatest evolutionary step. In The panda's thumb, 125-133. New York: Norton.
- Grady, J.E., Oakley, T. & Coulson, S. 1999. Blending and Metaphor, in Steen, G. & Gibbs, R. (eds): Metaphor in Cognitive Linguistics, Philadelphia: Benjamins.
- Gregory, Richard L. (ed.). 1987. The Oxford Companion to The Mind. Oxford: Oxford University Press.
- Grimshaw, J. 1981. Form, Function and the Language Acquisition Device, in Baker, C.L. and Mc Carthy, J. (eds): The Logical Problem of Language Acquisition, Cambridge. Mass: MIT.
- Haiman. J. 1980. Dictionaries and Encyclopedias, Lingua 50, 329-357.
- Halle, M., Bresnan, J. and Miller George A.(eds). 1978. Linguistic Theory and Psychological Reality. Cambridge, Mass: MIT Press.

- Harris, R. A. 1993. The Linguistics Wars. New York: Oxford University Press.
- Harris, R.J.; Hensley, D.J. and Schon, L.M. 1988. The Effect of Cultural Script Knowledge on Memory for Stories Over Time. Discourse Processes 11, 413-431.
- Heine, B., Claudi, U. & Hünnemeyer, F. 1991. Grammaticalization: A Conceptual Framework. Chicago: Chicago University Press.
- Holland, D. and Quinn, N. (eds). 1987. Cultural Models in Language and Thought, Cambridge: Cambridge University Press.
  http://www.metaphorik.de.
- Hutchins, Edwin 1995. Cognition in the Wild. Cambridge: MIT Press.
- Imbert, Michel. 1992. Neurosciences et sciences cognitives, in: Andler (ed.). 1992. 49-76.
- Jackendoff. R. 1997. The Architecture of Language Faculty. Cambridge. Mass.: MIT Press.
- Jackendoff. R. 2002. Foundations of Language: Brain, Meaning, Grammar, Evolution. Oxford: Oxford University Press.
- Jensen de Lopez, Kristine. 2002. Language-specific Patterns in Danish and Zapotec Children's Comprehension of Spatial Grams, in: Eve Clark (ed.), The Proceedings of the 31st Stanford Child Language Forum: Space in Language, Location, Motion Path and Manner,50-59. Stanford University Press: Center for the Study of Language and Information.
- Jesperson, Otto. 1924. The Philosophy of Grammar. London: Allen & Unwin.
- Johnson, M. 1987. The Body in the Mind: The Bodily Basis of Meaning, Imagination and Reason. Chicago: University of Chicago Press.
- Kay, P. & Kempton, W. 1984. What is the Sapir-Whorf Hypothesis? American Anthropologist, 86, 65-79.
- Kemmer, S. and Barlow, M..2000. Introduction: A Usage-based Conception of Language, in Kemmer,S and Barlow, M(eds).

Usage Based Models of Language, i-xxi. Stanford: CSLI Publications.

- Kempen, G. and Huijbers, P. 1983. The Lexicalization Process in Sentence Production and Naming: Indirect Election of Words. Cognition, 14, 185-209.
- Keynes. Formal Logic.
- Kosslyn, Stephen M. 1994. Image and Brain: The Resolution of the Imagery Debate. Cambridge: MIT Press.
- Kosslyn, Stephen M.; DiGirolamo, G.J.; Thompson, W.L. and Alpert, N.M. 1998. Mental Rotation of Objects versus Hands: Neural Mechanisms revealed by Positron Emission Tomography. Psychophysiology 35,151-161.
- Kreitzer, Anatol. 1997. Multiple Levels of Schematization: A Study in the Conceptualization of Space. Cognitive Linguistics, 8: 291-325.
- Lakoff, G. 1987. Women, Fire and Dangerous Things: What Categories Reveal about the Mind. Chicago: University of Chicago Press.
- Lakoff, G. 1990. The Invariance Hypothesis: Is Abstract Reason based on Image-schemas? Cognitive Linguistics, 1(1),39-74.
- Lakoff, G. 1992. The Contemporary Theory of Metaphor, in Ortony A. (ed.): Metaphor and Thought, Cambridge: Cambridge University Press.
- Lakoff, G. and Johnson, M. 1980. Metaphors We live By. Chicago: University of Chicago Press.
- Lakoff, G. and Johnson, M. 1999. Philosophy in the Flesh: the Embodied Mind and its Challenge to Western Thought. New York: Basic Books.
- Lakoff, G. and Turner, M. 1989. More Than Cool Reason: A field guide to poetic metaphor. Chicago: University of Chicago Press.
- Lakoff,G. and Nuñez, R. 2000. Where Mathematics Come From: How embodied mind brings mathematics into being. New York: Basic Books.
- Langacker, R.W. 1987. Foundations of Cognitive Grammar, vol.1:

Theoretical Prerequisites, California, Stanford: Stanford University Press.

- Langacker, R.W. 1988. An Overview of Cognitive Grammar, in Rudzka-Ostyn, B. (ed.). Topics in Cognitive Linguistics, 3-48.
- Langacker, R.W. 1991. Cognitive Grammar. in Droste, Flip G. & Joseph, John E. (eds). Linguistic Theory and Grammatical Description, Amsterdam: Benjamins. 275-306.
- Langacker, R.W. 1991. Foundations of Cognitive Grammar, vol.2: Descriptive Applications. Stanford: Stanford University Press.
- Langacker, R.W. 2001. Topic, Subject and Possessor, in Simonsen, Hanne Gram & Enderson, Rolf Theil (eds). A Cognitive Approach to the Verb, Morphological and Constructional Perspectives, Berlin-New York: De Gruyter, 11-48.
- Levelt, Willem J. M. 1989. Speaking, from Intention to Articulation, Cambridge, Mass: MIT Press.
- Luria, A. 1971. Towards the Problem of the Historical Nature of Psychological Processes. International Journal of Psychology, 6, 259-272.
- MacLaury, Robert. 1989. Zapotec Body-part Locatives: Prototypes and Metaphoric Extensions. International Journal of American Linguistics 55: 119-154.
- MacLaury, Robert.1997. Color and Cognition in Mesoamerica: Constructing Categories as Vantages. Austin: University of Texas Press.
- Mandler, Jean.1992. How to build a baby: ii. Conceptual primitives. Psychological Review 99: 597-604.
- Marslen-Wilson, William (ed.). 1989. Lexical Representation and Process. Cambridge, Mass: MIT Press.
- McClelland, J. L., Rumelhart, D.E & the PDP Research Group (eds). 1986. Parallel Distributed Processing. Cambridge, MA: MIT Press.
- McClelland, J.L. and D.E. Rumelhart. 1981. An Interactive Activation Model of Context Effects in Letter Perception: Part 1: An Account of Basic Findings. Psychological Review 88: 1-86.

- McClelland, J.L., D.E. Rumelhart and the PDP Research Group. 1986. Parallel Distributed Processing: Explorations in the Microstructures of Cognition. Volume 2: Psychological and Biological Models. Cambridge Mass.: MIT Press.
- Miller, G.A. and Johnson-Laird, P.N. 1976. Language and Perception. Cambridge: Harvard University Press.
- Miller, George A. 1978. Semantic Relations Among Words, in: Halle, M., Bresnan, J. and Miller, George A. (eds). 1978, 60-118.
- Morton, J. 1969. The Interaction of Information in Word Recognition. Psychological Review, 76, 165-178.
- Morton, J. 1970. A Functional Model of Human Memory. In D.A. Norman (ed.), Models of Human Memory, New York: Academic.
- Morton, J. 1979. Facilitation in Word Recognition: Experiments Causing Change in the Logogen Model. In P. A. Kolers, M. E. Wrolstad and M. Bouma (eds.), Processing of Visible language. New York: Plenum.
- Morton, J. 1979. Word Recognition. In J. Morton & J. Marshall (eds.), Psycholinguistics: Series 2. Structures and Processes. London: Elek.
- Newell A. 1982. The Knowledge Level, Artificial Intelligence, 18, 87-127.
- Newell A.1980. Physical Symbol Systems, Cognitive Science, 4, 135-183.
- Nuckolls. C.W. 1998. Cognitive Anthropology, in Bechtell,W. and Graham,H. (eds), 1998, 140-145.
- Oakley, Todd. Image Schemas, in: Geeraerts,D. and Cuyckens, H. (eds). Handbook of Cognitive Linguistics, Oxford,UK: Oxford University Press.
- Pesetsky, D. 1982. Paths and Categories, PhD diss., MIT, Cambridge Mass.
- Pinker, S. 1994. The Language Instinct, The New Science of Language and Mind. London: Penguin.
- Pinker, S. 1999. Words and Rules, The Ingredients of Language. London: Phoenix.

- Pinker, S.1984. Language Learnability and Language Development. Cambridge: Harvard University Press.
- Putnam, Hilary. 1975. The Meaning of "Meaning", in Gunderson, K. (ed.): Language, Mind and Knowledge, Minneapolis: University of Minnesota Press. Reprinted in Putnam, H.1975. Mind, Language and Reality. Philosophical Papers, vol.2. Cambridge: Cambridge University Press.
- Radford, Andrew. 2004. Minimalist Syntax, Exploring the Structure of English. Cambridge: Cambridge University Press.
- Reddy, M. 1979. The Conduit Metaphor. In A. Ortony (ed.): Metaphor and Thought, 284-324. Cambridge: Cambridge University Press.
- Rhee, Seongha.2002. Semantic Changes of English Preposition against: a Grammaticalization Perspective. Linguistic Research 38: 563-583.
- Rhodes, Richard. 1977. Semantics in Relational Grammar. Proceedings of the Thirteenth Annual Meeting of the Chicago Linguistic Society. Chicago: Chicago Linguistic Society.
- Rizzolatti,G. & Craighero,L. 2004. The Mirror Neuron System, Annual Review of Neuroscience 27: 169-192.
- Robert, Adrian. 1998. Blending in The Mathemetical Proofs. Discourse and Cognition. Edited by Jean-Pierre Koenig. Stanford: Center for the Study of Language and Information (CSLI).
- Rohrer, Tim. 2007. The Body in Space: Experientialism and Linguistic Conceptualization, in: Zimke, T.; Zlatev, J.; Frank, R. and Dirven, R.(eds.): Body, Language and Mind, Vol.1, Berlin: De Gruyter, 339-378.
- Rosch, Eleanor. 1973. Natural Categories. Cognitive Psychology 4: 328-350.
- Rosch, Eleanor. 1975. Cognitive Representations of Semantic Categories. Journal of Experimental Psychology 104: 192-233.
- Rosch, Eleanor. 1977. Human Categorization. In Warren, N. (ed), 1977. Studies in Cross-Cultural Psychology. London: Academic.
- Rosch, Eleanor. 1978. Principles of Categorization. In Rosch and

Lloyd (eds), 1978. Cognition and Categorization. Hillsdale: Erlbaum.

- Ross, B. and Millson, C. 1970. Repeated Memory of Oral Prose in Ghana and New York. International Journal of Psychology, 5,173-181.
- Rumelhart, D.E. 1980. Schemata: the Building Blocks of Cognition, in: Spiro, R.; Bruce, B. and Brewer, W. (eds): Theoretical Issues in Reading Comprehension, Hillsdale: Erlbaum.
- Sabah, G. 2002. Robotique, in Tiberghien Guy (ed.). 265-267.
- Schachter, S. and Singer, J. 1962. Cognitive, Social and Physiological Determinants of Emotional States. Physiological Review 69: 379-399.
- Schlanger, Jacques. 1990. La Situation Cognitive, Klincksieck.
- Searle, John R. 1992. The Rediscovery of Mind. Cambridge. Mass: MIT Press.
- Shweder,R. and Bourne, E. 1984. Does the Concept of the Person vary Cross-culturally? In R. Shweder and R. LeVine (eds), Culture Theory, Chicago: University of Chicago Press. 158-199.
- Sinha, C. & Jensen de Lopez, Kristine. 2000. Culture and the Embodiment of Spatial Cognition. Cognitive Linguistics, 11: 17-41.
- Smith; Michael B. 1999. From Instrument Irrealis: Motivating Some Grammaticalized Senses of the Russian Instrumental. In Katarzyna Dziwirek, Herbert Coats & Cynthia M. Vakareliyska (eds): Annual Workshop on Formal Approaches to Slavic Linguistics, Vol7: The Seattle meeting, Ann Arbor: Michigan Slavic Publications.
- Smolensky,P. 1992. IA Connexionniste, IA Symbolique et Cerveau, in Andler,D. (ed.).1992.77-106.
- Sweetser, Eve. 2000. Blended Spaces and Performativity. Cognitive Linguistics. Vol.11,3/4.
- Taft, M. and G. Hambly. 1986. Exploring the Cohort model of Spoken Word Recognition. Cognition 22: 259-282.
- Talmy, L. 1988. The Relation of Grammar to Cognition, in B. Rudzka-Ostyn (ed.), Topics in Cognitive Linguistics, Amsterdam: Benjamins.

- Talmy, L. 2000. Toward a Cognitive Semantics: Vol.1. Concept structuring Systems, and Vol. 2: Typology and Process in Concept structuring. Cambridge, Mass: MIT Press.
- Taylor, John R. 1996. Linguistic Categorization. New York: Oxford University Press.
- Taylor, John R. 2002. Cognitive Grammar. Oxford: Oxford University Press.
- Tiberghien, Guy (ed.) 2002. Dictionnaire des sciences cognitives. Paris: Armand Colin.
- Tomasello,M. 2000. A Usage-based Approach to Child Language Acquisition. Proceedings of the Berkley Linguistics Society, 305-319, Berkley: Berkley Linguistics Society.
- Turner, Mark. 2000. Conférences au Collège de France: 3. La Perspicacité et la Mémoire. (Paris, 20 juin 2000): http://turner.stanford.edu
- Turner, Mark. 2005. The Blending Website: http://blending.stanford.edu
- Turner,Mark. 2006. Compression and Representation, Language and Literature, Vol 15(1): 17-27.
- Vingerhoets, G.; Delange, F.P.; Vandamaele, P.; Deblaere, K. and Achten, E. 2002. Motor Imagery and Mental Rotation: An fMRI study. Neuroimage 17: 1623-1633.
- Watson, J. 1913: Psychology as a Behaviorist Views It. Psychological Review, 20, 158-177.
- Werner, H. and Kaplan, B. 1963. Symbol Formation: an Organismic-developmental Approach to Language and the Expression of Thought. New York: Wiley.
- Wiener, N. 1948: Cybernetics, or Control and Communication in the Animal Machine, New York: Wiley.
- Winograd, E. 1993. Memory in the Laboratory and Everyday Memory: the case for both. In J.M. Puckett & H.W. Reese (eds.), Mechanisms of Everyday Cognition. Hillsdale, NJ: Erlbaum. 55-70.
- Zlatev, Jordan. 1997. Situated Embodiment, Studies in the Emergence of Spatial Meaning. Stokholm.

المؤلّف: الأزهر الزنّاد

حاصل على الأستاذيّة في اللّغة والآداب العربيّة من الجامعة التّونسيّة سنة 1982 فشهادة الكفـــاءة في البحث سنة 1982، فالتّبريز سنة 1984، فشهادة الدّراسات المعمّقة في اللّسانيّات من جامعة باريس 8 سنة 1993 فدكتورا الدّولة من الجامعة التّونسيّة سنة 1998. باحث زائر في بعض أقسام اللّسانيّات بمختلف الجامعات الأمريكيّة في إطار برنامج فولبرايت في مناسبات عديـــدة. حاليّا، أستاذ التّعليم العالي كلّية الآداب والفنون والإنسانيّات بمنّوبة، تونس: مدرّسا باحثا في اللّسانيّات العرفنيّة وفي التّرجمة، مديرا لفريق بحث في اللّسانيّات العرفنيّة واللّغة العربيّة منذ 2002، بجامعة منّوبة.

zanned_lazhar@yahoo.fr

صدر له:

- دروس في البلاغة العربيّة، 1992 (ط1)، 1994 (ط 2).
- نسيج النّصّ: بحث في ما به يكون الملفوظ نصّا، 1993.
- الإشـــارات الـــنّحويّة: بحـــث في تولّد الأدوات والمقولات النّحويّة من الأصول الأحاديّة الإشـــاريّة في اللّغة العربيّة، منشورات كلّية الآداب والفنون والإنسانيّات بمنّوبة (تونس)، 2005.
- جملـــة من المقالات المتفرّقة بالعربيّة والفرنسيّة والإنجليزيّة يهمّ جلّها المنوال الاحتماليّ في انتظام المعجم العربيّ، وجميعها مواصلة لأطروحة دكتورا الدّولة.
- **تحـــت الطّبع**: فصول في الدّلالة ما بين المعجم والنّحو، نصوص في التّرجمة من الإنجليزيّة، النّصّ والخطاب في إطار لسانيّ عرفنيّ.

نظريات لسانية عَرفنية

العلوم العرفنيّة كما يحدّدها (لايكوف) هي: "حقل جديد يجمع ما يُعرف عن الذّهن في اختصاصات أكاديميّة عديدة: علم النّفس واللّسانيّات والأنتروبولوجيا والحاسوبيّة. وهو ينشد أجوبة مفصّلة عن أسئلة من قبيل: ما هو العقل؟ كيف نعطي لتجربتنا معنى؟ ما هوالنّظام المفهوميّ وكيف ينتظم؟ هل يستعمل جميع البشر النّظام المفهوميّ نفسه؟ وإن كان الأمر كذلك فما هو هذا النّظام؟ وإن لم يكن كذلك، ما هو بالتّحديد ذاك الشّيء المشترك بين بني البشر جميعهم في مابه يفكّرون؟ فالأسئلة ليست جديدة ولكنّ بعض الأجوبة جديد."

فهل من دور للأبحاث الجديدة في اللسانيات العرفنية، في الإجابة عن مثل هذه الأسئلة؟

يعود الكاتب الأزهر الزّنّاد إلى منابت النّظريّات اللّسانيّة العرفنيّة ليضيف إلى المختبر البحثي العربي مباحث نادرة، في عرض نظري واضح وتحليل مؤسّس على الدّقّة والوعي بإشكالات تطبيق هذه النّظريّات.





editions.elikhtilef@gmail.com

ISBN 978-9953-87-901-7

9 789953 879017